

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (٦)

محمد المنوفي

الْعُلُومُ وَالْآدَابُ وَالْفَنُون

على عهد الموحّدين

طبعة ثانية مصورة بالأوفسيت



الرباط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (٦)

محمد المنوني

الْعُلُومُ وَالْآدَابُ وَالْفُنُونُ

على عهد الموحّدين

طبعة ثانية مصورة بالأوفسيط



الرباط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تصدير

المرئىء عبد الله بن مورو

انها لمنقبة جليلة لمعهد مولاي الحسن، هذه الجائزة التي يمنحها كل عام لاحسن كتاب يقدم اليه في احد المواضيع التي يعينها هو؛ ويكون لها مساس في الغالب الاعم بتاريخ المغرب وأدبه ورجاله. فهي اول جائزة من نوعها تقصر على المغاربة وعلى الكتب التي تؤلف باللغة العربية. وهي اول جائزة بلغت قدرا من المال لا باس به في الظروف والاحوال الحاضرة، ولا يراعى في منحها الا الاجادة فقط بحيث اذا لم يتقدم للمعهد ما يستحق الاجازة لا تمنح.

وفيهما تشجيع للتأليف والمؤلفين، وبعث للتاريخ والادب المغربيين واحياء لتراجم رجال المغرب المنسيين، واعانة على نشر الآثار المغربية

التي كانت تبقى منبوذة في زوايا الأهمال لتعذر النشر على أصحابها، نظراً لارتفاع ثمن الطباعة وعدم وجود دور للنشر تتولى اخراجها على نفقتها، الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها هذه الجائزة والصعوبات التي ذلتها.

وقد كان من الموضوعات المقترحة في السنة الماضية (1948) هذا الموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب الذي بيد القاري وهو (العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين) الا ان صاحبه لم يتمكن من تقديمه للمعهد في اوانه، فهو ان لم يظفر بالجائزة فلا اقل من ان ينشره المعهد ويعمم فائدته بين الجمهور المثقف، اذ كان من سنة المعهد ان يطلع بنشر الكتب المفيدة والتأليف القيمة التي بين ايدي الناس كثير منها الان

وصاحب هذا الكتاب عالم من علماء الشباب المثاليين، جمع الى العلم والاطلاع النفس الزكية والاخلاق الفاضلة، وقامت به صفة الباحث الصبور والعامل الدؤوب فلا جرم ان يجني اطيب الثمرات ويحصل على احسن النتائج، فانما هي همة وادراك، واجتهاد ونجاح. وكأن الاقدار لما تطاولت فاغتالت عالم مكناس ومؤرخها وكعبة القصاد فيها المرحوم مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ارادت ان تعوض منه خلفا صالحا وتبقي هناك على وارث جدير بسره هو الاستاذ محمد المنوني الذي يعد بحق مفخرة من مفاخر العاصمة الاسماعيلية في هذا الصدد.

أما كتابه هذا فانه غاية ما يدرك في هذا الباب، على الاقل في هذه المدة القصيرة التي اخرج فيها، ومع إعواز المطارد الكافية الذي يحسه كل من عانى هذه المباحث المتشعبة، لا سيما وقد سلك فيها نهجا علميا معبدا قلما تأتي لمن زج بنفسه في هذا الميدان، من الكهول

والشبان، فهو عمل ادبي تام او كاد ان يكون تاما وانتاج علمي محرر قارب ان يكون خاليا مما يلاحظ عليه سواء في مادته واسلوبه ونظامه وترتيبه.

ليس فيه شيء من هذه المقدمات البعيدة كل البعد عن الموضوع التي انما يراد بها الملل والتضخيم حينما يعوز العلم والتحصيل، فترى الكاتب يخطط خط عشوائى ويضرب في كل واد مدعيا انه يهيم المداخل ويقرب الابعاد فلا يصل الى المقصود بالذات الا وقد استغرق جل الكتاب فى اشياء لا علاقة لها بما يقصد اليه. واذا البحث هزيل فى مخبره. سميت فى مظهره، ولاكن اين فى نقد الكتب ذلك الميزان الذي يخلص الماء من اللبن المغشوش؟.

لقد هجم الاستاذ المنونى على موضوعه ولم يتناوله من ذيوله ولا من اطرافه. بل قصد الى اللب والصميم، وترك اللف والدوران وان كان قد قدم بين يديه مقدمات فانها مما يرتبط بمادته تمام الارتباط ويكون كالاطار الجميل المحيط بالصورة والمنمم لمنظرها البديع. ثم هو قد رتبته ترتيبا طبيعيا فتناول العلوم ثم الآداب ثم الفنون، وهذه ايضا تناولها بالنظام الكامل والترتيب الواجب اتباعه فى كل منها. فالسلسلة متتابعة الحلقات، والافكار متسلسلة لا يجد القاري ادى عنت فى الربط بينهما بل انها فى ذلك النظام والترتيب لتغريه بالمطالعة والاسترسال فى القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد احاط به علما تصوريا وتصديقا فى زمن يسير وجهد غير كثير.

على ان جوهر الموضوع ومادة البحث فى كل باب من هذه الابواب الثلاثة، قد استوفى استيفا تاما بالنسبة لما هو موجود ومعروف فى المصادر حتى الان. فلم يترك شاذة ولا فاذة الا احصاها وحصلها ولا شاردة ولا فاردة الا تتبعها وقيدها، وهذا جهد المقل الذي يستوجب

الشكر الكثير. والاقبال هنا راجع الى ناحية المصادر لا الى ناحية الكاتب، فاذا ظهر قريبا تاريخ ابن صاحب الصلاة والجزء الرابع من ابن عذاري وبعض المجموعات الادبية التي تزيد الموضوع اتساعا، فقد تمتد رحاب البحث الى ابعد مما وصل اليه المؤلف. ولاكن ذلك لا يزيى بكتابيه كدرس حافل بالغض الجنى مما وصلت اليه المعارف في عصر الموحدين من نضج واثمار.

وللمؤلف حس دقيق ونظرة نافذة في تحليل الامور وتحقيق المسائل والتنبه الى الاخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب فعقب هو عليها بما يبين وجه الصواب فيها كهذا النص المتعلق بنسب ابن تومرت والمحرّف، عند يوسف اشباخ وقد رده المؤلف الى ما يظهر انه الصواب، ورد ايضا نسبة كتاب في الفلسفة الى المهدي بن تومرت وقعت غلطا في كتاب تاريخ الآداب العربية لجرى زيدان كما صح بعض الاوهام في مبحث الجغرافية وهذا المبحث في الكتاب بلغ من الدقة والتحرير حد الاتقان فنهى عليه المؤلف.

ونحن مع كامل التقدير لجهود المؤلف وتام الموافقة على جل ماله من انظار، فاننا لا نخفي عدم قبولنا لبعض الآراء التي ذهب اليها في بعض المسائل كترجيحه ان الموحدين كانوا ظاهرة في الفقه وان دعوتهم لنبت مذهب مالك لم تكن الا للتمسك بمذهب داود، وتأويله للنصوص التي تدل على انهم كانوا اهل سنة وحديث، وان دعوتهم كانت للاجتهد المطلق، بما يؤيد نظره ويعضد ترجيحه.

وكإنكاره للمحاورة الشعرية المشهورة التي جرت بين عبد المومن ابن، علي ووزيره ابي جعفر بن عطيه تايدا لما ذهب اليه من ان الطابع الديني الغالب على الدولة جعل الشعر الغزلي يقل بل ينعدم من بين موضوعات الشعر وهذا تعمق كبير فما منع الروح

الديني المسيطر على الصحابة في عصر النبوة من ان يقول كعب
ابن زهير (بانت سعاد) وينشدها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
في المسجد وتكون سببا في نجاته واجازته.

ومخالفتنا او مخالفة غيرنا للمؤلف في نظر يذهب اليه. لا نقدح
في قيمة الكتاب، لان الانسان قد يذهب في مسألة ما اذا كانت
نظرية، مذهباً يخالف مذهب غيره، وليس بل لازم ان يتفق كل الناس في
كل المسائل. والذي يقدح في قيمة كتاب من الكتب هو مخالفته للقواعد
المقررة والاصول المحررة وتحريفه للنصوص وعدم احاطته بالموضوع وما
الى ذلك. وقد علم ان كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد
الموحدين برياً من كل هذه العيوب بالغ الغاية في الجودة والانتقان
يستحق عليه مؤلفه كل ثناء وشكر. فنحنه من صميم الفؤاد على
توفيقه ونجاحه ونقدمه الى الشباب المثقف والباحثين في التاريخ
المغربي والحضارة الاسلامية كأحسن طرفة يقدمها صديق الى صديق.



مقدمات الكتاب

طابع دولة الموحدين

المؤثرات التي أثرت في نهضة المعارف على عهد المومدين

ازدهار المعارف بالمغرب

I معاهد التعليم

مناهج التعليم واساليبه

(1) المدارس (2) الجوامع (3) التعليم الاجباري

(4) كتب الدراسة (5) ملاحظات (6) تذييل

II المجامع العلمية

مجامع الخلفاء

مجامع الامراء

طابع دولة الموحدين

كانت حالة العالم الاسلامي في الوقت الذي قامت فيه دولة الموحدين لا تبعث على الاطمئنان، فالدولة العباسية بالعراق ودولة الفاطميين بمصر بلغت إلى طور الهرم الزمن الذي لا قيام بعده، ودولة المرابطين بالمغرب كانت كافرة مجسمة في نظر المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين، وان كان لم يشايعه على هذه النظرية سوى اتباعه منهم، وكان ابن تومرت هذا ساح في الشرق حيث أخذ عن الغزالي وأبي بكر الشاشي وابن عبد الجبار ببغداد، وعن أبي بكر الطرطوشي بمصر، وفي المغرب حيث قرأ على ابن حمدين بقرطبة من الأندلس، وعابن حضارة هذه البلاد التي ساح فيها، ونشع بافكار أهلها عامة، وبخاصة أساتذته، وبصفة أخص الغزالي.

وأدرك خطر الحالة التي عليها العالم الإسلامي، وقدر أن علاجها ليس في تأسيس إمارة أو مملكة، بل في إنشاء خلافة إسلامية عامة، قفم تحت لوائها العالم الإسلامي بكامل حدوده، وتولى زعامتها الدولة الموحدية.

ولاجل أن تؤدي هذه الدولة مهمتها حق تأدية، أراد إبن

تومرت ومؤسسوها من بعده أن تكون حضارتها مطبوعة بطابع العظمة والدين والتجديد في سائر مظاهرها

ولتوضيح شأن هذا الطابع الثلاثي: نبين أن من مظاهر عظمة هذه الدولة تلقيب ملوكها بأمراء المومنين وبالحلفاء، وانظر في هذا الثاني إلى ما جاء في المعجب 138: أن ولد الشريف الطليق المرواني، لما أتم إنشاد قصيدة صنعها في مدح عبد المومن قال هذا الأخير: بشل هذا تمدح الحلفاء. وفي المعجب 188: أن يعقوب المنصور كان في أول امره أراد الجري على سنن الحلفاء الأول، وكذا أسسوا أكبر مملكة شاهدها الإسلام في المغرب، فقد امتدت المملكة الموحدية من المحيط الأطلنطيكي إلى قرب حدود مصر هذا طولها، أما عرضها فكان فيما بين الصحراء الكبرى وجبال الشارات بالأندلس

وحاولوا الاستيلاء على مصر واسسوا بها جمعية لهذه الغاية، جاء في المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب 30 - 32: أنه كان للمهدي بالبلاد المصرية جمعية من أنصاره ينشرون دعوة الدولة الموحدية في البلاد الشرقية، وقد عد اسماءهم واحداً واحداً، وفي أواخر أيام يعقوب أراد أن يحقق هذه الفكرة؛ جاء في المعجب 188: «بلغني عن غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع، ويقول نحن إن شاء الله مطهروها. ولم يزل هذا عزمه رحمه الله إلى أن مات، ولم يكن غزوهم لمصر إلا طريقاً لما وراءها من العالم الاسلامي، يشير لهذا ما جاء في ترجمة أبي الوائيد القرطبي: أنه قدم مصر هارباً من عبد المومن ودولته لما ظهر على المغرب، ثم خاف من استيلائه على مصر فقدم الحجاز، فخاف أن يحج فدخل اليمن، ثم خاف أن يظهر على اليمن

فأراد أن يتوجه إلى الهند، فمات بزبيد. الديباج ص 322. النفخ (1)
435 - 436، وكان أسطولهم أكبر أسطول في وقته، بشهادة طلب
كل من صلاح الدين وملك الإسبان له، استقضا (1) 174 و 176 ،
وكان جيشهم في واقعة العقاب أكبر جيش شاهده المغرب الإسلامي،
ونظمت بهذه العظمة آثارهم متمثلة في صوامع الكتبيين
وإشبيلية وحسان.

ويظهر طابعهم الديني في اهتمامهم به على أتم ما عرف . فقد
كانت لهم همة عالية في الجهاد، وكان يعقوب يريد أن يجعل من
الأندلس دار لإسلام (حلل 122)

ولقد رمزوا لعلو همتهم في الجهاد برمزين فاطق وطامت:
فالنطاق يتمثل في الآيات التي كتبوها على باب القصة الشرقي
بالرباط: يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم: تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله إلى قوله: وبشر
المؤمنين. (مقدمة الفتح 47) .

والطامت هو ما نقش حول إحدى نوافذ صومعة حسان جهة
البحر: من صورة سيفين عظيمين مطلتين رؤوسهما إلى السماء، وفي
تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين إرهاب للعدو المهاجم من البحر،
ورمز إلى التهيؤ له والاستعداد، (مقدمة سوق المهرج - د) .

وإنهم بلغ بهم الاهتمام بإقامة الإسلام إلى حد أن قتل بعض
خلفائهم على شرب الخمر، وفيات الأعيان (2) 432. النفخ (2) 100 ،
وقتل آخر من رؤى وقت الصلاة غير مصل، تاريخ أبي الفدا (3) 42 .
وإلى حد أن لم تنعقد عندهم ذمة ليهودي إنما هو الإسلام أو القتل والضرر
المعجب 203 - 204 ، وإن شئت شاهدا آخر على عظيم اهتمامهم بالإسلام .

فاستمع لشهادة رحالة عظيم - هو ابن جبير - الذي ساح في كثير من ممالك العالم الإسلامي؛ وقال: ولتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة .. كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين.. من رحلته 49.

ويتجلى طابع التجديد في ابتداعهم فكرة المهدوية بالمغرب، ونشرهم عقائد الأشعرية والشيعة، وحمل الناس على مذهب الظاهرية، وتأسيسهم (أول مرة في المغرب) المستشفيات والمدارس العديدة والمكاتب العامة ودار الضيافة، وفيما ظهر في وقتهم من كثير من العلوم والآداب والفنون، مما لم تكن شائعة من قبل، وفي ابتكاراتهم في غير ما ميدان، سيما في ميدان الحرب والإدارة، انظر (مجموع رسائل موحدية 53).

وبالإجمال كانوا يريدون أن ينشروا حضارة مطبوعة بطابعهم الثلاثي: «العظمة - الدين - التجديد»، وكانوا يريدون أن تكون هذه الحضارة لا شرقية ولا أندلسية محضة، ولكنها حضارة قائمة بنفسها، آخذة من هذه وتلك وغيرهما، وأن طغت عليها الحضارة الأندلسية فيما بعد.

وقبل ان ننظر في اثر هذا الطابع نقدم بين يدينا مقدمات .

المؤثرات التي اثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين

إن الموحدين لم يجدوا من المغرب بلاداً قاحلة من المعارف ،
وبالعكس وجدوها بلغت شأواً كبيراً في هذا الميدان ، بشهادة
قول المعجب 104 : فانقطع إلى أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين -
من الجزيرة من أهل كل علم فحوله ، حتى أشبهت حضرته حضرة بني
العباس في صدر دولتهم ، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان
البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار ، وقوله (III) ولم يزل
أمير المسلمين - علي بن يوسف - من أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب
من جزيرة الاندلس ، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم
يجتمع للملك ، وإن المرابطين لم يكونوا يولون في عملهم إلا الفقهاء ،
قرطاس 85 جذوة 342 ، وهذا يتطلب عدداً كثيراً جداً منهم .

نعم ، كان فضل الموحدين على المعارف عظيماً ، فانهم حافظوا
على ما اختاروه منها إلى حد كبير وشجعوها ، كما شجعوا كثيراً
من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظوراً رواجها في العهد
المرابطي ، وطبعوا كل ذلك بطابعهم الثلاثي الخاص ، وإن تشجيعهم
للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغاً عظيماً ، وكان تشجيعاً
مادياً وأدبياً تفننوا فيه ما شئت لهم همهم الكبيرة أن يتفننوا .

فأسسوا المدارس، وعملوا المعاهد، وجلبوا كبار العلماء، واقتروا
تدوين الكتب، وعقدوا المناظرات، والامتحانات، وجمعوا المجامع
العلمية المتنوعة، وأسسوا خزائن الكتب، وسبقوا إلى التعليم الإلزامي،
وابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج التعليم، وإنهم لرغبتهم في
نشر العلم علموا حتى، باللسان البربري.
وكذا أحيوا سنة اهتمام عظماء المسلمين بالترجمة، فأمروا
بترجمة كثير من الكتب المهمة، وانظر بخصوص هذا ما سنذكره
في مبحث الفلسفة.

هذا إلى ما أضفوا على العلم وأهله من مرتبات وجوائز وصلات،
وخلع ومراكب، وإقطاعات وتنويهاات وولايات، فقد فعلوا في ذلك ما
سارت بحديثه الركبان، بل إنهم شجعوا المعارف بأنفسهم وفي
شخصهم، فكان كثير من خلفاء الموحدين وأمرائهم فقهاء علماء، قال
السرخسي في رحلته: وهؤلاء بنو عبد المومن كلهم فقهاء علماء.. نقله
الزياني في الروضة السلیمانیة عن النفع.

هذا إلى ما وجد في المغرب على عهدهم من أعلام كبار من
الأندلس والقيروان وغيرهما، حتى اجتمع في فاس - على حد تعبير
المعجب 288 - علم القيروان وعلم قرطبة ..

وطارت مراکش هي الأخرى عاصمة علم ثانية، الأمر الذي له
دخل كبير في تسمية غير واحد لها ببغداد المغرب، وكذا سبتة
وطنجة وغير مدينة من مدن المغرب، وكذا وجد في المغرب لهذا
العهد عدد عديد من الأدباء والفنانين من أهله ومن الوافدين عليه.
يضاف إلى هذا الجم الغفير من العرب الذين توافد على المغرب
في غضون هذه الدولة أيام عبد المومن ثم يعقوب، هؤلاء العرب

الذين بلغوا من الكثرة الى حد أن قاسموا سكان المغرب الأولين الأرض، وأصبحوا يعمرون جزءاً كبيراً منه، انظر المقدمة 27 والاستقصا (1) 166

ولقد كان من أثر هذه الهجرة أن طبع المغرب نهائياً بالطابع العربي، وارتكزت فيه اللغة العربية والدم العربي على أساس وإلى الابد. وكذا عمر المغرب في هذا العهد عمارة كبيرة، والمعارف تكثر حيث يكثر العمران. مقدمة 379

واتتشر الأمن في غير ما حقبة من أيام الموحدين، حتى كانت الظعينة تخرج من بلاد نول لمطه وتنتهي إلى برقة وحدها لا تری من يعرض لها ولا من يكلمها. القرطاس 188

وكان من نتائج هذه العلمية أن مهدت الطريق لمن أراد أن يسافر من المغرب أو اليه للعلم أو للسياحة .

وشاعت الحرية في هذا العهد في الجملة، حتى استطاع الشاعر الجراوي أن يرد على يوسف بن عبد المومن رده المشهور، انظر وفيات الأعيان (2) 494 - 495، والمؤلفات التي كانت تطعن في حكومة الموحدين وفي المبادي التي تقوم عليها، كان عبد المومن يأمر العلماء والكتاب الذين امتازوا بقوة الحجة بكتابة الردود عليها، مثال ذلك ما أمر بكتابته ضد الكاتب القرطبي ابي الحسن عبد الملك بن إياس. تاريخ الاندلس (2) 54 .

هذا إلى أن المال تدفق على القوم تدفقا حتى كان خراج أفريقيا وحدها في كل سنة وقر مائة وخمسين بغلا. معجب 167، وأنفق الناصر في غزوة أفريقية مائة وعشرين حملا ذهباء، معجب 218، واعطى يوسف لهلال بن سعد في يوم واحد فقط إثني عشر ألف دينار،

معجب 166، ولما تمت بيعة يعقوب المنصور كان أول شيء فعله أنه أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال، ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب، قرطاس 137، وتصدق قبل خروجه إلى غزوة الأرك بأربعين ألف دينار، قال في المعجب 190: خرج منها للعامة نصفها، والباقي في القرابة، أدركتهم وقد قسموا مدينة مراکش أرباعاً وجعلوا في كل ربع أمناً، معهم أموال يتحرون بها المساكين وأرباب البيوتات، وفرق يعقوب هذا على الجنود والأمراء والفقراء في عيد (594): 73000 شاة من ضأن ومعز، نفج (2) 100.

وكان بستان واحد - هو الذي غرسه عبد المومن خارج مراکش - يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه عام (543): 30000 دينار، على رخص الفواكه بمراكش، قاله ابن اليسع، حلل 100، وبلغ ثمن زيتون بحيرة مكناس 35000 دينار ونحوها في السنة، وزيتون بحيرة فاس 50000 دينار ونحوها كذلك، (الروض العتون)، ورأى ابن سعيد بسجل مائة صكا لأحدهم على آخر مبلغه 40000 دينار، صبح الاعشى (5) 164، وأمثال هذا كثير.

وبالطبع نال أهل المعرفة حظهم وأفراد من هذا، ومن أمثلته: أن يوسف جعل المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والشعراء وغيرهم، حسبما أشار لهذا عرزا في المعجب 157، وبديهي أنها ما كانت لهؤلاء حتى كانت لغيرهم، وأجرى يعقوب المرتبات على العلماء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم: قرطاس 138، ووصل للقاضي الصقلي من يعقوب المذكور فقط 19000 دينار، خارجاً عن الخلع والمراكب والإقطاع، معجب 209. الذخيرة السنية 50، وأعطى عبد المومن للشاعر التيفاشي على بيت واحد أنشده إياه من قصيدة: ألف دينار، وفيات

الأعيان ج (١) 891، وأعطى يعقوب لرسول صلاح الدين ابن منقذ
لما مدحه بقصيدة تشتمل على أربعين بيتاً ألف دينار لكل بيت، نفح (١)
207. وأمثال هذا كثير، تلك جملة من دواعي نهضة المعارف في
عصر الموحدين.

وبما أنه ورد في حديثنا في هذا الموضوع ازدهار حركة التعليم
بالمغرب والجامع والخزائن، وبما أن هذه الثلاثة تتطلب شيئاً من
التبسيط، فسنتكلم على أوليها هنا مرجئين حديث الخزائن إلى
محله: (مبحث الفنون).



ازدهار المعارف بالمغرب

I معاهد التعليم

لا شك اننا سنجد في مقدمة معاهد التعليم لهذا العهد الجوامع والكتاتيب، وسأكتفي في الحديث عن هذين المركزين للتعليم بما سأذكره عنهما بعد، أما ثالث هذه المراكز - المدارس - فهي التي سأحدث عنها في هذا المكان، وأبين - ردا لبعض الاعتقادات - أنها كانت متوافرة بالمغرب لعهد الموحدين، وذلك بما أسسه هؤلاء من مدارس بمداين سبتة وطنجة وفاس ومراكش، انتجت مدرسين بارعين سبقوا علماء قرطبة واشبيلية وغرناطة، كما تقول هذا ترجمة تاريخ العرب للأستاذ سديو - المعنونة بخلاصة تاريخ العرب - (215).

ويقترن اسم عبد المومن وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في هذا العصر، فقد أسس عبد المومن مدارس بمراكش، واستدعى ابن رشد الثاني ليستعين به على تنظيمها، الإعلام (3) 47. ولا شك ان في مقدمة هذه المدارس (1) المدرسة العامة لتخريج الموظفين، المذكورة في الحلل الموشية (114)، و(2) المدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين اخذا مما سنذكره في منهاج المدارس قريبا.

كذلك أسس عبد المومن بالرباط (3) مدرسة تعليم فن الملاحة، انظر مقدمة الفتح 42 و 61.

ويعقوب المنصور هو الآخر أسس مدارس لافي المغرب فحسب؛ بل وفي أفريقية والاندلس، القوطاس. 138. رقم الجلل 55، ومن المدارس التي حافظ التاريخ على اسمها فيما أسسه بالمغرب: (4) المدرسة التي أنشأها بالمدينة التي اختطها خارج مراكش، ذكرها في مسالك الأبصار و وصفها بانها مكان جليل به خزائن الكتب. و (5) مدرسة المسجد الاعظم بطالعة (سلا). الاستقصا (1) 180 و (6) المدرسة التي ساهمها المنصور للامام ابي العباس السبتي. الاعلام (1) 269.

وفوق هذا فان بعض الأفراد ساهموا كذلك في إنشاء المدارس، ونقصد بهذا البعض أبا الحسن الشاري الغافقي السبتي، ابتنى (7) المدرسة المنسوبة إليه ببلده سبتة، ثم أراد ان يجعلها على النسق الجاري بالمدارس ببلاد الشرق، فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن.. حلة الطلة ع 300. اختصار الأخبار (9)، ويفيد هذا المصدر الثاني (5): أنه كان لهذه المدرسة بقعة محبسة على دفن من يموت من طلبتها الغرباء.

(8) بيت الطلبة: ويلحق بالمدارس بيت الطلبة بمراكش، الذي ورد ذكره عرضا في عنوان الدارية (161)، ثم في النفح (1) 369، وقال عنه إنه امتحن به ابن عات في كتاب مسلم، ولست أدري عن هذه المؤسسة أكثر من هذا، وهو يفيد انها كانت معهدا للمناظرة وامتحان الواردين على مراكش.

تلك ما وقفت عليه من المدارس. وما إليها المؤسسة لهذا العهد فاذا ضمت للمركزين للتعليم المشار لهما أولا، تكون معاهد التعليم

حينئذ تنوع الى جوامع، وكتاتيب، ومدارس، بما فيها من عامة، وملكية وبحرية، وبيت الطلبة الملحق بها .

وبعد ان اؤكد ان الذي استفدته من غير ما مرجع ان منهاج الكتاتيب في هذا العهد كان جاريا على مذهب المغاربة في تعليم القرآن الذي ذكره ابن خلدون في المقدمة: 495، وهو الاقتصار على تعليم الولدان القرآن، واخذهم اثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه، بعد هذا نحاول فيما يلي ان نستعرض نظام الدراسة في هذا العهد.



مناهج التعليم واساليبه

وحسب تنوع مراكز التعليم بالمغرب لا بد ان تكون مناهجها مختلفة، فهناك مناهج للمدارس، وآخر للجوامع، وثالث للتعليم الاجباري. ومن المؤسف أننا لم نقف على نصوص تلقى الضياء واضحا على المسألة، فبعض المدارس كمدرسة تعليم فن الملاحة بالرباط، لم نقف من مناهجها على قليل ولا كثير، وبعض المدارس وكذا الجوامع مع التعليم الاجباري، عثرت بفقرات عرضية تلقى بصيصا من العلم على الموضوع، وهذا ما وقفت عليه على علاته.

(1) المدارس

من حسن الحظ أن صاحب الحلل الموشية أفادنا معلومات - وان كانت غير كافية - فهي قيمة وفريدة عن مناهج المدرسة العامة لتخريج الموظفين بمراكش قال 114: ورى - عبد المومن - الحفاظ: صغار الطلبة - بحفظ كتاب الموطأ؛ وهو كتاب أعز ما يطلب، وغير ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه؛ وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة من المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريد، فيأخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعموم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة؛ طول تربيعه نحو ثلاثمائة باع، ويوما يأخذهم بأن يحدقوا على قوارب وخوازيق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب، تارة بالعطاء، وتارة بالأدب.

وكانت نفقتهم وسائر مؤتتهم من عنده، وخيلهم وعددهم كذلك، ولما كمل له هذا المراد فيهم عزل بهم اشياخ المصامدة عن ولاية الاعمال والرئاسة، وقال: العلماء أولى منكم فسلموا لهم.

وفيد الأستاذ يوسف أشباخ في تاريخ الاندلس (2) 51 أن هؤلاء الحفاظ كانوا يدرسون أيضا عدة كتب في إدارة الولايات ومزاولة شئون الدولة دراسة حسنة. وارجع اليه (2) 248 و 252.

فهذا الكلام يصور لنا بعض منهاج هذه المدرسة، ويبين أنها كانت مخصصة لتخريج موظفين علماء كما قلنا أولا، كما أن الجوامع كانت

تخرج العلماء الآخرين، ولا يبعد أن باقي مدارس الموحدين (1)

- غير البحرية - عامة وخاصة؛ كانت مناهجها على غرار منهاج تلك المدرسة، وإن كانت المدرسة الملكية تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين

في اختيار أساتذتها، الذين نذكر منهم على سبيل المثال: أبا العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري المتوفي 555هـ، استأدبه السلطان - عبد المومن - بمراكش لبنيه. (التكملة 6: الجزائر) ع 175.

وأبا العباس أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي المتوفي بعد 560هـ؛ أدب بني عبد المومن، بغية 130. وأبا محمد عبد الله بن

أحمد بن محمد اللخمي الاشبيلي المعروف بابن علوش والمتوفي بعد 599هـ - استأدبه المنصور لبنيه، التكملة 1421. وأبا محمد عبد الله

ابن سليمان ابن حوط الله الانصاري الحارثي البلسنسي 549 - 612هـ،

استأدبه المنصور لبنيه. تكملة 1435، وأبا الحسن علي بن محمد

ابن يوسف الفهري اليابري الضرير المتوفى: 617هـ، أدب ولد السلطان بمراكش. تكملة 1892.

(1) لا ينبغي ان تتناول المدارس بيت الطلبة الذي لم اقف من نظامه على اكثر مما ذكرت 5: سابقا.

(2) الجوامع

والجوامع كانت كبارا مثل القرويين وجامع سبتة، وكذا جامعا مراكش ومكناس، وجوامع كبريات المدن المغربية الأخرى، كما كانت - طبعا - جوامع صغار.

وكانت العادة أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبار إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته، وكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة، حسبما يؤخذ هذا من النشر المخطوط، ورقة 286 نسخة - المكتبة الاحمدية - بفاس، وكان أسلوب التدريس عندهم ممتازا، وكان يقوم على التدريج بالمتعلمين في مدارج التعليم، ومن أمثلة هذا ما جاء عن الأستاذ أبي علي الشلوين أنه دخل مراكش فوجد الشيخ الجزولي النحوي يدرس في مسجده علم العربية، فلما قعد إليه اذا بين يديه حلقة من المتبدئين يقرئهم على قدر أهامهم، فالتقى عليه سؤالا فاجابه بجواب متوسط على قدرهم، ثم ارتفعوا فجاءت حلقة أخرى للنجباء الشادين، فكان يلقي حينئذ الاسئلة فيجيبه بغاية التحقيق والتدقيق هـ. نقله في القانون ص 126 - 127 .

ومن أمثلة هذا ايضا، ما جاء عن الحفيد أبي بكر بن زهر الأندلسي الإشبيلي 507 - 595، وهو ممن أقام بمراكش من المغرب مدة وتوفي بها، الأمر الذي يمكنه معه ان ينشر مثل افكاره الآتية:

قال في عيون الأنباء في طبقات الاطباء (2) 69 - 70 : كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى إليه من الطلبة إثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب، فترددا إليه ولزاماه مدة، وقرأ عليه شيئا من كتب الطب،

ثم إنهما أتياه يوما ويبدأ أحدهما كتاب صغير في المنطق...

وكان غرضهم أن يشتغلوا فيه، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال: ما هذا؟ ثم أخذه ينظر فيه فلما وجدته في علم المنطق رمى به ناحية، ثم نهض إليهم حافيا ليضربهم، وانهمزوا قدامه، وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في شتمهم وهم يتعادون قدامه إلى أن رجع عنهم عن مسافة بعيدة، فبقوا منقطعين عنه أياما لا يجسرون أن يأتوا إليه. ثم انهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض أصلا، وأنهم إنما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزوا بطاحيه وعبثوا به وأخذوا منه الكتاب قهراً، وبقي معهم ودخلوا إليه وهم ساهون عنه، فتخادع لهم وقبل معذرتهم، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب.

ولما كان بعد مدة مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاعتناء بها، ولا يخلوا شيء من ذلك، فلما امتثلوا أمره، واتقنوا معرفة ما لئار به عليهم، وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها، كانوا يوماً عنده وإذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق، وقال لهم الآن حلتم لأن تقرؤوا هذا الكتاب وأمثاله علي وأشغلهم فيه.

ومما يذكر من مناليج التعليم الجامعي: أن التلاميذ كانوا أحراراً في إلقاء الأسئلة على الأستاذ، وانظر في ذلك إلى ما جاء في ترجمة أبي ذر الخشي من التكملة رقم 1098: قد منع تلاميذه التبسط في السؤالات، وقصرهم على ما يلقي إليهم دون استزادة؛ ولم يكن ذلك لأحد من أهل عصره.

كما كان التلاميذ أحراراً في اختيار الأستاذ الذي يقرؤن عليه، يشير لهذا ما فعله طلبة سبتة مع أستاذها أبي علي الرندي؛ فإنه لما ورد عليها الأستاذ أبو علي ابن عاشر الملقب بقريعات، مال إليه ناس من طلبتها، وزعموا أنه أبسط عبارة من الرندي وأسهل القاء، فاستجاب إليهم غيرهم. حلة الصلة رقم 126. ولم تخل دروسهم في هذا العهد من المناظرة:

هذه الطريقة التي بالغ ابن خلدون في الثناء عليها في مقدمته تحت عنوان: فصل في أن التعليم للمعلم من جملة الصنائع، ص 375 وما بعدها، وفيما سيأتي في مبحث علم المناظرة نذكر أسماء طائفة من العلماء الذين كانوا مبرزين في هذا الفن.

(3) التعليم الاجباري

وهذا نوع آخر من مناهج التعليم لدى الموحدين، وهو الذي وضعه عبد المومن للتعليم الاجباري، ويقوم هذا الفن على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة.

ولقد بالغ عبد المومن في هذا الامر؛ فجعله حتما لازماً على كل مكلف - الرجال والنساء - الأحرار والعبيد - ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت البربرية - التوحيد - أما الذين يفهمون العربية؛ فكان لزاماً أن يقرأوا عقيدة ابن تومرت العربية - المرشدة - وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره، وملازمة قراءته وتعاهده، كما أكد على العوام ومن في الديار في

حفظ أم القرآن وما تيسر من القرآن، وألزم نوابه أن يقدموا علماً
أمناءً من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر. «مجموع رسائل
موحدة، 131 - 133 و 137.

وزيادة في الاهتمام بهذا الأمر، نرى عبد المومن يشرف بنفسه
على مباشرة هذا النوع من التعليم الإجماري بمراكش ونواحيها،
ويكتب إلى نواحي المملكة الأخرى يقص عليها عمله هذا، ويأمرها
بأن تحتذي حذوه، وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج. إرجع إلى
المصدر المذكور 52 - 54.

ويلحق بكتابي المهدي المقررين في التعليم الإجماري، «مجموع
أحاديث الجهاد، الذي أمر يوسف العلماء بتدوينه ليملى على الموحدين
ليدرسوه، فكان يمليه على الناس بنفسه، وكان كل واحد من
الموحدين والسادة يجي بلوح يكتب فيه الإملاء. معجب 167.

وكذا مجموع أحاديث الصلاة وما يتعلق بها الذي جمعه بأمر
يعقوب طائفة من العلماء، فكان يمليه بنفسه على الناس ويأمرهم
بحفظه، وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من
العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السنني من الكسا
والأموال معجب 184.

(4) كتب الدراسة

(أ) التفسير. الحديث. السيرة .

الكتب الخمسة: صحيح البخاري، صحيح مسلم (1) . سنن أبي داود (2)، سنن الترمذي، سنن النسائي، مسند البزار الكبير. (صلة الصلة 300 التكملة 2006 الدر النفيس 351. الاعلام (1) - 237. (3) 42 الجذوة 334)

موطا مالك، (حلة 208، 242، 300. الدر النفيس 351)، موطا ابن تومرت أعز ما يطلب، (الحلل الموشية 114)، أحاديث الجهاد التي أمر يعقوب المنصور بجمعها، (معجب 167)، الشهاب للقضاي المسمى بشهاب الأخبار في الحكم والأمثال والاداب من الاحاديث النبوية، للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاي، (التكملة 1608. الجذوة 263)، سيرة ابن إسحاق بتهديب ابن هشام، (الصلة 300).

(ب) الفقه. الأعلان - التصوف :

الأحاديث التي جمعها ابن تومرت في الطهارة، أحاديث الصلاة التي امر يعقوب بجمعها، (المعجب 184). الاحكام الصغرى لعبد الحق، (التكملة 1067. زهرة الآس 48 الدر النفيس 351).

النواذر لابن أبي زيد، (مقدمة ابن خلدون 393)، كتاب ابن يونس، (المقدمة 393 المعجب 185)، تهذيب البراذعي للمدونة، (جذوة 254). رسالة ابن أبي زيد، (الديباج 129 - 130. الاعلام (1) - 288). تأليف عباد بن برجان في الفرائض، (التكملة 1674). البرهان لامام الحرمين، (الصلة 242). التلخيص مختصر التقريب والارشاد له،

(1) وكان اشيع من سابقه لما علم من عبادة علماء التراب به واكباهم عليه . انظر المقدمة 387

(2) كان له شيوخ في هذا العهد كما يؤخذ من المعجب 185

(التكملة 1062)، المستطى المغزالي، (الدياج 142)، مرجز ابن الكتاني،
 (التكملة 1062)، الإرشاد لامام الحرمين، (التكملة 868، 1062)
 عقيدة ابن تومرت العربية - المرشدة - (رسائل الموحدين 132)، عقيدته
 البربرية: التوحيد - القواعد - الامامة - الاثنان لابن تومرت ايضا، (الحلل
 80). العقيدة البرهانية للسلاجي، (الجدوة 289). شعب الإيمان
 للقصري، (التكملة 1495. الجدوة 247) الإحياء للغزالي، (السلوة 3)
 73) رعاية المحاسبي، (الجدوة 282، 294، 333)
 (ج) النحو، اللغة، القرآت، الأدب، الحساب:

كتاب سيويه، (تكملة 122. الإعلام 3) 192)، الجمل بشرحه
 لأبي بكر العبري، (التكملة 751)، شرح أبيات الجمل، نكت على
 شرح الأعلام لشواهد كتاب سيويه، الاثنان لابن هشام اللخمي السبتي،
 (التكملة 1063. البغية 19)، مقدمة الجزولي المسماة بالقانون، (الصلة
 95)، شرح أبي ذر على غريب السير لابن اسحاق، (تكملة 1098)
 المذهبة في الحلي والشياخ وغيرها لابن اصبع الازدي، (تكملة 962).
 شرح ابي عمرو العافقي على قصيدة الحصري فى القرآت، (التكملة
 1152)، المنصف في رسم هجاء المصحف، (شرح ابن عاشر على مورد
 الظمان) رسالة القلم والدينار لابن ماكولا، (التكملة 1674)، مقامات
 الحريري، (التكملة ط. الجزائر 461)، مقصورة ابن دريد بشرح ابن هشام
 السبتي، (التكملة 1053. بغية 19)، صفوة الآداب وتختة ديوان كلام
 العرب للجراوي، (التكملة ط. الجزائر 323). لب الباب في مسائل
 الحساب لابن الحسن إبن فرحون القيسي، (صلة 238. جدوة 306)
 منظومة ابن الياسمين في الجبر، (التكملة 1492، الجدوة 237.
 الدخيرة 39).

هذه الكتب هي التي امكنني الآن استخراجها من المصادر
المشار لها تصريحاً في الأكثر وتلويحاً في الأقل.

ولن هذه الكتب وإن لم تستوعب كل كتب الدراسة في
هذا العهد، ولم تتناول كثيراً من كتب الفلسفة بسائر أنواعها التي
كانت شائعة في هذا العصر، ولم تتناول كتب كثير من العلوم
الأخرى، فإنها بالرغم من ذلك تعطينا مثالا يدل على ما وراءه.

(5) ملاحظات

تبين مما ذكرنا عن مناهج التعليم وأسايبه لهذا العهد أمور
جديرة بالاهتمام، فإن عبد المومن نشأ التلاميذ الذين جمعهم في مدرسته
على حفظ كثير من الكتب.

وكان هؤلاء التلاميذ كأبناء ليلة واحدة، وكانوا يمرنون
على أنواع الرياضات، ويربون بالأدب نارة وبالعطاء أخرى، وكانت
نفقتهم وسائر مئوتتهم على حساب عبد المومن - كما رأينا في التعليم
الجامعي؛ أنهم كانوا يتدرجون بالتلاميذ في مدارج الشقيف - وفي
التعليم الإجباري أنه كان حتى بالبربرية، وتناول حتى النساء

ولا نرى أن نذكر بهذه النقط البارزة في تلك المناهج والأسايب،
دون أن نعلق عليها في شيء من التوسع؛ ونبين أن الموحدين تأثروا
بالغزالي شيخ إمامهم ابن تومرت في شيء غير قليل من تلك الأنظمة،
فإنهم قلده (1) في إدماج الرياضة في مناهج التعليم، هذه المسألة التي
أهملت بأوروبا في القرون الوسطى، وأحيائها الموحدون تبعاً للغزالي
الذي يقول في الأحياء: (3) 63 :- ويعود الصبي في بعض النهار المشي

والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل... وينبغي أن يوزن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جليلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يبيت قلبه، ويبطل ذكائه، وينقض عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً - وأنهم كانوا يرمون بهذا إلى (2) قرن الخدمة العسكرية والتمارين في فنون الحرب بالتعليم، ذلك أنهم كانوا يخشون أن يؤدي الانقطاع للعلم والدرس إلى إضعاف الهمم. وتطور الحماسة الحربية لدى المغاربة انظر تاريخ الاندلس (2) 51.

كما تأثروا بالغزالي أيضاً في (3) مزج الأدب بالعطاء، وفي هذا يقول في الإحياء (3) 68: ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، فإن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سرّاً ويعظم الأمر فيه... ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه.

وتأثروا به أيضاً في (4) مراعاة التدريج في ترقية التلاميذ من رتبة إلى رتبة، وهذا كلام الإحياء في الموضوع (1) 51. وفيه يقرر أنه يطلب من المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخط عليه عقله... وأنه ينبغي أن يلقي إلى المتعلم القاصر الجلي اللائق به، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه...

وإن الموحدين لم يقفوا عند تقليد الغزالي؛ فقد ابتكروا

(5) التعليم الإجباري الذي لم يفكر فيه باوربا إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (م)، وجروا على منهاج (6) التعليم بأكثر من لغة، و (7) سنوا التعليم المجاني بأوسع معانيه، فإن عبد المومن - كان زيادة على قيامه بنفقات التعليم - يقوم إلى جانب ذلك بنفقة التلاميذ ومثولتهم وخيلهم وعددهم كما تقدم لنا.

وكانوا يراعون (8) وحدة السن في التلاميذ: الذين كانوا في مدرسة عبد المومن ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة واحدة، وكذا اهتموا (9) بالحفظ في هذه المدرسة اهتماما ظهر اثره في نبوغ حفاظ كبار في العهد الموحي في مختلف العلوم، وسوف يمر بنا ذكر زمرة كريمة من هؤلاء في تضاعيف الحديث عن العلوم وآداب.

وبعد هذا نبه - تعليقا على إدخالهم النساء في التعليم الإجباري لئلا أنهم لم يقفوا بالمرأة عند هذا الحد من التثقيف، بل وسعوا نطاق تعليمها، وضربوا بناتهم مثالا لما ينبغي ان تكون عليه المرأة المغربية، ومن بنات الخلفاء المثقفات التي حافظ عليها التاريخ (زينب بنت يوسف بن عبد المومن) حرم الامير عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن، أخذت عن ابي عبد الله بن ابراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة سائبة الرأي فاضلة معروفة بالشفوف على نساء زمانها، وترجمتها في (التكملة وزوائدها عدد 2122).

وكما ضربوا ذلك المثل الملكي لتعليم المرأة، كذلك نراهم يولون النساء المثقفات على عهدهم التفاتا خاصا يفتحون ابوابهم في وجوههن ويصلونهن، ويزيحن ظلماتهن ويستمعون - هم وبعض امرائهم - لأدهن، بل لقد وظفوا بعضهن معلمات بقصر الخلافة.

وعلى سبيل المثال نذكر (1) الأديبة الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية

الغرناطية، كانت أستاذة وقتها، وانتهت إلى أن علمت النساء في دار المنصور، وتوفيت بمراكش آخر سنة 586 الاحاطة (1) 318.

ومما قالته في عبد المومن وانشدته ارتجالا بين يديه:

ياسيد الناس بامن يؤمل الناس رفده

امنن على بطرس يكون للدهر عدة

تخط يميناك فيه الحمد لله وحده

التكملة 2891 النفح (2) 430.

وكتبت الى السيد ابي سعيد أمير غرناطة تهنئه بيوم عيد:

ياذا العلى وابن الخليفة والإمام المرتضى

يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا

وأناك من تهواه في قيد الانابة والرضى

ليعيد من لذاته ما قد تصرم وانقضى

النفح (2) 433.

و (2) الادبية اسما العامرية الإشبيلية، كتبت إلى عبد المومن رسالة تمت إليه فيها بنسبها العامري، وتسأله رفع الإنزال عن دارها، والاعتقال عن مالها، وفي آخرها قصيدة أولها:

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا امير المومنيننا

اذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فيها شجونا

ومنها: رويتم علمه فعلتموه وصنتم عهده فغدا مصونا

زوائد التكملة 2880. النفح (2) 493 .

و (3) الادبية الشلبية - لم يعرف اسمها - كتبت الى السلطان

يعقوب المنصور تتظلم من ولاية بلدها وصاحب خراجها:

قد آن ان تبكي العيون الابية ولقد أرى أن الحجارة باكية
ياقاصد المصّر الذي يرجى به ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه ياراعيا ان الرعيّة فانيه
ارسلتها هملا ولا مرعى لها وتركتمها نهب السباع العافيه
شلب كلا شلب وكانت جنة فاعادها الطاغون نارا حاميه
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال: انها القيت يوم جمعة على مطنى المنصور، فلما قضى الصلاة
وتصفحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها وامر للمرأة بصلة، زوائد
التكملة 2890. النفع (2) 494

ومن النساء الاندلسيات اللاتي دخلن المغرب لهذا العهد واتطن بأعلامه
وتوفين به: (4) امرأة تسمى خيرونة او خدونة، كانت فقيمة سالحة.
ومما يذكر من مفاخرها أن باقتراحها وضع الامم السلاجبي
عقيدته الشهيرة، توفيت سنة 594، ودفنت خارج باب الفتوح بازاء قبر
الفقيه دراس ابن اسماعيل، (مشاهير أعيان فاس في القديم) المنسوب
لابن الاحمر (خ) الجذوة 290. السلوة (2) 183 .

وتتابع هذه الملاحظات ببيان أن منهاج الموحدين في التعليم
كان يقوم على (II) اختصار مراحل الدراسة، وهذا ما يفيد ظهور
نوايع مبكرين على عهدهم.

وثبت من هؤلاء ابا محمد عبد الله ابن المعلم تولى
خطابة القرويين - وناهيك بها إذ ذاك - وسنه 18. سنة، قرطاس
42، وصاحب المعجب عبد الواحد المراكشي كان من هذا الرعيل
كما يفصح عن هذا كتابه المذكور، وكذا صديق له، فقد اثبت لهذا
الصديق في المعجب (212 - 213) رسالة فائقة كتبها من انشائه وهو لا

زال لم يحتلم بعد، يضاف لهؤلاء الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف
المزدغي الفاسي العالم الجامع المؤلف الكبير، توفي وهو ابن 32 سنة
فقط. جذوة 138 - 139 .

وكثيرا ما نرى الموحدين يهتمون بهذا النوع من النوابع المبكرين،
فالوزير بن عطية واخوه ابو عقيل اللذان بلغا في اول الامر مبلغا كبيرا
لدى عبد المومن، قتل وسن الاول 36 سنة، وعمر الثاني 23 سنة، كما
يذكر هذا في الحلة السيرا لدى ترجمة عبد الله بن خيار الجياني.
وفي الندوة الأدبية التي أقامها عبد المومن فوق جبل
الفتح، أنشد بين يديه الشاعر أبو عبد الله محمد بن غالب البلمسي
المعروف بالرصافي قصيدته المطولة، وسنه اذ ذاك لا يبلغ العشرين
سنة، معجب 142، كما أنشد، في هذا اليوم الشاعر أبو خفص بن
سعيد العنسي قصيدة وهو لا يزال حدث السن، حلل 118 .

كذلك نرى ابن رشد الثاني يتولى القضاء بالمغرب والاندلس وهو
ابن 27 سنة، الإعلام (3) 47 - 48 ، وبـ عبد ابن رشد نرى
أبا محمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر الطبيب الاول للخليفة
الناصر وجليسه، يتوفى وهو لا يتجاوز 25 سنة، طبقات الاطباء (2) 74 .

(6) تذييل

ونختم الحديث عن مناهج التعليم في هذا العهد بمسائل ثلاث:
(1) استدعاء العلماء للتدريس، قال في المعجب 227: وقد جرت
عادتهم - الموحدين - بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم
من أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر.
ومن أمثلة هذه العادة ما جاء في المصدر المذكور 130: ان عبد

المومن كان يستدعي اهل العلم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، وما جاء في الإعلام (1) 65: أنه في سنة 585 استدعى يعقوب المنصور العلماء ورواة الحديث وأمرهم بتدريس حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي أسماء طائفة من هؤلاء العلماء نذكرهم كمثال لسواهم، وهم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي المالقي 509 - 581، (تكملة 1613)، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري المالقي يعرف بابن الفخار 511 - 590، تكملة 836، وأبو محمد عبد الله بن محمد الحجري المري 505 - 591، تكملة 1416، وأبو الحسن نجدة بن يحيى الرعياني الإشبيلي 521 - 597، تكملة 1276، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد القرطبي 520 - 595، تكملة 1853، إعلام (3) 47. قرطاس 131، وأبو بكر محمد بن عبد العزيز الرجيني السلافي الإشبيلي ت 607، بغية 67، وأبو جعفر أحمد بن عتيق البلمسي 554 - 607، بغية 145، وأبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي التلمساني المكناسي الأصل ابن الحجام 558 - 614، إعلام (3) 87.

(2) انهم كانوا يبالغون في اختيار العلماء المدرسين وامتحانهم واختبارهم، ومن أمثلة هذا ما كتب به عبد المومن إلى نوابه في شأن التعليم الإلزامي، فانه أكد عليهم في اختيار طلبة امناء، وأن يكونوا من الذين يراقبون ويحافظون، ولا يراعون في حقوق الله ولا يداهنون، انظر مجموع رسائل موحدية 137 .

وفي شرح رقم الحل 58: أن المنصور طلب يوما من قاضيه أن يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد وضبط أمر، فعرفه برجلين

قال في احدهما: وهو بحر في علمه، وقال في الآخر: وهو بر في دينه.
ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصرأ بين يديه، وأكذبا الدعوى،
فوقع المنصور على رقعة القاضي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ظهر
الفساد في البر والبحر.

(3) طلبة الموحدين: وكان المعتنون بالعلم قد قسمهم الموحدون
إلى طبقتين: طلبة المصامدة، وهم من عنى بالعلم من هؤلاء، وطلبة الحضرة
وهم العلماء من غير المصامدة من المغاربة والواردين على المغرب
معجب 130، 227.

وكان للطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه للمناظرة
وامتحان الواردين من اهل العلم، ويسمى (بيت الطلبة) حسبما
يؤخذ هذا مما مر لنا عن العنوان 161 والنفع (1) 369.

كما كان لهم رؤساء مختارون من علية العلم وجلتهم، نذكر
منهم على سبيل المثال: عبد الله بن محمد الأنصاري يعرف بابن
المالقي، 574، رأس طلبة مراکش تكلمة 1394. نيل 134، واحمد بن
عتيق البليسي ابا جعفر الذهبي 607، كان مزوارا للطلبة،
طبقات الاطباء (2) 77، وعلي بن محمد الكتامي الحميري الفاسي
يعرف بابن القطان 628، رأس طلبة العلم بمراكش، تكلمة 1920. نيل
207 جذوة 299، ووصفه في العنوان 21 بمزوار الطلبة بالمغرب.

ويفيد ابن ابي زرع في حوادث 573 ص 172: أن ابن المالقي
المذكور أولا، إنما كان رئيسا لطلبة الحضرة فقط، مما يشير الى انه
كان لكل صف من الطلبة رئيس خاص

II المجامع العلمية

أ - مجامع الخلفاء

كانت هذه المجامع يعقدها خلفاء الموحدين مع أشياخ علماء الموحدين، وكبار العلماء من الواردين عليهم من مختلف الجهات، معجب 227.

وكانت حافلة بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم، لما كان يحضرها من علماء وادباء وأطباء وفلاسفة من مغاربة، ومن الواردين على المغرب: مثل الذين جلبهم الى يوسف ابو بكر ابن طفيل، جاء في المعجب 158: ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار، وينبئه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم، وسلف لنا انهم جرت عادتهم - الموحدين - بالكتب الى البلاد واستجلاب العلماء الى حضرتهم من أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر.

ولم تكن هذه المجامع خاصة بفن، بل كانت تتناول غير ما فن، وكان لكل فن مجلس، فهناك مجلس للمذاكرة في الادب، ومجلس للمذاكرة في العربية، وهلم جرا. انظر طبقات الاطباء (2) 78 - 81.

وكانت تفتح بلقاء مسألة من العلم يلقيها الخليفة بنفسه، أو يلقيها باذنه بعض الجلسة من الحاضرين، وكان عبد المومن ويوسف ويعقوب يلقون المسائل بانفسهم، معجب 227.

وكانت هذه المجالس مطبوعة بطابع النظام حتى في ترتيب الجلوس، فكان يجلس إلى جانب الخليفة خطيبه فقاضي الجماعة

بمراكش فرئيس الاطباء، فأكبر علماء الحضرة، فباقي الاعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم. انظر طبقات الاطباء (2) 74.

وكان يجب أن يراعى الحاضرون في هذه المجامع ما يجب لمجالس الخلفاء من التزام الجد والمحافظة على الآداب الملوكية، فمن أبا بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري القرطبي ت 567، كان يحضر مجلس عبد المومن مع جملة العلماء، ويدي ما عنده من المعارف معظما موقرا، إلى أن أنشد يوما في المجلس أبياتا ثلاثة قالها يتغزل في شاب من اهل أغمات، فكان هذا سببا لأن هجره عبد المومن ومنعه من الحضور في مجلسه، بل وصرف بنيه عن القراءة عليه. البغية 62.

وكذا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهري المشتهر بالأصولي ت 614، ممن كان يحضر مجلس المنصور. فلن عدم مراعاة هذا ما يجب من الآداب في المذاكرة مع الخلفاء كان من أقوى الاسباب لا لأبعاده عن مجلس المنصور فقط، بل ولحلول النكبة التي لحقت مع ابن رشد إعلام (3) 85، وأخيرا كانوا لا ينفصلون عن هذه المجالس إلا على الدعاء، يدعو الخليفة ويؤمن الوزير جهرا يسمع من بعد من الناس، معجب 227.

وهذه أسماء بعض البعض ممن كانوا يحضرون هذه المجامع: (1) ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري يعرف بابن الصقر 492 - 569، التكملة 6. الجزائري 201، القرطاس 131 مكنيا له ابا عبد الله. (2) محمد بن عبد الملك بن طفيل ابو بكر ت 587، أخذنا من المعجب 158، (3) أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجد الفهري الإشبيلي 596 - 586. القرطاس ص 131. (4)، أبو زكريا

يحيى بن أبي الحجاج اللبلى ت 590، صلة الصلة 370. بغية 411، (5) محمد بن احمد ابن رشد الثاني القرطبي 520 - 595، نفح (1) 75. (6) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي الإشبيلي 507 - 595. نفح (1) 75، (7) أحمد بن عتيق البلنسي: أبو جعفر الذهبي 554 - 601، طبقات الأطباء (2) 81، (8) أحمد بن محمد بن هارون ابن عات النفري الشاطبي ت 609 ديباج 60. (9) يوسف بن أحمد ابن علي أبو الحجاج المريبطري ت 619، طبقات الأطباء (2) 78، (10) أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي الإشبيلي 564 - 635، قال في التكملة رقم 1006 ص 760: كان يتولى الإملاء في مجالس بني عبد المومن على الطلبة، (11) أبو عبد الله محمد بن حماد العجلاني الفاسي ت 609، كان المخصوص بقراءة كتب الحديث ودواوينه على الأمراء، تكملة 1068.

ب - مجامع الامراء

والأمراء هم الآخرون كانت لهم مجامع علمية، منها مجالس الأمير أبي زكريا يحيى بن يوسف بن عبد المومن، وممن كان يحضرها عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب المؤرخ الشهير، والكاتب الشاعر أبو اسحاق ابراهيم الزويلي، معجب 182. ومنها مجلس صاحب سبته الأمير أبي يحيى بن أبي زكريا الذي ضم ابا الوليد الشقندي وأبا يحيى بن المعلم الطنجي، حيث وقعت المناظرة في المفاضلة بين الأندلس والمغرب. وكان من فوائد هذا المجلس أن كتب كل من الشقندي وأبي يحيى الطنجي رسالته، انظر النفح (2) 138.

المعارف

بعد تلك المقدمات ننقل الحديث الى المعارف على عهد الموحدين ،
لنراها كيف كانت . في ظل طابعهم الثلاثي . ذاهضة مزدهرة ،
وسأتناولها على الترتيب التالي:

العلوم - الآداب - الفنون

العلوم

الدينية:

التفسير : العادي، بالإشارة - التجويد، القراءات، الرسم، الحديث،
الفقه : الظاهري، المالكي - الفرائض، الوثائق، اصول الفقه، اصول
الكلام، العصمة والمهدوية -

اللسانية:

اللغة، النحو، البيان : 3، العروض.

التاريخ:

السير، النسب، التراجم، تاريخ الملوك، تاريخ البلدان - الجغرافيا -

العقلية:

الطبيعية، العدد، الحساب، الجبر، المعاملات، الهندسة، التنجيم،
الهيئة، الميقات، الزيج، المنطق، الجدل، المناظرة، الكيمياء.
الطب، الصيدلة.

التفسير: العادى بسبب الإشراف

التجويد-القراءات-الرسم

ان الموحدين اهتموا بالتفسير اهتماما كبيرا، فاستدعوا المفسرين من الأندلس، ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة الذين نبغ منهم في هذا العهد مثل (1) أبي الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالي المراكشي ت 637، أقرأ الفاتحة في نحو ستة أشهر، وابتدع علما جديدا لقواعد التفسير، فكان يلقي في التعليم قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام، وعلى احكام هذه القوانين ألف كتابه: (مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل)، انظر عنوان الدراية 85 - 86، و (2) عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسى القصري ت 608، ألف في تفسير القرآن، وفسر مشكل الكتاب والسنة، صلة ع 44، و (3) أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي ت 655، له كتاب في تفسير القرآن انتهى فيه الى سورة الفتح، جذوة 138، و (4) أبي عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي ت 662، اختصر الكشاف للزمخشري وحذف منه مسائل الاعتزال، بغية 77. جذوة 144، و (5) أبي العباس أحمد بن فرتوت السلمي الفاسي، ت 660، ألف في الاعلام المهمة في القرآن كتابه: الاستدراك والإتمام، استدرك فيه على السهيلي في كتابه: التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام، جذوة 57

ولم يكن اشتغالهم في هذا العهد بالتفسير العادي فقط، بل تجاوزوه إلى الاشتغال بالتفسير بالإشارة. وممن اشتغل به الحرالي

الآنف الذكر، قال الذهبي: له تفسير فيه اشياء عجيبة، تكلم في وقت خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج، ورأيت شيخنا المجد التنسي يتغالى في تفسيره.

قال بعضهم والموجود من تفسيره من أوله الى قوله تعالى في آل عمران: فلما دخل عليها زكريا المحراب، وهو تفسير حسن، وعليه نسج البقاعي في مناسباته، وذكر ان هذا القدر هو الذي وقف عليه منه، نقله في النيل 202.

وينبغي ان يذكر مع الحرالي ابو محمد عبد الله بن محمد زغبوش المكناسي، وسيأتي لنا: أن له تاليفا في اثبات الهداية الموحدية، استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، وكذا بعض الافاضل الذين لقيهم ابن عربي الحاقمي بفاس سنة 591، فقد ذكر عنه في كتابه الفتوحات: أنه استخرج - بحساب الجمل - من آية (انا فتحنا لك فتحا مبينا): انتظار الجيش الإسلامي في غزوة الارك في السنة المذكورة: 591، الاستقفا (1) 179.

وكان تفسير ابن برجان - بالاشارة - له رواج في هذا العهد، ترجم في الطلة ع 370 لابي زكريا يحيى بن ابي الحجاج البلبي السالف الذكر ص 40، وبعد ما ذكر انه نشأ بمراكش انتقل اليها صغيرا... قال: وهو الذي استخرج من تفسير ابي الحكم بن برجان من كلامه على سورة (الم غلبت الروم) فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين، وحقق وعين ما كان اغنض فيه ابن برجان وأبهم، ووقف عليه المنصور فبقى مرتقبا له ومعنيا في نفسه به حتى كان ذلك على حسب ما قاله... ونقله في بغية الوعاة، ص 411.

التجويد. القراءات. الرسم

وكان للملك الموحدین اعتناءً بهذه العلوم، فقد كان يوسف - كما في المعجب - 155 - من احسن الناس إلفاظاً بالقرآن، ولما رفع الى يعقوب أبو بكر يحيى بن محمد بن خلف الهوزني الاشبيلي - نزيل سبتة (ت 602) أراجيزه الحسان في القراءات والتجويد ومخارج الحروف أجازها المنصور عليها، طلة ع 376.

وممن ألف في القراءات على هذا العهد من المغاربة أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي (ت 656)، صنف شرح الشاطبية. شذرات الذهب (5) 283 - 284.

ودون فيطامن استوطن المغرب أبو عمر ومرجى ابن يونس الغافقي الأندلسي الأصل، كان ساكناً بطنجة وأقرأ بها وبسبتة، وله شرح على قصيدة الحصري في القراءات، تكلمة 1152، وفي هذا العصر اقترح طلبة مراکش على المقرئ أبي الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي سكين المغرب: أن يضع لهم تاليفاً في الرسم، فنظم لهم في أيام قليلة رجلاً في رسم هجاء المصحف، سماه المنصف، ودعا في طالعه لعبد المومن وأولاده، انظر أوائل شرح ابن عاشر على مورد الظمان، وأبو الحسن هذا له ترجمة في زوائد التكملة تحت عدد 2330.

وبعد هذا نلفت النظر إلى أن اعتناءً الموحدین بالقرآن لم يقف عند حد الاشتغال بالتفسير وما ذكر بعده، وأنهم أضافوا لذلك أن أنشأوا المحافظة على القرآن الكريم حزباً منه يقرأ يومياً بعد صلاة الصبح والمغرب، حسبما أمر بهذا يوسف في سائر البلاد التي تحت طاعته. جذوة 47.

الحديث

وكذا ازدهر الحديث في هذا العهد ازدهارا لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا ظهر في استدعائهم للمحدثين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه الى جانب المحدثين المغاربة، كما يعلم مما سلف

وظهر ايضا ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم وبخاصة أيام يعقوب، جاء في المعجب 188: ونال عنده - يعقوب - طلبه الحديث ما لم ينالوه في أيام أبيه وجده. هذا الى أن غير واحد من خلفائهم وأمرائهم كانوا محدثين حفاظا، فيوسف كان يحفظ أحد الصحيحين، معجب 155، ويعقوب كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها، نفح (2) 99، والمأمون كان معدودا من حفاظ الحديث لم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود، قرطاس 161. الاستقصا (1) 200، وكذا الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن، قال في المعجب 207: لم أر في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر.

ومن الأدلة الأخرى لنفاق علم الحديث في هذا العهد قصة امتحان ابن عات المذكورة في عنوان الدراية 161. والنفح (1) 369 ببيت الطلبة بمراكش، فإنها تدل بدورها على عناية القوم بالحديث وامتحان الواردين عليهم من أهله، ولقد كان من أثر هذه النهضة أن ظهر بالمغرب محدثون كبار، مثل (1) أبي الخطاب ابن

دحية السبتي، كان يقول إنه حفظ صحيح مسلم كله، الشذرات (5) 160.
وقد امتحن علماً مصر حفظه للحديث فذكروا له أحاديث
بأسانيد حولوا متونها، فأعاد هذه المتون المحولة وعرف عن تغييرها.
ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية، عناون
الدراية 161. نفح (1) 369، و (2) عبد الرحمن بن محمد من اهل
ناحنا بالغرب الأقصى يعرف بالمكنولي، قال في التكملة 1657: يقال
إنه كان يستظهر كثيراً مما ألف في الآثار والأخبار وغيرها، و (3)
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الشريف الصقلي
الفاسي، قال في الذيل والتكملة كان راوية للحديث حافظاً لمتونه
بصيراً بعلمه عارفاً برجاله مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم، عنى بهذا
الشأن أتم عناية، ودرسه ببلده الإعلام (3) 79، و (4) أبي الحسن
علي بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي يعرف بابن القطان
من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية
بالرواية، قاله في التكملة 1920.

وقال ابن سعيد في رسالته التي ذيل بها رسالة
ابن حزم في مفاخر الأندلسيين: إن له في تفسير غريب
الحديث وفي رجاله مصنفات، وإليه كانت النهاية والإشارة
في عصره.. نقله في النفح (2) 135، و (5) أبي إسحاق إبراهيم
ابن محمد بن أحمد بن هارون المرادي الفاسي، كان أحفظ اهل
زمانه للحديث، وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف
العالي، يقوم على الكتب الخمسة قياماً حسناً، ويتكلم على أسانيد
ومتونها، لم يكن له في عصره مثيل، جذوة 84. الشذرات (5) 315،
و (5) أبي عبد الله محمد بن يحيى ابن صاف يعرف بالمواق

المراكشي ثم الفاسي الآتي الذكر، كان -كما في الذيل والتكملة-
حافظا محدثا... ألف شرح مقدمة صحيح مسلم، وجملة من شرح الموطأ
وقف عليها ابن عبد الملك وقال إنها في غاية من النبل وحسن
الوضع، الإعلام (3) 142



الفقه

الظاهري - المالكي - الفرائضي - الوثائقي

ان الفقه ازدهر على هذا العهد ازدهارا كبيرا، وبلغت النظر فيه أنه نهض في مظهرين، وشاع في مذهبين: المذهب الظاهري، والمذهب المالكي، وفيما يلي تفصيل حركة المذهبين:

المذهب الظاهري

وهذا المذهب كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة اخص لدى يعقوب المنصور، فقد بلغ من إعجابه به إلى حد أن كان يقول عن أحد اشياخ الظاهرية الكبار - ابن حزم - إن كل العلماء عيال عليه النفج (2) 162.

ويعقوب هذا هو الذي حمل الناس بالفعل على المذهب الظاهري واحرق كتب المالكية، وفاقا لما في المعجب - وسنورد عبارته - ولما في التكملة ع 870، وقوانين ابن جزير والفكر السامي (4) 9 - 12. وجعل ابن خلكان في الوفيات (2) 432. وقلده في الشذرات (4) 322 - عمل يعقوب هذا إلزاما للاجتهاد واستنباط القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس، ولا شك أن هذا غلط من ابن خلكان ومقلده نشأ من بعد الدار، وإنما الذي أمر به يعقوب هو العمل بالمذهب الظاهري كما تنطق به عبارة غير واحد ممن ذكرنا أولا.

ومن المفيد ان ننبه الى ان الذي قام به يعقوب

هو إبراز الفكرة وتنفيذها بصفة عملية، أما الفكرة نفسها فقد كان مسبوقةا بها، وثبت المراكشي في المعجب 185: ان كلامن يوسف وعبد المومن كانا يميلان إلى هذا الرأي، إلا أنهما لم يظهرهما وأظهره يعقوب، قال: يشهد لذلك عندي ما أخبرني به غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر بن الجدة، أنه أخبرهم قال: لما دخلت على أمير المومنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي يا أبا بكر: أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، رأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة اقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا ! في أي هذه الاقوال هو الحق؟! وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي وقطع كلامي أبا بكر ليس الا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داوود - وكان عن يمينه - أو السيف، فظهر في أيام يعقوب هذا ما خفي في أيام أبيه وجده. هذا كلام المعجب، ونعلق عليه بأن الواقع أن مسألة الظاهرية ليست آنية من عبد المومن ثم يوسف فقط، وإنما منشؤها الأصلي من ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، يدل لهذا ما اثبت به ابن الخطيب في شرح رقم الحلل (57): أن ابن تومرت كان ينكر كتب الرأي والتقليد، ومراد ابن الخطيب بهذا الإنكار أنه كان ينتحل المذهب الظاهري كما تنطق بهذا تحلية الونشريسي في المعيار (2) 361، للمذكور بالظاهري.

ويؤيده أيضا نسبه إليه في كتاب بيوتات فاس لأبي زيد عبد الرحمن الثاني الفاسي وعبارته (5) :
 إن ملوك الموحدين قد تحلوا بالمذهب المعروف لهم: من إنكار الرأي

في الفروع الفقهية، والعمل شرعا على محض الظاهرية، وجروا على ذلك سنين بطول ايااتهم إلى ان افترضوا، اولهم في ذلك مهديهم أول ملوكهم...

فقد تبين أن هذه الفكرة متأصلة من ابن تومرت، ولكنها لم تظهر إلا على عهد يعقوب الذي ابرزها ونفذها بالفعل، ولا يرد على هذا ما جاء في القرطاس 124، ثم في الاستقصا (1) 150: أن عبد المومن أمر سنة 555 بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، وكتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس والعيدوة. وبيان عدم ورود هذا النص على ما قررنا، أنه لا يفيد إلا أن عبد المومن أمر بما ذكر ليس إلا، ولم يذكر أن هذا الأمر نفذ، لأن التنفيذ غير واقع، ولو وقع لكان جديرا بالتصريح به والتنصيص عليه، فكأن عبد المومن أمر بذلك أولا ثم رأى أن الأمر سابق لأوانه، فوقفت المسألة عند حد الأمر، ولم تدخل إلى حيز التنفيذ، هكذا ينبغي أن يفهم كلام القرطاس والاستقصا وما على شاكلتهما، وذلك هو المحمل الذي يتعين أن يحمل عليه، وبه يحصل الجمع بينه وبين كلام المؤرخين الذين ذكروهم في صدر هذا الموضوع، بما فيهم من عبد الواحد المراكشي الذي كان معاصرا للدولة الموحدية، ومطلما على أخبارها.

وبعد هذا نذكر تفصيل عمل يعقوب في حمل الناس على المذهب الظاهري وتحريق كتب الفروع، وتوعد من خالف أمره في ذلك، قال في المعجب (184): وفي أيامه - يعقوب - انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر باحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، فعمل ذلك، فأحرق

منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون. وكتاب ابن يونس
ونواذر ابن ابي زيد ومختصره. وكتاب التهذيب البرادعي. وواحدة
ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها.

لقد شهدت منها - وأنا يومئذ بمدينة فاس يوتى منها بالأحمال فتوضع
ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي
والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة...

وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة،
وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، ومما يفسر تلك
العقوبة الشديدة التي توعد بها يعقوب من اشتغل بالفقه المالكي، ما
ورد في كتاب بيوتات فاس المذكور آنفا (5) ان الموحدين -
والمراد يعقوب - أوقعوا المحن بذوي الفروع وقتلوههم وضربوههم
بالسياط، والزموهم الأيمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما على
أن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه.

ولقد استفاد الفقه من هذه الحركة الظاهرية أن نبغ في هذا
العصر فقهاً عظاماً، يستنبطون الفقه من معين الكتاب والسنة، ويفتنون
ويحكمون بها، وكان على رأس هذه الطائفة يرعاها ويشجعها
يعقوب المنصور، ذكر عنه السرخسي في رحلته: أنه يتكلم في الفقه
كلما بليغا، وأن فقهاً وقته كانوا يرجعون إليه في الفتاوي، وله
فتاوي مجموعة. نقله في النفح (2) 99.

كما ذكر عنه في المعجب 184: أنه أمر جماعة
من كان عنده من العلماء المحدثين بجمع احاديث من
المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن ابي داود،
وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن ابي شعبة، وسنن الدراقطني،

وسنن البيهقي: في الصلاة وما يتعلق بها، على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة، فاجابوه إلى ذلك، وجمعوا ما أمرهم بجمعه، فكان يمليه بنفسه على الناس وياخذهم بحفظه وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السنني من الكسا والاموال. وبعد يعقوب نذكر بعض المغاربة الآخرين الذين كانوا حينئذ ينتحلون هذا المذهب، ومنهم ابو الحسن علي بن محمد بن خيار البلنسي الاصل الفاسي 541 - 605، التكملة 1917. الذخيرة السنية 40 - 41. الجذوة 306 - 307، وأبو اسحاق إبراهيم بن احمد بن هارون المرادي الفاسي يعرف بابن الكماد، ت 663. الجذوة 84، وكذا ابو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي 547 - 633، وأخوه ابو عمرو 546 - 634، وصفهما بن خلكان في الوفيات (2) 432 بالاجتهاد، والمراد أنهما كانا معتنقين للمذهب الظاهري اخذاً مما تقدم، وقد صرح بهذا في الشذرات (5) 160 في حق ابي الخطاب.

وكما استفاد افقه ما ذكر، كذلك ظهرت تأليف مهمة في احاديث الاحكام استدراكاً ونقداً وشرحاً، فقد استدرک القاضي الصقلي على الاحكام الكبرى لعبد الحق احاديث كثيرة في اكثر الكتب رأى ان صاحب الاحكام أغفلها، وأنها أولى بالذكر مما أورده، الإعلام (3) 79، وألف ابن القطان كتاباً في بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام، صلة الصلة 268، وتعقب كتاب ابن القطان تلميذه ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن صاف يعرف بالمواق، الإعلام (3) 141، كما شرح احكام عبد الحق الإمام المزدغي الفاسي انتهى الى الاقضية منها، وسمى الشرح أنوار الأفهام في شرح الأحكام، الجذوة 138.

الفقه المالكي

وبقدر ما كان الخلفاء الموحدون محبين للمذهب الظاهري، كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة وغيرهم ساخطين على هذا المذهب، متعصبين للمذهب المالكي مناصرين له، وللتدليل على هذا ثبت فيما يأتي جملة مهمة من المغاربة الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكي لهذا العهد، ومنهم أبو محمد يشكر بن موسى الجورائير الغفجومي ثم الفاسي فقيهاً 598، له حواشي على المدونة، (وفيات ابن قنفذ 46)، عبد الرحيم بن عمر اليزناسني كان يعيش نحو أواخر القرن السادس، امام في فقه مالك محصل له، العنوان 153 - 154 الجدوة 266 - 267، أبو الحسن علي بن سعيد الرجرجي كان حياً في التاريخ المذكور، ألف مناهج التحصيل فيما للأئمة على المدونة من التأويل، (النيل 200)، إسحاق بن إبراهيم الغماري السعيد المجابري قاضي فاس وسبنة وشلب. ت 609، فقيه مالكي حافظ للرأي قائم على المدونة، يقال: انه كان يستظهرها، التكملة 5، الجزائير ع 517. الجدوة 99. النيل 99، أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف الفاسي الشهير بابن زانيف ت 612، كانت تشد إليه الرحال في مذهب مالك، وكان يقوم على المدونة قياماً تاماً، الجدوة 254، عبد الله بن محمد التادلي كان حياً سنة 623. كتبت المدونة من حفظه النيل 138، أبو محمد صالح الفاسي، ت 631 (1)، قيد عنه شرح الرسالة انظر الديباج 129 - 130، أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي المعروف بالحرالي

(1) هذا ما أثبتته الديباج في تاريخ وفاة أبي محمد صالح الفاسي. والصحيح انها كانت عام 653 انظر الداوة (2) 43.

المراكشي ت 637، من أعلم الناس بمذهب مالك، ولما ظن فقها عصره أنه لا يحسن المذهب أقرأ التهذيب وابدأ فيه الغرائب، وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع... العنواف 85 - 86. النيل 201. النفع (1) 411.

فهذه زمرة كريمة من الفقهاء المغاربة الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكي ويتمصبون له، ولم يكن هذا في المغرب وحده، وإن الأندلس هي الأخرى كان لمذهب مالك بها رواج حينئذ، ونذكر من رجاله على سبيل المثال: سليمان بن عبد الواحد الفرناطي ت 599، ألف في الفقه كتاب المسائل المجموعة على التهذيب للبرادعي في تسعة أسفار، الديباج 123، وجعفر بن عبد الله الخزاعي الأندلسي ت 624، حفظ نصف المدونة وأقراها، النيل 103، وعبد الله بن علي الانصاري الاوسي الأندلسي الاستجي، ت 646، كان يدرس الأصول ومذهب مالك بلرشيلية وقرطبة، التكملة 1461. بل إن بعض أعلام المالكية لهذا العهد جاهر بالرد على شيخ الظاهرية الثاني أبي محمد ابن حزم.

ومن هذا الصنف أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري الاشبيلي المعروف بابن زرقون 539 - 621، ألف المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم، التكملة 967. الديباج 286. الشذرات (5) 96، ومن هذا الصنف أيضا من تقلد القضا في عاصمتي الموحدين: مراکش بالمغرب وإشبيلية بالأندلس، وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري المهدوي الأصل ت 631، له بدوره كتاب في الرد على ابن حزم، دل على فضله وعلمه، قاله في التكملة ع 1812 ونقله في النيل 184.

الفرائض . الوثائق .

ويتبع الفقه الفرائض والوثائق، وقد كانا مزدهرين على هذا العهد، وممن ألف في الفرائض أبو الحسن الحرالي الآنف الذكر، قال في عنوان الدراية 87: إن كتابه في علم الفرائض المسمى بالوافي ما ألف مثله في ذلك الفن، لأنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأخصر بيان وأوضح تبيان، كما ألف في الوثائق أبو الحسن علي ابن يحيى الصنهاجي الريفى، (ت 585): مختصره المقصد المحمود في تلخيص العقود، وهو كتاب مفيد جدا قال في التكملة رقم 2378: وكثر استعمال الناس له لجودته.



اصول الفقه - اصول الدين

المهدوية والعصمة

وعلم اصول الفقه شاع في هذا العهد بعد أن لم يكن كذلك بالمغرب، يقول ابن رشد في كتابه فصل المقال (5) : ان علم الأصول يسروح في جميع البلاد ما عدا المغرب.

أما الكلام فكان قبل إنما هي العقيدة السلفية، وفي هذا العصر تقرر علم الكلام على مذهب لإمام الموحدين - ابن تومرت - في التوحيد، وكان مذهبه فيه كما في المعجب (121) على مذهب الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئاً من التشيع، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيئاً.

ولقد ازدهر العلمان في ظل الموحدين ازدهاراً، ناهيك منه أن الأندلسيين صاروا يرحلون إلى المغرب لقراءة هذين العلمين، ترجم في التكملة 1445 لابي محمد عبد الله بن باديس بن عبد الله اليجهي الأندلسي من أهل جزيرة شقر ت 622، فذكر عنه أنه ارتحل إلى فاس فلقى بها أبا الحجاج بن نموي وطبقته من أهل علم الكلام وأصول الفقه فأخذ عنهم.

ومن أسياف المغرب في هذين العلمين أبو الحسن علي بن محمد بن خليل الأندلسي المعروف بابن الإشبيلي ت 567، قال في الطلة في ترجمته 205 : وهو الذي قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة فاس حيث أنه استقر بها، وكذا أبو عمرو عثمان بن عبد الله

القيسي القرشي المعروف بالسلالجي ت 564 تلميذ ابي الحسن قبله ، واليه مرجع الفاسيين في علم الكلام، صلة 205، وهو منقذ اهل فاس من التجسيم، جذوة 290، ومختصره في التوحيد المسمى بالعقيدة البرهانية والذي لا زال مخطوطا مشهورا-محفوظ في بعض المكاتب، وقد شرحه أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله الانصاري الاشبيلي المعروف بالخفاف كما في كشف الظنون .

وممن نبغ من المغاربة الآخرين في العلمين أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي يعرف بابن الكتاني ت 596، كان إماما في علم الكلام وأصول الفقه، وله رجز في هذا العلم الثاني ، تكملة 1062، وأبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الاشبيلي الأصل الفاسي يعرف بابن الخطار ت 611، صنف في أصول الفقه كتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب البيان في تنقيح البرهان، وأرجوزة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار، تكملة 1918، وأبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد الفاسي يعرف بابن نهوي 554 - 614، كان إماما في علم الأصول والكلام . تكملة 2099



المهدوية والعصمة:

ومن نوابغ علم الكلام مسألة المهدوية والعصمة عن ابن تومرت، فقد كانت هذه في أول امر الموحدين عقيدة مفروضة لا مجال للبحث فيها، ولقد بلغت من السمو أول أيامهم إلى حد أن بعض علمائهم وضع تاليفاً في اثبات الهداية الموحدية، استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز. قال ابن غازي في الروض الهتون بعد هذا: **كان شيوخ** طلبة الموحدين يسألون أبداً عن هذا الكتاب، ويثنون عليه وعلى واضعه، إلى أن ولي الشيخ أبو إبراهيم لإسماعيل بن محمد بن أيوب المجالي عمل مكناس، وكان متشيعاً للمهدي حافظاً لتأليفه قائماً على مذهبه من طلبة الموحدين وزهادهم، وكان ناقداً عليهم غير راض عما ابتدعوه، فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به، فكان آخر العهد به. ومؤلف هذا الكتاب **كما في المصدر المذكور** هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حماد بن زغبوش المكناسي؛ وله ترجمة في التكملة تحت عدد 1486 باسم عبد الله بن حماد...

ولئن بلغت هذه العقيدة أول أيام الموحدين المبلغ الذي وصفنا، فلنأخذ لم تلبث أن اخذت تفقد صولتها. فقد كان يعقوب المنصور لا يرى رأي الموحدين في ابن تومرت ولا يقول بعصمته، أرجع إلى المعجب 193. ثم أجهز على هذه العقيدة تماماً لإدريس المامون الموحدي الذي لعن ابن تومرت فوق منبر جامع المنصور بمراكش؛ وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه بالغوي المذموم، وأعلن نبذ أمره النحس - على حد تعبيره - ثم كتب إلى جميع البلاد بتغيير سير المهدي وما كان ابتدعه للموحدين وجرى عليه عملهم وسير ملوكهم، انظر القرطاس 161.

العلوم اللسانية

لغة - نحو - بيان - عروض

ان هذه العلوم كانت شائعة في هذا العهد ولا سيما اللغة والنحو، فقد بلغا غاية كبرى، وكان على رأس اعلامهما يوسف بن عبد المومن الذي كان من احفظ الناس للغة، واسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، معجب 155 .

وفيما يخص اللغة ظهر لهذا العهد لغويون حفاظ كبار، منهم محمد بن عبد المنعم الضهاجي السبتي لم يستظهر احد في زمنه منها ما استظهره. بغية 69. وكذا ابو الخطاب بن دحية، عنوا 160. واخوه ابو عمرو بن دحية، حلة 140 الوفيات (1) 482. النفع (1) 366.

ومن اللغويين الذين كانوا موجودين بالمغرب في هذا العصر ابو القاسم علي بن حمزة البصري، فقد اكتشف بمكتبة القرويين أوراق من تأليف في اللغة بخط مؤلفه المذكور كتبها برباط الفتح سنة 586. وكذا أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن اصبغ الأزدي المعروف بابن الاناصف 563 - 620. كان له حظ وافر من اللغة، وله فيها: أرجوزته الألفية الفائقة، المسماة المذهبة في الحلى والشيات وغيرها نظمها بمراكش كما في النيل 229، توجد نسخة منها بمكتبة برلين تحت عدد 5370، وأخرى بمكتبة الاسكوريال بلسبانيا تحت عدد 518، وفي بعض المكاتب بالمغرب، وقد نشرت كاملة ضمن التقويم الجزائري لسنة 1330 = 1912، صحائف 73 - 122. وعلم النحو كذلك ازدهر حتى في مدن المغرب الثانوية، ومنها

طنجة التي كانت احد مراكز النحو، وفي هذا العهد رفع نحاتها ومقرؤها سؤالاتهم للنحويين والمقرئين من اهل اشبيلية حيث انتدب للجواب عنها في تقييد خاص ابو بكر محمد بن خلف بن محمد ابن صاف اللخمي الاشبيلي 512 - 586، تكملة 821، بغية 40 ولا شك أن رئيس نحاة المغرب في هذا الوقت هو أبو موسى عيسى ابن عبد العزيز الجزولي المراكشي، ت 607 له: المقدمة المشهورة التي ألفها إماماً على الجمل للزجاجي، وتسمى بعدة أسماء: بالمقدمة الجزولية وبالجزولية، والقانون، والاعتماد، والقانون، وهي كتاب جليل في هذا الفن، قال عنها ابن خلكان في الوفيات (1) 498: ولقد أتى فيها بالمعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتغال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، ومع هذا فلا تفهم حقيقتها، وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلها رموز وإشارات.

ولقد سمعت من بعض أئمة العربية المشار إليه في وقته وهو يقول: أنا ما أعرف هذه المقدمة، وما يلزم من كوني ما أعرفها أن لا أعرف النحو، وبالأجملة فإنه أبدع فيها، وقال عنها ابن مالك أول شرحه عليها: إن كتاب القانون في النحو وإن كان صغير الحجم، لكانه كثير العلم مستعصى على الفهم، مشتمل على لباب الأدب، منطوق على سر كلام العرب، متضمن للنكات الغريبة التي خلا عنها أكثر شروح النحو... ذكره في كشف الظنون (2) 505.

ولهذه الأهمية الكبرى التي للجزولية اشتهرت من عصر مؤلفها وقرئت عليه، صلة 95، كما وضعت عليها شروح عديدة في عصر

المؤلف ومريب منه، كتبها غير واحد من المغاربة والأندلسيين وغيرهم، وفي مقدمة المغاربة الجزولي نفسه، شرحها في مجلد كبير أتي فيه بغرائب وفوائد، وفيات (1) 499

ومن الأندلسيين إمام نحاتهم في عصره: أبو الحسن بن عصفور الحضرمي 597 - 663، بغية 357، وكان هذا الشرح يحتاج إلى تكميل فأنه الشاوبين الصغير الأندلسي تلميذ بن عصفور، ت حدود 660، بغية 80

وسوى هؤلاء كثير، وسيمر بنا بعضهم، وتوجد طائفة من شروح الجزولية بمكتبة القرويين بفاس أرقام: 1181، 1185، 1192، 1198، وبمكتبة الإسكوريال من إسبانيا أرقام 2، 36، 190.

ومن مؤلفات الجزولي الأخرى: شرح أصول ابن السراج، بغية 339، أما بقية النحاة المغاربة، فمنهم أبو القاسم عبد الرحمان بن القاسم بن يوسف المغيلي الفاسي ت 619، من أعيان أهل هذا الشأن، تكملة 1656. بغية 300 - 301، وأبو العباس أحمد بن محمد ابن خلف البكري السلوي ثم المراكشي 581 - 641، له: شرح على المفصل، وشرح على الجزولية، بغية 156 - 157، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن داوود التادلي المراكشي، مبرز في النحو متحقق به درسه طويلاً، الإعلام (3) 144، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المصمودي ت 649، النحوي الإمام، كان يقرأ كتاب سيبويه. بغية 301، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي يعرف بالصرفي ت 651، من أئمة هذا الشأن وحفاظه، بغية 114. جذوة 138.

ونختم ذكر علماء النحو بعد علماء اللغة بعالم لغوي نحوي،

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي ت 570، كان قائما على العربية واللغة، وألف فيهما: كتاب الفصول والجمال في شرح أبيات الجمل، وإصلاح ما وقع في شواهد سيبويه وفي شرحها - للأعلم - من الوهم والخلل، وكتاب لحن العامة، وشرح الفصيح لثعلب، تكملة 1053. بغية 19 - 20.

وعلم البيان هي الأخرى كان لها بعض رواج على هذا العهد، سيما في أواخره، ولا شك أن من أبرز شخصياتها حينئذ أبو عبد الله محمد بن العابد الانصاري الفاسي، أخذ ما تقدم عنه لدى الحديث عن علم التفسير: أنه اختصر الكشف للزمخشري... فإن هذا الكتاب لا يمكن أن يقرأه فضلا عن أن يختصره إلا من كانت له ملكة قائمة في هذه العلوم. وراجع مقدمة ابن خلدون 507.

وكذلك علم العروض كان شائعا في هذا العصر، وممن ألف فيه ممن استوطن فاسا: أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجباني الاصل 535 - 604، له فيه تأليف صغير، التكملة ع 1098.



التاريخ

السير - النسب - التراجم

تاريخ الملوك - تاريخ البلدان

إن التاريخ ازدهر بهذا العهد ازدهارا يتناسب ومقام الموحدين العلمي، وظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين المغاربة كتبوا تواريخ عديدة، وتناولوا كثيرا من فنون التاريخ، فألفوا في السير، والأنساب، والتراجم، وتاريخ الملوك، وتاريخ البلدان، وفي غير ذلك، وهذا تفصيل الفنون التي ألفوا فيها:

فن السير:

من حسن الصدق أن نجد - في هذا العهد - مغربيين من أهل سبتة كانوا من أول من ابتكر التأليف في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأول هذين المغربيين هو أبو العباس أحمد بن محمد الغزفي اللخمي 557 - 633هـ؛ (1) الدر المنظم في مولد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وقد أكمله ولده أبو القاسم، ذكر فيه بعض ما خص به النبي (ص) وفضل به، وما امتن به عليه وعلى أمته.... انظر: أزهار الرياض (2) 375 - 376، توجد نسخة منه بالمكتبة الزيدانية العامة بمكناس في مجلد كبير.

أما المغربي الثاني فهو أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية الكلبي المعروف بابن الجميل 547 - 633هـ، ألف (2) كتاب التنوير، في مولد السراج المنير. أنظر وفيات الأعيان (1) 482. والنفح (1) 371.

ومن مؤلفات المغاربة الأخرى في السير: (3) اللدعة في ذكر
 أزواج النبي (ص) وأولاده السبعة، تصنيف أبي عبد الله محمد بن
 قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي ت 603،
 السلوة (3) 269، (4) كتاب نهاية السؤل، في خصائص الرسول،
 (5) الآيات البينات، في ذكر ما في أعضاء رسول الله (ص) من
 المعجزات، ومن ملحقات السير: (6) كتاب الإعلام المبين، في
 المفاضلة بين أهل صفين: الثلاثة لأبي الخطاب ابن دحية، نفح (1) 371
فن النسب:

وهذا الفن كان به مزيد اعتناء في هذه الدولة، ومن مظاهر
 هذا ما ذكره أبو القاسم الزياتي في كتابه: تحفة الحادي المطرب،
 في رفع نسب شرفاً المغرب (خ): فإنه بعد ما ذكر أن منصب النقابة
 في بني أمية وبني العباس كان يعدل منصب الوزارة، وأفاض في
 هذا، قال: وكذلك كان شأن النقابة بالمغرب أو قريب منه أيام
 لمتونة والموحدين... كما ذكر قبل هذا عند حديثه عن بيت آل
 عبد الرحمان من ذرية السيد عبد الله بن المولى ادريس الثاني: أنه
 كان في هذه العائلة نقيب الإشراف أيام الموحدين.

ومن التثايف التي وضعت في النسب لهذا العهد: (7) كتاب
 الأنساب في معرفة الأصحاب، لمؤلف مجهول كان يعيش في هذا
 العهد، وقد عثر الأستاذ: م ليفي بروفنسال في مكتبة الاسكوريال
 على تاليف مقتبس منه فأخرجه وصححه وترجمه للفرنسية ونشره
 سنة 1928 ضمن: (كتاب اخبار المهدي للبيدق)، (8) تقييد أبي عبد
 الله المراكشي المعروف بالأصولي في الشرفاء العمرانيين، وبعض
 وفيات الاعيان، وغير ذلك من الأمور المهمة، الإعلام (3) 86.

التراجم:

وزيادة على ما ذكر، فقد قامت لكتب التراجم سوق في هذه الدولة، ومنها:

(9) ذيل الصلة البشكوالية لأبي العباس أحمد بن يوسف ابن فرتوت السلمي الفاسي ت 660 عن نيف وثمانين سنة، وهو كتاب خفي، وإن كان مؤلفه لم يتفرغ لتنقيحه وتصحيحه، جذوة 56، ومما يدل على أهميته، ما ذكره الأستاذ بروفنسال في تصديره للقسم المطبوع من صلة الصلة: إن أهم مأخذ ابن الزبير في مجموعته اثنان: تاريخ الملاحى. والذيل لابن فرتوت الذي هو من أشياخ ابن الزبير نفسه، قال: فكاد ينقل من كتاب الذيل في كل ترجمة من تراجم مجموعته، ويذكره قائلا: قال الشيخ في الذيل، ومن كتب التراجم: (10) اختصار المدارك لابي عبد الله بن حماد السبتي تلميذ القاضي عياض، ولا نعلم عن هذا المؤلف شيئا⁽¹⁾، كما أننا لا نعلم عن المؤلف سوى أنه من جملة مراجع صاحب الديباج، وهو الذي نبه إليه أولا ص 361، ثم من مراجع مؤلف الدر النفيس الذي نبه عليه ثانيا ص 16، وأفادنا أنه بقي موجودا الى عصره، (11) كتاب المستفاد. في ذكر الصالحين والعباد. بمدينة فاس وما يليها من البلاد، في سفرين، تصنيف أبي عبد الله بن عبد الكريم التميمي المار الذكر، انظر عن نسبة الكتاب للمؤلف المذكور: السلوة (1) 9 د (3) 269،

(1) يوجد في الجذوة 304. والسلوة (3) 309 - 310 ترجمة لابن حماد السبتي، ولكن بكنية ابي الحسن، وهذا موزع ما كتبته: علي بن موسى بن حماد من اهل عبدة سبتويكنى أبا الحسن، من اهل العلم والأدب والنباهة، توفي بفاس سنة 564 ومولده سنة 503.

والفتوحات (1) 244، والغالب أن هذا الكتاب هو المذكور في كشف الظنون في حرف التاء باسم تاريخ فاس لابن عبد الكريم، (12) بستان العابدين، وريحان العارفين. في ذكر أهل الصفوة. والانتقطاع إلى الله بالخلوة، للمؤلف المذكور، السلوة (3) 269، (13) التشوف، إلى رجال التصوف، لابي الحجاج يوسف بن يحيى التادلي، ت 627، مخطوط محفوظ بعدة خزائن، (14) تاليف في صلحا المغرب للمؤلف المذكور، النيل 352، (15) تصنيف أبي الخطاب ابن دحية في رجال الحديث، رآه الغبريني وذكر أنه لابس به، عنوان 161، (16) شيوخ الدراقطني، لابي عبد الله محمد بن يحيى بن المواق المراكشي ثم الفاسي 583 - 642. الإعلام (3) 142.

البرامج والفهارس :

وهي في عداد كتب التراجم، ومما ظهر منها في هذا العهد:

(17) برنامج عبد الرحيم ابن الملجوم الفاسي 524 - 603، صلة 358،

(18) فهرسة محمد بن قاسم التميمي السالف الذكر، التي جمعت نحو من 100 شيخ، واسمها: النجوم المشرقة، في ذكر من أخذت عنه من كل ثبت وثقة (19) اختطها، تكملة 1064، (20) فهرسة إس أبي الصبر السبتي ت 609، صلة 201: تكملة 2380، (21) برنامج ابن القطان الفاسي ت 628، زوائد التكملة عدد 1920، (22) برنامج أبي العباس العزفي السبتي 557 - 633، صلة 357 زوائد التكملة 1903، (23) فهرسة أبي الحسن علي الغافقي الشاري ت 649، فهرس الفهارس (2) 251، (24) برنامج أبي العباس ابن فرتوت الفاسي، جـ ذوة 57.

والغالب أن من نوع فن التراجم (25) تقييد أبي زيد عبد الرحمن ابن الملجوم الفاسي الذي نسب له في ترجمته من التكملة 1652، وعبارته في تحليته: من أهل المعرفة بالشعر والأنساب والحفظ للتواريخ، وله في ذلك تقييد مفيد، وقد وقع النقل عن هذا التقييد في زوائد التكملة عدد 2119.

تاريخ الملوك:

(26) تاريخ الدولة العباسية، المسمى: كتاب النبراس، في أخبار خلفاء بني العباس، لابن دحية. نفح (1) 871، (27) كتاب المجموع في تاريخ الموحدين، لمؤلف غير معروف من أهل هذا العصر، اقتبس منه البيدق في تاريخه الآتي الذكر 81 - 84، وقد يكون من مصادر الأنيس المطرب ينقل عنه باسم بعض المؤرخين، كأنه لم يقف كذلك على اسم مؤلفه، انظر 113 و 114، (28) تاريخ الموحدين لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، وهو عبارة عن مذكرات شاهد عيان، كتبها المؤلف المذكور عن قيام الموحدين وانتهى إلى أواخر أيام عبد المومن، وهو مطبوع مترجم أيضا ضمن (كتاب أخبار المهدي للبيدق).

تاريخ البلدان:

(29) المعجب، في أخبار المغرب، لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي 581 - 625، مشهور مطبوع مترجم، (30) تقييد القاضي أبي الخطاب سهل بن القاسم زغبوش المكناسي في تاريخ مكناس، وهو أحد مصادر ابن غـازي خلال الروض الـهـتون.

وينبغي أن يلحق بهذا النوع (31) رسالة أبي يحيى ابن المعلم الطنجي في تفضيل المغرب على الأندلس، هذه الرسالة التي عارضها أبا الوليد الشقندي الذي فضل الأندلس على المغرب، وكان كل هذا بملجس الأمير أبي يحيى ابن أبي زكرياء والي سبتة، فلن ابا يحيى بن المعلم كتب رسالته المذكورة كما ينطق بهذا كلام النفع (2) 138 في حديثه عن هذه القصة، إلا ان رسالة الشقندي حفظها قومه وخلدوها، ورسالة أبي يحيى اهلها اهلها واضاعوها.

ونذيل الحديث عن التاريخ لهذا العهد بالتنبيه على أوهام وقع فيها المؤرخ الألماني يوسف أشباخ في كتابه : (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين)، عند تعرضه لبعض مؤرخي هذا العصر (2) 262، فقد ذكر : أن من مؤرخيه أبا علي بن رشيد، وابن ختم، وقد عاشا في أواسط القرن الثاني عشر، وعاصرا المهدي وحملوا عليه صراحة، وقد اختصرهما أبو مروان الذي عاش في القرن الثالث عشر، هذا كلام المؤرخ الألماني، ونعلق عليه أولا بأن الظاهر أن غالبه مأخوذ من الحلل الموشية 75 .

وعبارتها بعد ذكر نسب المهدي ابن تومرت الى علي بن ابي طالب : اثبت هذا النسب ابو علي بن رشيق في شجرة أنساب الخلفاء والامراء، وحققه ابن القطان، واختصره ابو مروان ابن صاحب الصلاة، فقد بينت الحلل الموشية أن المؤرخين الذين مسخ اسمهما الى ابن رشيد وابن ختم إنما هما ابن رشيق وابن القطان، كما أنها لا تنص على معاصرة هذين المؤرخين للمهدي، وسياتي ما يؤيد هذا في الجملة، وأخيرا تذكر الحلل أن ابن صاحب الصلاة إنما اختصر النسب ولم يختصر التأليفين .

وبعد هذا فمن هم هؤلاء المؤرخون: ابن رشيق وابن القطان وابن صاحب الصلاة؟ أما ابن رشيق فقد عقد له ترجمة في الجذوة 111-112 وسماه الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي يكنى أبا علي، مرسى الأصل، سبتي الاستيطان، وبعد ما وصفه بأوصاف عالية ذكر له: التاريخ الكبير. وميزان العمل. وغيره.

ومن هذا الغير شجرة أنساب الخلفاء والأمراء الذي نقلت عنه الحلل الموشية آنفا، وإننا لا نعلم شيئا عن التاريخ الكبير، كما لا نعلم عن شجرة الأنساب سوى أنه أحد مصادر الحلل، أما الكتاب الثالث: ميزان العمل، فهو أيضا من مصادر الأنيس انظر ص 114، وقد حظى بشي من الاعتبار من صاحب كشف الظنون فوصفه في العبارات التالية: ميزان العمل في التاريخ، اقتصر فيه على عدد الأيام من دول الملوك. ومن المفيد أن ننبه إلى أن صاحب الجذوة قال عن ابن رشيق إنه كان حيا سنة 777، ولا شك أنه سبقه القلم فجعل سبعمائة عوض ستمائة. كما أن صاحب الكشف التبس عليه ابن رشيق هذا المرسى ثم السبتي بابن رشيق القيرواني، فنسب ميزان العمل للثاني غلطا، والأنيس هو الآخر تصفه نسخه المتداولة بآب رشيق المويسي تصحيف المرسى.

أما ابن القطان فلا نعلم عنه أكثر مما ذكره الأستاذ م. ليفي بروفنسال في مقدمة (مجموع رسائل موحدية): أنه عثر على جزء من كتاب: (نظم الجمان) لابن القطان، يشتمل على تاريخ ابتداء الموحدين، وسيطع عن قريب، (ولم يطبع وقد مر على هذا الوعد زمن غير قريب)، هذا ما نعرفه عن ابن القطان.

وقد جاء في النسخ (2) 136 نقلا عن ابن سعيد ما يأتي:

وذكر ابن غالب ان الفقيه ابا جعفر بن عبد الحق الخزرجي
 القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة إلى أن انتهى
 في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المومن، قال ابن غالب: وفارقت
 سنة 565، والظاهر أن ابن عبد الحق القرطبي هو المترجم في
 التكملة باسم محمد بن عبد الحق بن أحمد بن عبد الرحمن
 ابن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي الفقيه، ارجع إليها عدد 729.
 كما جاء في ترجمة ابي الحسن ابن القطان المحدث
 الشهير المار الذكر أنه كان ذا كرا للتاريخ، انظر الصلاة ع 268 ص 132،
 فهل ابن القطان صاحب نظم الجمان واحد من الاثنين او ثالث
 لا نعلمه؟ هذا ما لم يترجح عندي فيه شيء، ثم تبين أن المؤلف هو ابن ابراهيم
 وبعد ابن القطان نحاول أن نعرف من هو ابن صاحب الصلاة؟
 إن هذه الكنية اطلقت على غير واحد من فضلاء الاندلسيين، ولكن
 صاحب التاريخ هو المترجم في التكملة عدد 1726 بالعبارات التالية:
 عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجي، يكنى
 ابا مروان و ابا محمد، ويعرف بابن صاحب الصلاة، وهو صاحب التاريخ
 هذا ما كتبه ابن الابار في ترجمة ابن صاحب الصلاة، وهو ابن لم
 ينص على تاريخ وفاته ولا ولادته، فقد ذكره بين تاريخ 580 وتاريخ
 608، مما يدل على ان وفاته كانت بين التاريخين، وكما لم ينص
 ابن الابار على ما ذكره، كذلك لم يبين نوع التاريخ الذي لابن
 صاحب الصلاة، وذرى المقري في النفع ينقل عنه في (1) 484 باسم
 تاريخ للموحدين، وفي (2) 136 يذكره باسم تاريخ في الدولة
 الممتونية، وجمعا بين كلام النفع، نرجح أن له تاريخين: في دولة
 المرابطين وفي دولة الموحدين، أو أن له تاريخا واحدا يتناول الدولتين،

والظاهر ان هذا التاريخ او تاريخ الموحدين، هو الذي يسميه مؤلف الانيس 114 و 116 : كتاب المن بالإمامة .

ونختم هذا الموضوع بذكر ترجمة مؤرخ لهذا العهد يحليه في الأنيس بمؤرخ دولة الموحدين، ويذكره بالقاضي ابي الحجاج يوسف ابن عمر، وقد وقفت له على ترجمة قصيرة في التكملة رقم 2826 ، وعبارتها : يوسف بن عمر-منسوب إلى جد-الأموي من اهل اشبيلية يكنى أبا الحجاج، له تاريخ .

ولم يذكر له وفاة ولا ولادة، ولكنه أوردته بين سنة 605 ونحو سنة 620، فتكون وفاته بين التاريخين ، ونجد النقل عن تاريخ ابي الحجاج في التكملة 1207، مسميا والده هناك عمر بالغين المنقوطة .

الجغرافيا

وكانت للجغرافيا دولة أيما دولة في هذا العهد، بما نوافر من السائحين والجغرافيين والجغرافيات، وبما اكتشف فيه من المجهول، وظهر فيه من الأفكار الجغرافية المبكرة.

ومما أذكى هذه النهضة: أن بعض خلفاء وأمراء الموحدين كان لهم - بدورهم - ذوق جغرافي خاص، ظهر في كثير من ملاحظاتهم ومخاطباتهم ومجالسهم، ومن هذا: أنه لما قال الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لأبي عمران موسى بن سعيد العنسي، ما عندك في قرطبة؟ قال له: ما كان لي أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها؛ فقال الخليفة: إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المنفسحة الكبيرة، والشوارع المتسعة، والمباني الضخمة المشيدة، والنهر الجاري، والهوا المعتدل، والخارج الناضر، والمحراث

العظيم، والشعراء الكافية، والتوسط بين شرق الأندلس وغربها. قال:
فقلت ما أبقى لي أمير المؤمنين ما أقول، النفج (1) 75 .

وقال الخليفة يعقوب المنصور لأحد رؤسأ أجناد الاندلس ما تقول في
قرطبة؟ فخطبه على ما يقتضيه كلام عامة الأندلس بقوله: جوفها
شمام، وغربها قمام، وقبلتها مدام، والجنة هي والسلام. - المصدر
(1) 75 ، وقال تاج الدين ابن حمويه السرخسي - حاكيا عن
يعقوب المذكور - وقال لي يوما: كيف ترى هذه البلاد؟ وأين هي من
بلادك الشامية؟ فقلت له: يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة جميلة مكملة،
وفيه عيب واحد، فقال: ما هو؟ فقلت: إنها تنسى الأوطان؛ فتبسم
وظهر إعجابه بالجواب، وأمر لي من غد بزيادة رتبة ، النفج (2) 100.

وقيل للسيد أبي يحيى أخى السلطان يعقوب لما انفصل
عن ولاية قرطبة : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال: مثل الجمل، إن
خفت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح، ما ندري أين رضاهم -
فمنقصه، ولا أين سخطهم فنتجنبه ، نفج (1) 75 ، وجرت مناظرة
بين يدي يعقوب المنصور بين الفقيه أبي الوليد بن رشد والرئيس
أبي بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة: ما
أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه
حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد
بيع آتاه حملت إلى إشبيلية ، المصدر المذكور (1) 75 .

وكانوا يهدون لأمرأ الموحدين رسائل من هذا النوع، ومن هذا رسالة
تتضمن المفاضلة بين بلاد الاندلس خاطب بها أديب الاندلس ابو بحر
صفوان ابن ادريس الأمير عبد الرحمن بن الخليفة يوسف بن عبد المومن،
وقد أوردها بنصها فى النفج (1) 80 - 83، وإن قصة التفضيل

بين المغرب والاندلس جرت في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى
ابن ابي زكريا صهر ناصر بنى عبد المومن ، وبأمره كان تدوين
هذه المفاضلة ، ارجع إلى النسخ : (2) 138 - 155 .

وإلى جانب هذا فلن ملوك الموحيدين قاموا بأعمال كان لها أثر في
تشجيع الرحلات والأبحاث الجغرافية، مثل توطيد الأمن بالمغرب حسبما
تقدم (ص17)، ومثل بناء المنازل من السوس الأقصى الى سوية بني
مطكود - قرطاس 138 ، ومثل ما قاموا به من تكسير بلاد المغرب
وأفريقية من برقة إلى بلاد نول-من السوس الاقصى-بالفراسخ
والأميال طولا وعرضا ، قرطاس سنة 554 - ص 126 ، ومثل حركة
الإحصاء التي كانوا يقومون بها ، وحافظ لنا ابن ابي زرع - ص 26 -
وغيره على نوع منها - بفاس - يعطينا أنموذجا من الإحصاء الذي
كانوا يقومون به في سائر المغرب بعد فاس .

السياحة

وكان للمغاربة غرام خاص بالسياحة ، ولوع بالتجول في
الأرض: طولها والعرض، شأن العرب إبان نهضتهم الكبرى، وشأن
الغربيين في نهضتهم الحالية ، وقد شهد لهم بهذا الاهتمام بالرحلة
والتجوال غير واحد ، نذكر منهم-الآن-الاستاذ برانشفيك الذي قال
في مقدمة كتابه عن رحلة عبد الباسط : ومن الطبيعي أن ينتج
المغرب الإسلامي مؤلفي الرحلات بوفرة عظيمة ، وينبع به عدد جم
من الرحالين الذين أثبتوا مشاهداتهم وتأثراتهم في تصنيف قيمة ،
فإن الأندلسيين والمغاربة كانوا يشعرون بدافع شديد ينزع بهم الى
كتابة ذكرياتهم ، وتسجيل ما يختلج بأنفسهم عن رحلتهم إلى الشرق
بقصد طلب العلم واداء فريضة الحج .

وقد كانوا يشدون الرحال الى الشرق بقصد زيارة البقاع المقدسة أولا ، وبالجاذبية القاهرة التي تستقدمهم كالمغناطيس لزيارة مراكز الدين، ومعاهد العلم الكبرى مثل مصر وسوريا والعراق، وقد نبغ هؤلاء في جميع العصور . (من مقال نشره العلامة البحثة الاستاذ عثمان الكعاك بمجلة الثريا السنة الاولى عدد (11) .

وما ذكره حضرة الأستاذ برانشفيك من أن المغاربة كان يدفعهم للرحلة للشرق طلب العلم واداء فريضة الحج، نلاحظ عليه أولا: أن سياحة المغاربة - في هذا العهد وغيره - لم تكن للشرق دائما وأبدا ، بل كانوا يقصدون نواحي أخرى غير الشرق ، وسنذكر كثيرا ممن رحلوا للسودان وسائر البلاد الأخرى .

ثانيا: أن دافع المغاربة للرحلة ليس هو العلم والحج فقط، بل كما كانوا يرحلون لهذين، كانوا يسيحون للتجارة، ومنهم من كان يرحل للبحث والاكتشاف أو للسفارة، ومنهم ملوك رحلوا بدافع الغزو والجهاد، أو التفقد والتعهد، ومن رحلوا في هذا العهد للبحث والاكتشاف. كما سيأتي لنا - الإدريسي، والمراكشي، وصاحب الاستبصار، وابن فاطمة.

أما سياحات المغاربة للتجارة في السودان وسائر البلاد الأخرى فمن شواهدنا قول الشريشي في شرح المقامات : وبها - غاذة - من تجار المغرب كثير ، يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر، ويقول الإدريسي في النزهة عن أهل أغمات : وهم أمليا تجار مياسير، يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال، الحاملة لقناطر الاموال من النحاس الاحمر والملون، والأكسية وثياب الصوف والعائم والمآزر، وضوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار، وضروب الأفاويه والعطر، وآلات الحديد.

وفيهما ايضا ، لدى كلامه على سبتة: ويصاد بمدينة سبتة شجر
الرجان، الذي لا يعدله صنف من صنوف المرجان المستخرج
بجميع أقطار البحار، وبمدينة سبتة سوق لتفصيله، وحكه وضعه
خرزا، وثقبه وتنظيمه، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد.
وكان الموحدون جدا يشجعون السياحة التجارية، ومن امثلة
هذا ما جاء في النفح (2) 100- من رسالة للامير الموحي ابي الربيع
سليمان بن عبد الله بن عبد المومن إلى ملك السودان بغانة، ينكر
عليه تعويق التجار، ومما جاء في هذا الكتاب: وقد بلغنا احتباس
مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة
إلى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا
لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية، لكننا لا نستصوب فعله،
ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق وثأني مثله.

السياحة البحرية

ولا ننسى أن ننبه هنا إلى أنه نشطت في هذا العهد السياحة
البحرية نشاطا كبيرا، حتى إنه بلغت أساطيل المسلمين على هذا
العهد من الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد،
انظر ما سيأتي عن مقدمة ابن خلدون في مبحث الفنون، وهنا
إلفات نظر لا بد منه، وهو أن العلامة سارطون في مقدمته لتاريخ
العلوم، يثبت أن البحارة المسلمين - على الأرجح - هم أول من استعمل
خاصية الاتجاه المغناطيسي في عمل الابرة في الاسفار البحرية، حسبما
نقله بعض الباحثين عن المقدمة المذكورة، (1) 741، فإذا لاحظنا
تفوق المغاربة في البحرية على هذا العهد، نرى أنه لا يبعد أن يكونوا
استعملوا بيت الابرة في عهد الموحيين.

الجغرافيا والجغرافيون

(1) الشريف الإدريسي السبتي

1166 = 562 — 1100 = 494

خرائطه - مؤلفاته

هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي السبتي، من نسل الامام ادريس الفاتح العربي الشهير، ولد بسبته - او نطوان سنة 494 = 1100، وتوفي في صقلية نحو سنة 562 = 1166.

إننا لا نعلم شيئاً عن نشأة الإدريسي وأساتذته، وإنما نعلم أنه بدأ أسفاره وهو في 16 سنة من عمره، وأخذ في قرطبة عن علمائها، فاشتهر في معرفة الهيئة، والجغرافيا، والفلسفة، والطب، والنجوم وقرض الشعر، ولقد كانت سلسلة تلك الأسفار التي بدأها الإدريسي في حادثة سنة طويلة جداً، فقد سافر إلى بقية بلاد الأندلس ومصر، وشمال أفريقيا وتغلغل فيها، وساح في آسيا الصغرى والقسطنطينية، ودرس خصائص أهل هذه البلاد وعوائدها، كما طاف في سواحل فرنسا وانكلترا، وبعد هذا توجه قبيل سنة 533 = 1138 إلى صقلية بدعوة ملكها روجر الثاني ملك صقلية وإيطاليا وانكردة وقلوية، كما يحليه بهذا الإدريسي طاعة النزهة.

(1) الخريطة الحائطية: وقد رغب روجر من الإدريسي أن

يرسم له خريطة عالمية كاملة، يبين فيها مواقع البلدان والبحار والأنهار والجبال إلى غير ذلك، فرسم له الإدريسي هذه الخريطة الحائطية وفق رغبته.

(2) المائدة الفضية - او الخريطة الأرضية : ثم رغب منه ثانيا

ان تحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة، فأحضر روجر الصنّاع المهرة الذين اتقنوا هذا العمل تحت رعاية الإدريسي ورقابته.

وبعد أن جعل الملك مقدار 400 ألف درهم من الفضة - كما روى خليل

الصفدي - تحت تصرف الإدريسي لهذا الغرض، اتخذ الإدريسي أقل من

ثلث المقدار مائدة مستطيلة، يبلغ طولها كما قدر الاستاذ ميللر ثلاثة

أمتار ونصف، وارتفاعها مترا ونصف متر تقريبا، ثم حفر عليها بواسطة

الصانع المهرة خريطة بغاية الدقة والإتقان، وتمام الموافقة لتلك الخريطة

التي رسمها من قبل، وكتب على هذه الخريطة الفضية بأحرف عربية

كل ما عرفت من البلدان المختلفة. ولقد بلغ ثقل هذه المائدة الفضية نحو

140 كيلو غرام، وكان الفراغ من هذا العمل الجليل في يناير 154م.

(3) كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، و كشرح

للخريطين، وتعليق عليهما، الف الإدريسي كتابه هذا، وهو يقسم - فيه

وفي الخريطة - الأرض المعروفة - اذ ذاك - إلى سبعة أقاليم او

مناطق، ثم يقسم كلا من هذه إلى عشرة أقطار متساوية (1)، فجاءت

70 قطرا، ضمنها 70 خريطة، لكل قطر خريطة، وطريقه في هذا التقسيم:

أنه ابتداء بوصف القسم الأول من الإقليم الأول، متدرجا من

الشرق إلى 10، ثم عاد إلى القسم الأول من الإقليم الثاني متدرجا

إلى العشرين، وهكذا سار في طريقه إلى أن تم الكلام على القسم

الأخير من الكرة، وهو القسم السبعون، وعند كلامه على كل

(1) هذا ما نقله هذا المصدر، أما المعلم البستاني في دائرته (2) 675 والدكتور يوسف

شعث - في مقال له نشره بمجلة المستمعي العربي (3) 15 - فيثبت أن الإدريسي قسم كل إقليم
إلى أحد عشر جزءا - لاهشرة - حيث أصبح العالم المعروف اذ ذاك يتكون من 77 جزءا او قطرا.

قسم منها حدده وبين موقعه، وتكلم عن مدنه وجباله، وبحاره وأنهاره، وعن كل ما يحويه من ماء وياض، وعن الدول التي تشغله، وعن سكانه وجنسياتهم وعاداتهم، وعما يعيش فيه من حيوان، وما ينبت من نبات، مبينا كثيرا من خواص ذلك، طبيعية وطبية، وقد وصف البحار وصفا مسهبا دقيقا، ووصف جزرها والبلاد التي تقع عليها، إلى غير ذلك.

ومما يذكر للإدريسي بالإعجاب، أنه حاول بتقسيمه الأرض إلى الأقاليم السبعة إثبات درجات العرض وتحديددها، وإنه افلح في هذا إلى حد كبير، واقد أثبت درجات العرض بعد قياسات صحيحة مطابقة للواقع، بمقدار يدعو المقدر للخريطة الإدريسية علميا إلى أن ينظر لها بعين الإعجاب والإجلال.

أما خطوط الطول فقد ترك الإدريسي إثباتها عن قصد، إذ تبين له أن مقادير المقاييس التي وصلت إليه غير صحيحة، ولأنه لم يتيسر له - بعد - إجراء قياسات أرضية لبيان درجات الطول، وقياس الكرة السماوية - وإن كان في الاستطاعة - فإنه لا يعطى نتيجة مقطوعا بها وخريطة الإدريسي تمثل القسم المعمور، وهو القسم الشمالي من الكرة الأرضية، وأضاف الإدريسي إلى القسم الشمالي من الكرة الأرضية، جزأ بسيطاً من القسم الجنوبي إلى درجة 16 جنوب خط الاستواء، هذا الجزء الذي تقع فيه منابع النيل، حيث يبين عليه منابع النيل بشكل واضح، يدل على مقدار براءته العلمية، وقد مد من الساحل الشرقي لأفريقيا نحو الشرق، وجعله حد المحيط الهندي من جهة الجنوب، ولم يلق هذا الجزء عناية من الإدريسي لخلوه من السكان...

كذلك لم يثبت الإدريسي درجات العرض إلى درجة 28 شمال
خط الاستواء، وإنما اكتفى بوضع أرقام بجانب أسماء البلاد التي
تقع في هذه المنطقة.

مآل الخريطين والكتاب المائدة الفضية :

ولقد ضاعت هذه المائدة خلال الثورة التي قامت سنة 555 = 1160م
على ابن روجر (فلهم)، كسرهما الثوار واقتسموها فيما بينهم.

الخريطة الحائطية :

وكما ضاعت المائدة الفضية، كذلك فقد الأصل للخريطة الحائطية،
وانما بقيت أجزاءها موجودة في قطع متفرقة داخل كتاب نزهة
المشتاق، موزعة في السبعين قطعة التي هي أقسام الأقاليم، أو مستقلة
بذاتها، ومجموع هذه القطع الموجودة إلى الآن يبلغ 255 قطعة،
كما ذكر الأستاذ فيلر - توجد بمكاتب باريس، واكسفورد،
واستانبول، ولينغراد، والقاهرة

وعن هذه القطع استخرج الأستاذ فيلر خريطة تامة مشتبكة
الأجزاء، وطبعها طبعة ملونة سنة 1928، وهي أول طبعة لها، وتتضمن
هذه الخريطة من أسماء المدن فقط، التي كانت مائجة بالعمران في
ذلك العصر 2064 اسما، (365) بأفريقيا، (740) بأوروبا، (959) بآسيا.
وهناك خريطة أخرى تدعى الخريطة الإدريسية الصغيرة طبعها
فيلر كذلك في مجموعته، وهي ليست للإدريسي وانما هي لابنه
محمد، وضعها سنة 588 = 1192م واسمها روض الفرج.

ولقد وجدها بعض الباحثين في استامبول في 73 قطعة، وإذا
وازنّا بينها وبين خريطة والده، فإننا نجده قد أخذها صورة طبق
الأصل عنها بشي يسير من التغيير، ومع هذا فقد فاقت عناية
والده في الرسم.

نسخ النزهة المخطوطة

كانت توجد نسخة كبيرة لها في دير الإسكوريال، فتلقت في
حريقه، ويقول المعلم البستاني في الدائرة بعد هذا : إنه كان مع
غريو في انكلترا النسخة الأصلية بكمالها مع عدة خارطات متقنة
الرسم، وإنه حصل المعلم باكوكا على نسختين عظيمتين منها، أتى
بهما من مصر.

أما النسخ المعروفة الآن من كتاب الادريسي، ففي مكتبة باريس
مخطوطان، واكفسورد مخطوطان، واستامبول مخطوط واحد في
ايا صوفيا، وعن هذا المخطوط الأخير نقل المرحوم زكي باشا نسخة
مصورة بالفوتوغراف محفوظة في دار الكتب المصرية، كما يوجد
بمكتبة القرويين جزء منها متضمن للخرائط والرسوم، وقد غاب هذا
الجزء عن علم كثير من الباحثين في هذا الموضوع، كما أن خرائطه
غابت عن علم الاستاذ ميللر.

ما طبع وترجم من النزهة

لم تطبع النزهة طبعة كاملة مع رغبة الأوربيين فيها وحاجتهم
اليها، وأول ما طبع منها مختصرها العربي، طبع في روما سنة
1001 = 1592م في صحائف 326، بعنوان نزهة المشتاق في ذكر

الأمطار والاقطار، والبلدان والجزر والمدائن والآفاق. وهو أول ما طبع بالعربية، ونشر بباريس سنة 1029 = 1619 م ترجمة هذا المختصر اللاتينية الناقصة التي قام بها المارونيان جيريل سيونيتا، وجون هرنيتا، كما ترجم أصل الكتاب الى الفرنسية عن نسخة مكتبة باريس الملكية ترجمة كثيرة الخطأ، قام بها امديه جويير، ونشرت الترجمة سنة 1252 = 1836 - 1256 = 1840.

وقد نشرت من النزهة أقسام بالعربية وغيرها على حدة، فطبع بالعربية المعلم باكوكا المبحث الذي يتعلق بمكة المشرفة مما استخرجه من النسختين اللتين اتى بهما من مصر، ثم أعاد طبع هذا المبحث ثانيا المعلم قاسيري، وطبع قسم من هذا الكتاب في بانور سنة 1205 = 1790. كما طبع القسم المختص بالأندلس تحت اسم ذكر الأندلس، تاليف شريف الإدريسي مع ترجمة كوندي له الى الاسبانية، مدريد 1214 = 1799، صفائف 234، 20.

وطبع أيضا في مدريد ومعه ترجمة إسبانية سنة 1299 = 1881، وطبع ببلر وصف الشام وفلسطين في ليبسيك 1244 = 1828، وطبعت القطعة نفسها في 1303 = 1885. صفائف 28، وطبع دوزي قسما منها فيه صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، ومعه مقدمة وترجمة وفهرس الاسماء، وشرح الكلمات الاصطلاحية الموجودة في الكتاب. وكلها بالفرنسية، وسمى الكتاب: صفة المغرب والسودان؛ مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن 1281 = 1864- صفائف 23، 391، 242، وكذلك طبعت قطعة تشتمل على مقدمة وصف البلاد التي هي الآن مملكة ايطاليا، ومعه ترجمة ايطالية، وشروح وتعاليق، روما 1296 = 1878. صفائف 15، 156، 144، ونشر منه العلامة الالماني هارتمان قطعا اخرى.

مميزات الخريطة وشرحها

إن الخريطة الإدريسية أقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ، وإنها قد امتازت مع شرحها بالمميزات الآتية:

(1) تجنب الإدريسي ذكر الخرافات التي كانت شائعة في العصر المتوسط، والتي تورط في ذكرها غيره من المؤلفين. ولقد كان من حنكته أنه إذا ذكر شيئاً خارجاً عن حدود العادة نسبته إلى ناقله، ثم أعقبه بكلمة احتياط كقوله: والقادر على كل شيء أعلم بما في هذا من الحقيقة؛ ولم يرسم ما كان شائعاً عند علماء الجغرافية مما يمثل الغرائب الخرافية، وطبعاً كان لتعاليم الإسلام الفضل الأكبر في هذا.

(2) انفردت الخريطة الإدريسية بأنها هي الخريطة الوحيدة التي نعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة حول البحر القزويني وصحراً العجم، في مدة من الزمن تبلغ نحو قرن، هذه المدة التي لولا خريطة الإدريسي لظلت حلقة مفقودة في تاريخ هذه البلاد.

(3) إن خريطة الإدريسي وحدها هي التي مثلت لنا دولة الإسلام العربية وهي في عصرها الذهبي قبل أن تجني عليها أيدي التتار الأثيمة.

ملاحظات

(1) لا ينبغي أن يفهم من وصف المائدة الفضية بالاستطالة ص 79 ما يفهمه ظاهر هذه العبارة: من أن لها طولاً وعرضاً، بل الواقع أنها كانت مستديرة، وممن صرح بهذا الأستاذ سيديو في خلاصة تاريخ العرب ص 229، والأستاذ جرجي زيدان في مختصر آداب اللغة العربية 184، ولكن استدارتها كانت على شكل اهليلجي على هيئة البيض، وهذا هو المراد باستطالتها حسب مذهب الإدريسي في تكوير الأرض، فإنه كان يعتقد أن الأرض مكورة على شكل بيضوي، ومما يؤكد هذا: أن الأستاذ مللر لم يقدر عرض المائدة الفضية، وإنما قدر طولها قاصداً به تقدير محيطها.

(2) شاع في غير ما كتاب: أن المائدة الفضية هي أول كرة عرفها التاريخ، وهذا كلام مخالف للواقع، ومما يردّه ما أثبتته العلامة درابرد الأستاذ بجامعة نيويورك الأمريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : أنه كان بالمكتبة الفاطمية بالقاهرة كرتان أرضيتان: أحدهما من الفضة، والأخرى من البرنز، قيل إن الأولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه، وإنها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب، اهـ. نقله في الدائرة الوجدية - 8 - 586 و 587، وفي غير هذا المكان. وأصل هذا الكلام لابن القفطي في أخبار الحكماء ص 286، فقد نقل في ترجمة ابن السبدي عنه: أنه عاين في مكتبة الفاطميين كرة نحاس من عمل بطليموس وعليها مكتوب: حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية، قال: وتأمّلنا ما مضى من زمنها فكان 1250 سنة، وكرة أخرى من عمل أبي الحسين الصوفي للملك عقد الدولة، وزنتها ثلاثة آلاف درهم، قد اشترت بـ 3000 دينار.

ثناء علماء الجغرافية على الخريطة الإدريسية وشرحها

وهذه كلمات تقدير وتنويه للخريطة الإدريسية وشرحها صدر
عن كبار علماء الجغرافية، ثبتها فيما يلي:

ان كتاب الإدريسي لا يمكن أن يوازن به اي كتاب جغرافي
سابق له، وان ثبت بعض اجزاء من المعمورة لا يزال هذا الكتاب
دليل المؤرخ والجغرافي في الأمور المتصلة بها. البارون دي سلان:

في عدد ابريل سنة 1841 من المجلة الاسيوية الفرنسية.

ان روجار الثاني والإدريسي بوضعها هذه الخريطة قد وضعوا
حجر أساسي في انتشار العلم الإنساني. كوزاد ميللر.

في خاتمة بحثه عن كتاب نزهة المشتاق.

وسيد كرايم الإدريسي ويخلد. إن لم يكن لخدماته في سبيل
النهوض بالعلم، فللتقدم العظيم الذي يمثلته مجهوده في ميدان
الجغرافيا العلمية، وحفاقة رأيه، وتجرده من التحيز، وموقفه الانتقادي
الدال على ذكاء نحو اسلافه. الدكتور يوسف شخت:

من مقال له عن الإدريسي بمجلة المستمع العربي السنة (3) العدد 15.
ولقد كانت جغرافية الشريف الإدريسي معول أهل اوربا في تقويم
البلدان أجيالا، ولا سيما عن بلاد الشرق، وقد رسموا خرائطها وقنابلوها
وترجموها الى سنتهم. جرجي زيدان: في تاريخ الآداب العربية.
تركت - خريطة الإدريسي - أثرا واضحا في المؤلفات والخرائط
الجغرافية التالية لهذا العصر في الشرق والغرب، وظلت مع شرحها

مات السنين المرجع الوحيد لعلما الجغرافيا من العرب والافرنج،
ومعينهم الذي يستمدون منه معلوماتهم محمد عبد الله ماضي:
في مقال نشر بمجلة الرسالة (مج) 2 عدد 65.

تتمة مؤلفات الإدريسي الجغرافية

(4) روضة الانس ونزهة النفس - أو كتاب المسالك والممالك -
وهو نسخة كبيرة منقحة من نزهة المشتاق، وضعها الإدريسي لابن
روجر الثاني (غليوم الاول) 1154 - 1166 م.

وقد فقد هذا الكتاب ولم يبق منه إلا بعض مقتبسات اقتبسها
أبو الفداء عند علامه على الجغرافية العربية، كذلك حدث عنه
الشاعر الاندلسي ابن بشرون، وذكر أن الإدريسي ألفه سنة
557 = 1161.

(5) أنس المهج وروض الفرج - أو روض الفرج ونزهة المهج -
كتاب جغرافي صغير، اختصره الإدريسي من الكتاب قبله، وهو لا
يزال باقيا إلى اليوم، محفوظا في مكتبة حكيم اوغلو علي باشا
بإستانبول رقم 688، وكان أول من أشار إليه هروقتز عند ما كان
ينقب في مكاتب إستانبول باحثا عن مخطوطات في التاريخ.

والغالب أن خريطة ابن الإدريسي المارة الذكر، ص 81 والمسماة
روض الفرج، هي خريطة لهذا الكتاب كما يشير لهذا موافقة اسمها
لاسم الكتاب (1)

(1) رجعت فيما كتبه من الإدريسي وآثره زيادة على المصادر التي صرحت بالنقل منها:
إلى دائرة المعارف البستانية (2) 674 - 675 ودائرة المعارف الإسلامية (مج) (1) ع (3)
وتاريخ الآداب العربية لجرمي زيدان (3) 84 - 86 وتاريخ سوريا لبطران يوسف،
وكتاب الرحالة للبلون في الصور الوسطى للدكتور زكي محمد حسن، 64 - 67
ومجلة الرسالة السنة الثانية، أعداد 64 - 66، ومجلة المستمع العربي السنة الثانية، عدد (15)
وبرنامج مكتبة القرويين، وتحسن مقارنة طرز النسخ عن الإدريسي، كما نشر
عنه في مجلة دعوة الحق، السنة 9، العدد 8

الجغرافيون المغاربة الآخرون

أما بقية الجغرافيين المغاربة فمنهم:

(2) صاحب الاستبصار في عجائب الأمطار؛ ممن نشأ بالمغرب. يدل لهذا ما ذكره عند حديثه عن مراکش: أنه كان أيام عبد المومن يعوم هو (ورفقاؤه) في البحيرة التي غرسها هذا الخليفة غرب مراکش، وأنه لا يكاد القوي منهم يقطع الصهيرج إلا عن مشقة، وكانوا يتفخرون بذلك

ونحن نعلم أن العوم في هذه البحيرة من جملة ما ربي به عبد المومن الحفاظ: صغار الطلبة - فقد كان يأخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم/ في بحيرة صنعها خارج بستانه، الخ ما في الحلل الموشية ص 114

فاذا لاحظنا هذا وذاك، نستنتج استنتاجا لا غبار عليه أن مؤلف الاستبصار ليس من اهل المغرب فحسب، بل من حفاظ الموحدين، ثم إذا لاحظنا بعد هذا أن حفاظ الموحدين لما أتموا دراستهم عزل بهم عبد المومن اشيخ المصامدة وولاهم الولايات كما في الحلل ايضا ص 114، فإذا لاحظنا هذا يترجح أن صاحب الاستبصار لا بد ان تكون له وظيفة في الدولة الموحدية، وقد يكون توظيف بفاس لما يفهم من كتابه الاستبصار أنه كان وقت تأليفه سنة 587 بفاس.

وبعد هذه اللمحة القصيرة عن المؤلف ننقل الى المؤلف، ونبين أنه يتناول البلاد ومسافاتها، وطبائعها، وعادات اهلها، يبدو بطرابلس الغرب ففاس، والقيروان وقار يخها، وما يليها من البلاد، مثل سبرة، ورقادة، وسائر مدن المغرب، وهو جزيل الفائدة، ومنه نسخ

مخطوطة محفوظة بالرباط والجزائر، وفيينا، وبهذه المدينة الأخيرة طبع طرف يسير منه سنة 1856، وترجم الى الفرنسية وطبع سنة 1910. (3) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي - 581 = 1185 - 625 = 1228، ختم كتابه المعجب في تلخيص اخبار المغرب بنبذة غير مطولة، ذكر فيها أقاليم المغرب وعين مدنه، وحدد ما بينهما من المراحل عدداً من لدن برقة إلى السوس الأقصى، وذكر جزيرة الأندلس وما يملكه المسلمون من مدنها، كما ذكر معادن المغرب وأنهاره العظام مع الأنهار الكبار المشهورة بالأندلس، وهو مطبوع مترجم.

(4) أبو علي المراكشي، وهو وإن اشتهر في الحساب والفلك، فقد كان له اعتناءً بالجغرافيا، حسبما يؤخذ من خلاصة تاريخ العرب لسديو ص 230.

(5) ابن فاطمة: الغالب أنه مغربي، أخذ مما جاء عنه أنه قام برحلة بحرية جنوبي مراكش، وغرقت السفينة التي كان فيها عند الرأس الأبيض (جنوبي المستعمرة الإسبانية التي تعرف الآن باسم ساحل الذهب)، بعد أن توغل في كشف الساحل الأفريقي الغربي إلى أبعد مما كان معروفاً عند الأوربيين حينذاك، والظاهر أن ابن فاطمة قام بأسفار طويلة في أفريقية. ولعله كتب أخبار هذه الرحلات، ولكن شيئاً من آثاره لم يصل إلينا، ما خلا الذي نقله عنه ابن سعيد حين أشار إليه في أكثر من موضع واحد - الرحالة المسلمون 122.

(6) المسالك والممالك للمراكشي، هكذا ذكره في كشف الظنون (2) 423، وأقبله ذكره ابن الوردي في طليعة خريدته (3) كمصدر من المصادر التي رجع إليها، وبين العلامة المؤرخ عباس بن

ابراهيم في مقدمة الاعلام (1) 140 هذا المراكشي بانه ابن عذارى
والغالب أن هذا إنما هو مجرد فهم فهمه الأستاذ المذكور، فإنه لم
يؤكد بنص يستند إليه، والظاهر أن المراكشي مؤلف المسالك
هو الشريف الإدريسي، فقد تقدم لنا أن من جملة تأليفه: كتاب المسالك
والممالك، وهذا وإن كان يبعده وصف المؤلف بالمراكشي
مع أن الإدريسي سبتي بلدة وشهرة، فإنه يقربه أن الإدريسي هو
المغربي الوحيد الذي عرف له كتاب المسالك والممالك .

(7) عبد الرحمن بن هرون المغربي: ممن سافر إلى الصين وأقام
به وبجائزته مدة طويلة حتى صار يعرف بالصيني، وكان صاحب
غرائب، واتصل بالحافظ ابن الجوزي المولود والمتوفى نحو 508 - 597
وذكره في كتابه المسمى بكتاب الحيوان، انظر خريدة العجائب
76 - 77 - 97 ، وهذا الأخير لا اجزم بمغربيته الأقصوية، لما أن مادة
(مغربي) مشتركة اشتراكا واسعا، وإنما ذكرته ليحتفظ به ويبحث
عن نوع مغربيته.

* * *

أمثلة أخرى لنهضة الجغرافيا بالمغرب

وتتبع الحديث عن الجغرافيين والجغرافيات بما ظهر في هذا
العهد من الأفكار الجغرافية المبكرة، وما اكتشف من الاكتشافات
الهامة وما إلى ذلك:

هل قال المغاربة في هذا العصر بدوران الأرض؟

جاء في عقود الجمان للشطبي (خ): ان المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كان كثيراً ما ينشد بيتي القاضي عبد الوهاب: ومن اعجب الأشياء أنك قاعد على الأرض في الدنيا وانت تسير وسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم قعود والشرع تطير فهل يدل هذا على أن ابن تومرت كان يعتقد حركة الأرض؟ وهل يوخل منه أنه كان يقول بفكرة دورانها؟ إن الجواب عن هذا بالإيجاب هو الظاهر، وهو الذي يفيد ترنمه بالبيتين، وكثرة إنشاده لهما، وأضيف إلى هذا: أن غير ابن تومرت من المغاربة قد يكون مال إلى هذه الفكرة. ومما يشير لهذا، أن محيي الدين ابن العربي الحاتمي، قرر في باب معرفة بدء الجسوم الإنسانية من الفتوحات (1) 123 - دوران الأرض حول نفسها، وقال: غير أن حركة الأرض خفية عندنا، وحركتها حول الوسط لأنها اكرة.

ومفهوم من ترجمة ابن العربي أنه دخل غير مدينة من مدن المغرب مثل سبتة، وفاس، ومراكش، وأفاد بكتبه وأفكاره، التي لا يبعد أن يكون في ضمنها قوله بحركة الأرض، وأن يكون بعض المغاربة الذين اتصلوا به استفادوا منه هذه الفكرة، وقالوا بقوله فيها، فلذا ثبت هذا يكون المغاربة سبقوا عض الدين الأيحي، الذي صرح بها في كتابه: المواقف؛ وبالتالي مهدوا السبل لكوبرنيس وغاليلوا للتوسع في هذه الفكرة.

وهل تخيلوا وجود أمريكا؟

يذكر العلامة المؤرخ بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار (1) 85 ما يأتي: نقل لي ثقة أنه رأى في بعض كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي، أن وراء المحيط أمماً من بني آدم وعمراناً. وينقل ابن خلدون في المقدمة ص 44 عن ابن رشد الثاني أنه كان يقول: أما ما وراء خط الاستواء في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال، فيعمر منه ما عرمن هذا؛ وابن رشد أيضاً ممن أقام بمراكش من المغرب مدقوبه توفي.

فلا يبعد - بعد هذا وبعد ما ذكرنا آنفاً من مقام ابن العربي بالمغرب - أن بعض المغاربة الذين اطلعوا بابن العربي أو بابن رشد رأى مثل رأيهما، وتخيل وجود أمريكا كما تخيلاها. ومما يزيد المسألة تأكيداً أن الشريف الإدريسي السبتي قص في نزهته خبر الإخوة المغرورين الذين لججوا في المحيط الاطلانطيكي ليعرفوا ما فيه، وإلى أين انتهأؤه، حيث وصلوا إلى بعض جزر الابتيل بين أمريكا الشمالية والجنوبية.

فاذا تحقق هذا فإن المغاربة سبقوا في هذه الفكرة سلطان غانة الذي حاول أن يعرف غاية الاطلانطيكي، وأبا الثناء محمود الاصفهاني وقطب الدين الشيرازي اللذين تخيلا به ورهما وجود أمريكا، وأخيراً مهذا السبيل للبحار الجنوبي كريستوف كولومب؛ الذي ابتدأ على يده اكتشاف أمريكا.

مغربيان يكتشفان منابع النيل في هذا العهد

ومما يفتخر به هذا العصر، أنه فيه عرفت منابع النيل لأول مرة في تاريخ الإسلام، واكتشفت على يد مغربيين صميمين. وأول هذين المغربيين: هو الشريف الإدريسي، فقد ذكر في نزهته منابع النيل عند خط الاستواء بكيفية واضحة حسبما سلف لنا، وارجع إلى حسن المحاضرة (2) 183 - كما رسم في إحدى خرائطه منابع النيل وصورها بحيرات عند خط الاستواء، كالتي اكتشفها أهل التمدن الحديث، وهذه الخريطة محفوظة في متحف سان مرتين بفرنسا وقد أثبت صورتها الأستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، وكتب تحتها: خريطة الإدريسي نقلا عن نسخة خطية في متحف سان مرتين؛ رسمت 1160 .

أما المغربي الثاني، فهو أمير موحدي من آخر أمرائهم، في مسالك الأبصار (1) 68: حدثني أقضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوي: أن الأمير أبا دبوس بن أبي العلى أبي دبوس، ووالده آخر سلاطين بر العدو من بني عبد المومن، حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة (حيث منبع النيل) في أيام هربه من بني عبد الحق ملوك بني مرين.

وإن هذين المغربيين سبقا باكتشافهما هذا أولئك الذين زعموا اكتشاف منابع النيل في القرن الماضي، مدعين أن الفضل في اكتشافها لأوربا، والواقع أن المغاربة في هذا الميدان سابقون وغيرهم لاحقون.

اكتشاف بعض مجاهل افريقيا

كما أنه في هذا العصر اكتشف مغربي بعض مجاهل افريقيا، حسبما يدل لهذا ما سبق ص 89: أن ابن فاطمة توغل في كشف الساحل الأفريقي الغربي، الى أبعد مما كان معروفا عند الاوربيين حينذاك.

إنشاء المغاربة فرقا للكشفية

ومما يلحق بهذا مما يدل على علو كعب المغاربة في السياحة: أنهم الذين اهتموا هم الأولون لتأسيس فرق رياضية أعطوها اسم الكاشف، فقد ذكر بعض الباحثين عن الخليفة الموحي عبد المومن، أنه لما اجتاز الجواز الثاني للاندلس، وجد عقبة بن الحجاج والي الأندلس أنشأ طائفة من الدرك (الفرسان) لتوطيد الامن في البلاد سماها بالكاشف، وعايين نظامها عبد المومن، وأعجب بها، فلما رجع إلى المغرب أحدث المدارس، وأسس فيها الألعاب الرياضية، وبقا للكشفية أعطاهما هذا الاسم، وطورها من حراسة الأمن إلى التربية والعمل على نشر الفضيلة وجمع الرذيلة.

وبهذا العمل يكون المغرب قد سبق اوربا لهذا الابتكار، ويكون عبد المومن هو المؤسس الأول للكشفية، وبادن بآول الانجليزي الذي اشتهر عند الكثير انه المؤسس الاول لمتاهج الكشفية، إنما له فضل تنظيم هذه الفرق، وبعث منهاجها في العصر الحاضر.

تأسيس ركب الحاج المغربي

ولئن دل ما سبق على اهتمام المغاربة بسياسة البحث والاكتشاف، فإن هذا يدلنا على اهتمامهم بنوع آخر من السياحة، وهو سياحة الحج إلى الأراضي المقدسة، وإن الفضل في الدعوة إلى هذه السياحة يرجع للشيخ أبي محمد صالح المتوفى سنة 631، فقد كون الركب الحجازي لأول مرة في تاريخ المغرب، وكان مهما انتهى إليه أحد يطلب الانخراط في طريقته، يجعل أهم الشروط لقبوله إياه حج بيت الله الحرام، أو على الأقل يبرهن على أنه خدم طريق الحاج. ولقد جعل من أصحابه كجمعية تبشيرية تدعو الناس لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، وتبشيري منازل لنزول الحجاج في ذهابهم وإيابهم. وكانت تبشيري هذه المنازل من بلاد حجة بالمغرب الأقصى إلى الاسكندرية، ولقد بث أصحابه في المراكز من آسفي إلى الحجاز، وجعل ولده السيد عبد العزيز بمصر حتى توفي، انظر المنهاج الواضح - 352 - 353 و 375 وآسفي وما إليه 99 - 100.

ويظهر أنه بسبب عمل أبي محمد صالح هذا تعددت ركب الحج في المغرب، فكان زيادة على الركب الصالح ركب سجلماسة، واقدم ركب وقفت عليه من هذا، هو الركب السجلماسي الذي وفد مع رئيسه الشريف السني المولى الحسن القادم، جد العائلة لمالكة العلوية الشريفة. انظر الاشراف لابن الحاج (خ).

مظهر آخر من مظاهر ولوع المغاربة بالسياحة

ونشأ عن كثرة سياحة المغاربة، وهجرة بعضهم الى خارج المغرب: أن خصت لهم في غير ما جهة من جهات الأرض أماكن خاصة بهم، ووقفت أوقاف مقصورة عليهم، ومنحوا امتيازات لهم.

ومن أمثلة هذا ما قرأته في رحلة ابن جبير 21 - 22 : أن سلطان مصر صلاح الدين الأيوبي جعل مسجد ابن طولون الواقع بين مصر والقاهرة، مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر، قال ابن جبير: ومن أعجب ما حدثنا به أحد المتخصصين منهم: أن السلطان جعل أحكامهم إليهم، ولم يجعل لأحد يدا عليهم، فقدموا من عند انفسهم حاكما يمثلون امره، ويتحاكمون في طواري أمرهم عنده،

ومن هذا أيضا ما جاء في الرحلة المذكورة ص 266 - لدى كلامه على دمشق: ومن مناقب نور الدين رحمه الله تعالى أنه كان عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية بمسجد الجامع المبارك أوقافا كثيرة، منها طاحونتان. وسبعة بساتين. وأرض بيضا. وحمام ودكانان بالعطارين، وأخبرني أحد المغاربة الذين كانوا ينظرون فيه أن هذا الوقف المغربي يغل إذا كان النظر فيه جيدا خمسمائة دينار في العام، وأرجع إليها ص 10 و 258.

نقلت كلام ابن جبير هذا الذي اختتم به الحديث عن الجغرافيا، لما أن اهل المغرب الأقصى من مشمولات المغاربة في كلامه.

الفلسفة

وكان لعلوم الفلسفة نفاق كبير في هذا العهد، وكان المغرب من الاقطار التي يفرع اليها في مشاكل الفلسفة، ومن شواهد هذا ان فردريك الثاني ملك ايطالية وجه مسائل فلسفية الى علماء سبتة ليجيبوا عنها؛ حيث ندبوا للجواب عنها الفيلسوف المسلم الكبير ابن سبعين 614 - 669 . وكان اذ ذاك بسبتة، ولقد انتدب هذا الفيلسوف الجواب عن تلك المسائل في كتاب عنوانه: «المسائل العقلية» وقد اشتمل على 49 صفحة، وتوجد منه نسخة خطية في اكسفورد، نفح (1) 418 - 419. المستشرقون 17 .

وبصفة اخص؛ كان للفلسفة في ايام يوسف نهضة كبيرة، ويوسف نفسه كان على رأس المشتغلين بها المحبين لها، فقد طمح بهذا الخليفة - كما في المعجب 155 - شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة، فجمع كثيراً من اجزائها، انظر ما ياتي في مبحث خزائن الكتب .

وكما جمع كتب الفلسفة كذلك جمع اليه علماءها وفي مقدمتهم ابن طفيل الذي احبه هذا الخليفة حبا جما قال في المعجب 156 - 159 : ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر، الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك قبله ممن ملك المغرب، وكان ممن صحبه من العلماء المتفنيين ابو بكر محمد بن طفيل احد فلاسفة المسلمين، كان متحققا بجميع اجزاء الفلسفة... قال ورأيت لابي بكر هذا تانيف في انواع الفلسفة من الطبيعيات والالهيات وغير ذلك، فمن

رسائله الطبيعية؛ رسالة سماها : رسالة حي بن يقظان، غرضه فيها بيان مبدأ النوع الانساني على مذهبهم، وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن .

ومن تصنيف الالهيات؛ رسالة في النفس رأيتها بخطه رحمه الله، وكان قد صرف عنايته في آخر عمره الى العلم الالهي ونبت ما سواه، وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشرعة، معظما لامر النبوة ظاهراً وباطناً، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية . . .

وكان امير المؤمنين ابو يعقوب شديد الشغف به، والحب له، بلغني انه كان يقيم في القصر عنده اياما ليلا ونهارا لا يظهر ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار، وينبئهم عليهم ويحضره على اكرامهم والتنويه بهم، وهو الذي نبهه على ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد، فمن حينئذ عرفوه ونسبه قدره عندهم، اخبرني تلميذه الفقيه الاستاذ ابو بكر بن رشد بن يحيى القرطبي قال: سمعت الحكميم ابا الوليد يقول غير مرة: لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب وجدته هو وابو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما، فاخذ ابو بكر يثنى علي ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضلته الى ذلك اشياء لا يبلغها قدرتي، فكان اول ما فاتحني به امير المؤمنين بعد ان سألني عن اسمي واسم ابي ونسبي ان قال لي: ما رأيهم في السماء؟ يعني - الفلاسفة - اقديمة أم حادثة؟ فادركني الحياء والخوف، فاخذت اتعلل وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم اكن ادري ما قرر معه ابن طفيل، ففهم امير المؤمنين مني الروء والحياء، فالتفت الى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي

سألني عنها ، ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج اهل الاسلام عليهم ، فرأيت منه غزارة حفظه لم اظنها في احد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له ، ولم يزل يبسطني حتى تكلمت فعرف ما عندي من ذلك ، فلما انصرفت امر لي بمال وخلعة سنية ومركب .

وبفضل هذا الاهتمام من يوسف ترجم ابن رشد ما ترجم من كتب ارسطو الطبيعية ، قال في المعجب 159 عن تلميذ ابن رشد السالف الذكر عنه قال : استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي : سمعت اليوم امير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة ارسطوطاليس أو عبارة المترجمين عنه ، ويذكر غموض اغراضه ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب اغراضها بعد ان يفهمها فهمها جيدا لقرب مأخذها على الناس ، فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل ، واني لأرجو أن تفني به ، لما اعلمه من جودة ذهنك ، وصفاً قريحتك ، وقوة نزوعك الى الصنعة ، وما يمنعي من ذلك الا ما تعلمه من كبرية سني واشتغالي بالخدمة ، وصرف عنايتي الى ما هو أهم عندي منه . قال ابو الوائد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس ، وقد رأيت انا لابي الوليد هذا تلخيص كتب الحكيم في جزء واحد ، في نحو مائة وخمسين ورقة ترجمه بكتاب الجوامع ، لخص فيه كتاب الحكيم المعروف بسمع الكيان . وكتاب السماء والعالم . ورسالة الكون والفساد ، وكتب الآثار العلوية . وكتاب الحس والمحسوس ، ثم لخصها بعد ذلك وشرح اغراضها في كتاب مبسوط في اربعة اجزاء .

وتكميلاً للفائدة نقول : ان صاحب المعجب انما رأى لابن رشد شرحين على ما ذكره من كتب ارسطو صغيراً ومبسوطاً ، والواقع ان له شروحا ثلاثة : اكبر ، واوسط ، واصغر ، أما شروحه الصغرى فتوجد

بالعبرية في مجريط باسم كتاب جوامع كتب ارسططاليس، وتشتمل على شرح كتب ارسطو الآتية: الطبيعيات، السماء والعالم، الكون والفساد، الآثار العلوية، النفس، وبعض مسائل فيما بعد الطبيعة. واما الشرح الاوسط فيوجد منه مكتوبا نطه العربي بحروف عبرية تفسير ما ياتي: الكون والفساد، الآثار العلوية، النفس، شرحه للطبيعيات الصغرى: (المكتبة الاهلية بباريس رقم 307 - 317)، كما توجد شروحه الثلاثة باللاتينية والعبرية على: الطبيعيات، السماء والعالم، النفس، وما بعد الطبيعة، وقد فقدت شروحه الكبرى على كتب ارسطو الاخرى، ارجع الى دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) ص 168 .

واذا اردنا ان نتبين اثر تلك العناية بالفلسفة من يوسف فينبغي ان نعلم ان العالم المفكر عامة. واوربا بصفة خاصة، قد استفادوا من هذا الاهتمام استفادة كبرى؛ فان ترجمة ابن رشد لكتب ارسطو اعتمدها من جاء بعده ولا سيما اهل اوربا، وللتدليل على هذا نسوق ما ياتي: قال المؤرخ الفرنسي الشهير ارنست رينان 1823 - 1892: لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة ارسطو (المستشرقون 52).

وقال غيره: ترجمة ابن رشد هي معتمد اوروبا، وقال المؤرخ الدكتور غوستاف لوبون: امر لويس الحادي عشر بتدريس مذهب ابن رشد ومذهب ارسطو الفلاسفة في كل جامعات فرنسا ونافار، المقتطف (مج) (74) ج (5) ص 535 .

وقد فشت هذه الفلسفة مع فلسفات اسلامية اخرى في مدرسة الطب في مونبليه سنة 1220، وانتشرت منها الى جامعات بورغونيا ولومباردي، وسويسرا، ولوفان، فظلت هذه الفلسفات تدرس فيها حتى سنة 1650، المستشرقون 15، وممن اشتغل بفلسفة ابن رشد فردريك الثاني ملك ايطاليا الذي قرأ ترجمة ابن رشد، المستشرقون 16.

وقد نقل شروح ابن رشد الى العبرية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر يعقوب الانطولي (1232 م) وهو من مدينة نابلي، وموسى بن نبون (1260 م) وهو من مدينة لونيل، وقنونيموس (1314 م)، وشمويل ابن نبون، ويهوذا بن سليمان كوهين (1247 م) وهو من مدينة طليطلة، وشم طوب بن يوسف بن فلغري، وقد شرح ليون بن جرشون كتب ابن رشد كما شرح ابن رشد كتب ارسطو.

وفي العالم المسيحي بدأ ميخائيل سكوت 1175 - 1275 م ينقل مصنفات ابن رشد من العربية الى اللاتينية عام 1230 - 1240 م، فترجم شروح ابن رشد على ما كتبه ارسطو عن السماء والارض والنفس، وقد كان ابن رشد لا يزال حيا حتى سنة 1198، وبهذا يرجع ذيوع اسم ابن رشد الى ميخائيل سكوت، ثم لخص ارمنجان فلسفة ابن رشد، وحوالي نهاية القرن الخامس عشر اصاح كل من نيفوس وزيمارا الترجمات القديمة، وقد ترجم كتب ابن رشد ترجمة جديدة معتمدة على النص العبري يعقوب منتينو الطرطوشي، وابرهام دهبانتر، وجيوفاني فرنسيسكو ديورانزا من ثيروننا، وكان نيفوس (1495 - 1497 م) ويونتاس (1553 م) افضل من ترجم ابن رشد، وترجم ليون جوتييه الفرق بين الدين والفلسفة لابن رشد في كتبه: فصل المقال، انتهافت. فصل الخطاب، وهي الأطروحة التي اعدّها لنيل الدكتوراه 1909.

واخيرا من الفريق الذين كتبوا عن فلسفة ابن رشد رنان المار الذكر: ألف كتاب ابن رشد والرشديين، قرر فيه سيرته ومؤلفاته وقال عنه: إنه كان اعظم فلاسفة القرون الوسطى، التابعين لارسطو والناهجين سبيل حرية الافكار، واقواله خالية من الميل، وقد طبع هذا الكتاب في باريس 1892.

دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) 173 - 174، المستشرقون
15 - 20 و 52 و 59 .

هذا ولا ندع الحديث عن الفلسفة - التي تناولت كثيرا
الطبيعية منها - دون ان ننبه الى مسألتين، الاولى: ان الاعتناء
بالفلسفة لم يكن مطردا ايام الموحدين، وموقف يعقوب المتناقض
منها معروف، وانظر بالخصوص المعجب 204 - 205، والمانوث منهم
كان منحرفا عنها على طول الخط. وقد ادى به هذا الى ان قتل
الفيلسوف الاندلسي ابن حبيب من اجل اشتغاله بهذا العلم . ارجع
الى النفع (2) 138، كذلك بعض علماء هذا العصر كان يقاوم
الفلسفة والفلاسفة، وسنرى ما يشهد لهذا في مبحث النماذج من
قسم الآداب، وستقف عليه في خطبة ابي حفص الاعماني وشعره في
الاجتماع فيما ياتي، ولا يبعد ان قصيدة ابن حبوس التي يعلن
فيها موقفه ضد الفلاسفة - وستأتي فيما بعد - قالها على هذا العهد
أما المسألة الثانية فنتناول فيها مسألة وردت في تاريخ الآداب
العربية للاستاذ جرجي زيدان (3) 99، فقد نسب فيه للمهدي ابن
تومرت: كتاب كنز العلوم في الفلسفة الطبيعية والشريعة، وذكر
انه توجد نسخة منه في الخزانة التيمورية بالقاهرة، والغالب ان هذا
الكتاب ليس للمهدي ابن تومرت، فانه لم ينسبه له واحد ممن ترجم
له فيما وقفت عليه سواء، ولما اورد في كشف الظنون هذا الكتاب
(2) 335 نسبه لابن تومرت ايضا، ولكنه آخر غير المهدي المشهور
نسبة وبلدة، فقد سماه محمد بن محمد بن احمد بن تومرت، ووصفه
بالاندلسي، فكان الاستاذ جرجي زيدان ظن ان ابن تومرت هذا
هو المهدي المشهور، والتبس عليه الاندلسي بالمغربي.

وبعد هذا النوع من الفلسفة - الطبيعي - اتابع الحديث عن
العلوم الفلسفية الاخرى التي كانت شائعة على هذا العهد:

العدد

الحساب - الجبر - المعاملات

وكان للعلوم العددية نهضة في هذا العهد، نشطها الموحدون بتقديرهم لهذا العلم تقديراً كبيراً، وانظر في هذا الى ما جاء في نهج الطيب (2) 253: أنه لما مدح عبد المومن ابو القاسم بن سعدة الاوسي - وكان من ذرية ملوك - كتب اسمه وزير عبد المومن في جملة الشعراء، فلما وقف على ذلك عبد المومن ضرب على اسمه وقال انما يكتب هذا في جملة الحساب.

ولما قاوم يعقوب المنصور الفلسفة مقاومته - التي لم يلبث ان رجع عنها - ابقى على العلوم العددية ولم يقاومها، المعجب 205، ولقد كان هذا العلم من العلوم المقرر تدريسها عند الموحدين، وممن اشتغل بتدريسها الامام ابو العباس السبتي الذي كان يقرئ الحساب والنحو وياخذ على ذلك اجرة، الاعلام (1) 243، وابو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي المتوفى 601، استقر بفاس وسكنها مدة حيث أقرأ بها الحساب الذي كان بصيرا به، وله فيه تأليف سماه: اللباب في مسائل الحساب، وقد حدث به وسمع منه بفاس سنة 587، حلة الصلة 238. جذوة 306، وممن اشتغل به ايضا عبد المنعم بن محمد المراكشي الذي كان حيا سنة 598، كان الى جانب معرفته بالعربية والآداب حيسوبيا، تكملة 2175. جذوة 278، وابو عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي، المتوفى سنة 662، كان اماما في هذا الفن مقدما في اقامة البرهان عليه، بغية 77. جذوة 144.

وبصفة خاصة كان فن الجبر والمقابلة رائجا في هذا العهد، ومزرجاله: أبو عبيد الله عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي، المتوفى قتيلا 601، امام في هذا الفن، الف فيه منظومته في الجبر والمقابلة التي تجاوزت شهرتها المغرب، وقرئت على مؤلفها باشبيلية، وهي مخطوطة محفوظة في غير مكتبة، كما الف اوجوزته الاخرى في اعمال الجذور، توجد نسخة خطية منها بخزانة الاسكوريال، ومن رجاله ايضا ابو علي المراكشي، وسيأتي لنا انه تناول في كتابه جامع المبادي والغايات الحساب ومساائل على طريق الجبر والمقابلة، وكما اشتغل رجال هذا العصر بالجبر والمقابلة كذلك اشتغلوا بفن المعاملات.

وممن الف فيه: ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان، المتوفى سنة 628، له مقالة في الأوزان، جذوة 299. تيل 201، وابو العباس احمد بن محمد بن احمد اللخمي العزفي السبتي 557-633، له كتاب إثبات لا بد منه لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والطاق والمد، الترايب الادارية (1) 427. وختاماً يرد علينا سؤال لا مفر منه وهو: ما هي الاقلام الحسابية التي كانت مستعملة في هذا العهد؟ وللجواب عن هذا نبين ان الاقلام التي كانت مستعملة في هذا العهد على ما يظهر هي: (1) قلم الغبار المتعارف. و (2) القلم العربي: ابجد الخ، وكان يستعمل في الزيجات وما في حكمها، و (3) القلم الفاسي استنادا لما ذكره عن هذا القلم القاضي المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي في مقال له نشر بعدد المغرب الممتاز، فقد جاء فيه: ان الارقام الحسابية المعروفة بالقلم الفاسي التي كان يستعملها الموثقون بفاس في تقييد التركات والفرضيون في تقدير النفقات، اصلها روماني بقيت عند أمراء وليمي

من جملة ما بقي من آثار الرومانيين، فكانت هي الأرقام الرسمية المستعملة في دواوين حسابهم ودفاتر مالية دولتهم، ولما انتقل كرسي المصلحة إلى فاس انتقلت الأرقام المذكورة إليها بانتقال دواوين الحكومة، وبقيت مستعملة بفاس محافظا عليها حتى نسبت إليها وأصبح يقال لها: القلم الفاسي .



الهندسة

وكان لهذا العلم نهضة كبيرة في هذا العهد، شجعها خلفاء
الموحدون الذين جعلوا لطائفة من المهندسين جامعية منظمة،
كما يؤخذ من المعجب 157.

ولقد كثر المهندسون في هذا العهد كثرة فائقة؛ حسبما
تفيد هذا قصة تكسير عبد المومن لبلاد افريقية والمغرب
من برقة الى بلاد نول من السوس الاقصى. كما تقدم ص 75، فان
هذا يتطلب مهندسين عديدين وعديدين جدا، ولا يبعد ان يكون
من بين هؤلاء المهندس الشهير ابو جعفر احمد بن حسان القضاعي
البلنسي ثم المغربي المتوفي سنة 598، وهو الذي عمل الشكل
الهندسي لاستخراج القبلة ليعقوب المنصور بمراكش، ويظهر ان اليه
اضيف جامع حسان بالرباط، (مقدمة سوق المهر (د)، وكذا المهندس
الفنان الحاج يعيش، المعروف بالاحوص المالقي الذي اشرف على
بناء جبل طارق مع الشيخ ابي اسحاق بزار بن محمد، وهو الذي تولى
صنع المقصورة الميكانيكية الآتية الذكر، رسائل موحدية 97.
الحلل الموشية 109 و 118، وكذا المهندس البناء ابو عمران موسى
ابن حسن بن أبي شامة، انظر القرطاس 37 - زهرة الآس 64 -
الجدوة 45.

وبصفة أخص كانت الهندسة الميكانيكية - الحليدة - الهوائية
والمائية شائعة في هذا العهد بالمغرب، وممن ألف فيها من المغاربة:
ابو علي المراكشي الآتي الذكر، له فيها بدون شك كتاب في
القطوع المخروطية لم يعثر عليه بعد، وفي كتابه جامع المبادي

والغايات يدرس خاصيات القطوع، ويحسب محاورها بالتبع الى الاعراض وميلان الشمس وعاءو المقياس ، مجلة المباحث (39) من السلسلة الجديدة .

وعدى التآليف، فقد ظهرت بالمغرب في هذا العهد آثار ميكانيكية راقية بالنسبة لوقتها: ناطقة بتقدم المغرب في هذا الشأن ، فقد كانت المقصورة التي يجلس فيها خلفاء الموحدين اثنا صلاة الجمعة ذات تركيب عجيب، فقد كانت تسع نحو الف شخص، وكانت تتحرك بواسطة عجلات تثبت في أسفلها، ولها ستة اذرع او جوانب تمتد بواسطة مفاصل متحركة، وقد صنعت هذه العجلات والمفاصل بحيث لا يترتب عليها عند تحريكها اقل صوت، بل تدور جميعها في اتم سكون، ونظمت المحركات بطريقة هندسية دقيقة بحيث تتحرك جميعا في وقت واحد، متى رفع الستار عن احد البابين الذين يدخل منهما امير المؤمنين الى المسجد عند صلاة الجمعة. وكانت المقصورة تبرز من جانب، ويمرر المنبر من الجانب الثاني، وتلتف الجوانب في نفس الوقت حول مجلس امير المؤمنين، كذلك نظم المنبر بحيث يفتح بابه متى صعد اليه الخطيب، ويغلق من تلقاء نفسه متى اتخذ الخطيب مكانه، وذلك كله دون ان يسمع أو يرى اثر لهذه المحركات، كذلك نظمت ابواب المقصورة على هذا النمط ذاته، «تاريخ الاندلس (2) 253 الحلل الموشية 109. الغرناطي في شرح المقصورة (1) 71. نفح الطيب (2) 163. الاستقما (1) 180. » .

قال المقرئ في الصفحة المذكورة: وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها، حسبما شاهدهة سنة 1010، وهذا مظهر آخر من مظاهر نهضة المغرب الميكانيكية، وهو ما جاء في المعجب

لدى كلامه عن مدينة فاس (239): ان في داخلها وتحت سورها نحو
من ثلاثين طاحونة تطحن بالماء.

واعمل هذا العدد كان ايام تأليف المعجب، واما قبله ايام المنصور
والناصر فكان بفاس من الارحاء اربعمائة حجر دون ما بخارجها.
كما في الانيس 26.



التنجيم

الهيئة - الميقات - الزيج

علم التنجيم من العلوم المحبوبة عند المغاربة، وحتى الاسر المغربية كانوا يشجعون دراسته تشجيعا، اما الخلفاء الموحدون فقد كان تشجيعهم له بالمعاجزة، وقد الف فيه المنصور كما سيأتي لنا، ولما قاوم هذا الفلسفة المقاومة للأئمة الذكر، ابقى على شيء غير قليل من هذا العلم. وممن مشاهير المنجمين في هذا العصر (1) الخليفة يعقوب المنصور: اسس في مسجد اشبيلية الجامع برجا عاليا ليصون مرصدا، ومن الواضح انه اول مرصد بني في اوربا. تاريخ الاندلس (2) 260، ومراده بهذا البرج مجموعة اشبهية - الجبر الدال - التي كان يؤذي فيها الاعلام بدخول الوقت. وضانت تستعمل ايضا مرصدا لمرصد النجوم. حسبما اشار لبعض هذا المصدر المذكور (2) 255. كما ان المنصور نفسه وضع ازياجا فلكية عن كسوف الشمس، المصدر المذكور (2) 260، والغالب ان هذه الازياج خاعت.

(2) الشريف الادريسي، وقبل يعقوب المنصور صنع الادريسي حورة القبة السماوية، او هيئة السماء، وهي اول ما صنع له لروجار مجلة المستمع (3) 15. والغالب ايضا انها خاعت، (3) البتراجي المراكشي. كان معاصرا للمنصور: اخترع في ترتيب الافلاك والمراكز مذهبا جديدا منبثقا عن تجرده من اعتقاد الفرضيات الفلكية الباطلة، التي كان عليها أهل الاحقاب الغالية، ولف رسالة عن الاجرام ترجمت الى اللاتينية وطبعت، خلاصة تاريخ العرب 215. تاريخ الاندلس (2) 260، (4) ابو بكر

محمد بن يوسف الليثي الاشبيلي ثم السبتي، من اهل هذا العصر،
كما في شرح الماواسي على روضة الازهار المجادري لدى باب توسط
المنازل مع البروج (خ) له رصد اعتمده مع رصد آخر المجادري في حساب
الطول والعرض حسبما اشار لهذا في الباب المذكور من روضة الازهار.
(5) ابو علي حسن بن علي المراكشي المتوفى سنة 660،
كما نقل هذه الوفاة - في احد دروسه التوقيتية بالقرويين - شيخنا
العلامة المشارك المتخصص في علوم الهيئة ابو عبد الله محمد العلمي
ابقاه الله، عن الاستاذ كارلون الايطالي الذي ذكر وفاته في محاضرة
له عن علم الهيئة القاها بالجامعة المصرية .

جاء ابو علي هذا في اول القرن الثالث عشر (م) جزيرة اسبانيا،
وجزاً عظيماً من شمال افريقيا، وحرر ارتفاع القطب الشمالي في احدى
واربعين مدينة، اولها افراغة التي على الساحل الغربي من بلاد المغرب،
وآخرها القاهرة، خلاصة تاريخ العرب 215، وقد ألف جامع المبادي
والغايات في البحث عن آلات علم الفلك، قال في كشف الظنون:
وهو اعظم ما صنف في هذا الفن، ذكر انه رتبته على اربعة فنون: الاول في
الحساب، وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلاً، الثاني في وضع الآلات وهو
يشتمل على سبعة اقسام، الثالث في العمل بالآلات ويشتمل على خمسة
عشر باباً، الرابع في مطارحات يحصل بها الدراية والقوة على الاستنباط
وهو يشتمل على اربعة ابواب؛ في كل منها مسائل على طريق
الجبر والمقابلة

وافاد شيخنا المذكور انه لم يقف على هذا
الكتاب كاملاً بالعربية، وانما وقف على ورقات قليلة منه مباشرة،
وعلى فقرات منه ينقلها عنه ابو علي التوزري، وقد نقل الاستاذ سديو

بعضه للفرنسية 1834 - 1835 في جزئين، (6) أبو العباس أحمد ابن علي بن اسحاق التميمي المعروف بابن الضماد التونسي؛ الراصد بحضرة مراکش، من أشهر أول المائة السابعة. وقد وضع زيجاً مصححاً كان معتمداً عند المغاربة، وهو الذي اختصه أبو العباس ابن الرنا في كتابه منهاج الطالب (الطالب لتعديل الكواكب)، ارجع إلى: أوائل منهاج الطالب (خ) مقدمة ابن خلدون 426 - 427 كشف الظنون (2) 16 - 17.

ومن أهل هذه الفنون في هذا العهد أيضا (7) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المالكي الفاسي المعروف بابن السكاك نحو 500 - 596، كان معدلاً، تكملة 1490. جذوة 286. سلوة (3) 300. و (8) أبو محمد عبد الله الخراز؛ موقت الجامع الأعظم بمراكش، الاعلام (1) - 244، (9) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي ثم الفاسي المتوفى 629، كان له معرفة بالاوقات والنجوم، قرطاس 44، و (10) أبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي السقطي القصري فيما يظهر، كان له معرفة بالاوقات، المصدر 44 و (11) أبو محمد عبد الله بن يوسف بن زيدان الفاسي 592 - 644، كان معدلاً. بغية الوعاة 293.

وعلاوة على ما تقدم، فقد ظهر في هذا العصر آثار لازدهار التنجيم ابتكارات مهمة في هذا الميدان، فقد كان على باب جامع الكتبيين بمراكش ساعات ارتفاعها في الهواء خمسون ذراعاً؛ تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم، تتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد، وتسمى عندهم النخاعة، ذكرها العمري في مسالك الابصار (خ)، وقال أنها في عهده بطالة لا تدور؛ وهذا كان في عهده. أما الآن فلم يبق لها اثر، وكذا ذكرها

القلقشندي في صبح الاعشى (5) 162، وما يستحق ان يذكر
ايضا ان في احدى جدران صومعة حسان على يمين الحاعد نافذتين
عظيمتين مقوستين بهندسة غربية واتقان، وامامهما بيت مربع في
جوف قطب المركز الذي تدور عليه جدران الصومعة، فاذا سامتتهما
الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما في داخل البيت المذكور في
كيفية عجيبة، على شكل خطين منحرفين مشتبكي الوسط متفرقي
الاطراف؛ ولم يدر الى الآن ما الفائدة المقصودة منهما؛ فعسى ان تزاح
عنها بالمستقبل ستور الغفاء، تتجلى لعالم الوضوح والمعروفة،
مقدمة الفتح 106 - 107.

كما ظهرت افكار مبصرة في هذا العلم،
مثل افكار ابي بكر ابن طفيل الفيلسوف العربي الكبير؛ فقد صرح
في رسالة حي بن يقظان بان الشمس ليست حارة بذاتها، وانها
كرية الشكل، واعظم من الارض بكثير، وان الارض كرية مثلها،
والذي يستضيئ منها ابداً بالشمس اعظم من النصف،
من مسامرة الاستاذ العلامة الحجوي: (النظام في الاسلام)، المطبوعة من
خطب ومحاضرات المؤتمر السادس لعهد الباحث العليا المغربية ص 42
وابن الطفيل وان حنان اندلسيا فند اقام بانغرب مدة طويلة
558 - 580 كطبيب خاص ليوסף الوندي؛ ذي مرتبة سامية عنده،
وهذه الاقامة الطويلة لا تخلو - خبعا - من احتكاكه بغير واحد من
المغاربة، وسريان افكاره اليهم، ومثل هذا ينبغي ان يراعى في ابن
رشد الثاني؛ الذي روي عنه انه رأى كلفقين على وجه الشمس،
واثبت ذلك في مختصر المجسطي؛ مع انه لم تستعمل النظارة الا بعد
زمانه، الاعلام (3) 49. تاريخ العرب العام 405.

ثم بعد كتابة هذا البحث عثرت بأثر نفيس يدل على ما كان
حينئذ من الاعتناء بمراقبة الالهة؛ وذلك انه كان يوجد في هذا
العصر خارج باب الجيسة من فاس؛ قبلة سيدي علي المزالى برج
جليل - لا أثر له الآن - يسمى برج الكوكب، كان مخصصا بمراقبة
الهلال، وقد جعل في اعلاه نوافذ على عدد شهور السنة يراقب كل
شهر من واحدة منها، يدل لوجود هذا البرج اذ ذاك: ان ابن البار
ذكره في القسم المفقود من طبع قديرة للتكملة آخر ترجمة وردت
نحت عدد 494، وسماه ببرج الكوكب، وقد بقي هذا الاسم معروفا
الى زمن صاحب الجدوة، بل حتى زمن صاحب السلوة؛ انظر صحائف
17 و 86 و 346 من الجدوة و 154 و 156 من السلوة (3).



المنطق

الجدل - المناظرة

وزيادة على ما ذكرنا من العلوم، فقد اشتغل المغاربة على هذا العهد بعلم المنطق، ومن رجاله أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي، الذي كان اعلم الناس بهذا الفن، وله فيه تصنيف، عنوان 86، وأبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي، وقد صدر مقدمته في النحو بفصل نزر فيما يتعلق بالبحث المنطقي، كشف الظنون (2) 505، وأبو محمد عبد الله بن محمد ابن يحيى الاغماتي من رجال هذا العلم، عنوان 131.

الجدل:

ويلحق بالمنطق علم الجدل؛ الذي توافرت اسباب شيوعه في هذا العصر، بما حمل عليه الموحدون الناس من القول بالمهدوية والعصمة وما يتبع ذلك؛ وبما ألزمهم من اعتناق المذهب الظاهري ونبذ المذهب المالكي، هذا إيمانه في هذا الوقت قامت بالاندلس الحروب الصليبية (1) التي أوقد نارها هناك رجال المسيحية، وفتحوا

(1) إذا اردنا ان نتصور كيف كانت الحروب صليبية الى أقصى حد، فينبغي ان نعلم عن واقعة العقاب، انه اشترك فيها من الحارين الصليبيين الذين همروا من جميع انحاء اوربا لمعاونة اسياناً زهاء 70.000 مقاتل . كان آلاف منهم يتقلدون الصليب ، وان مقديرات عظيمة من المال والسلاح والوؤن . ارسله الى ملك قشتالة من فرنسا واطاليا ، وانه في روما امر البابا انوسان الثالث بالصوم ثلاثة ايام والاكتفاء بالخبز والماء لتتأسل انتصار الجيوش النصرانية ، واقبت الصلوات العامة، وعهد رجال الدين والرهبان والاربابات =

بها واجهة غربية بالاندلس، لتتعاون مع الواجهة الصليبية التي كانت تحارب المسلمين في بلاد الشام من الشرق، يضاف لهذا وذاك ما ظهر حينئذ بالمغرب من بعض المذاهب الجديدة في التصوف الإسلامي، ولا شك ان كل ما ذكر يستدعي مجادلات ومحاورات، واخذنا وردا وقبولا ورفضاً، بالقلم تارة وباللسان آونة، بين انصار ما ذكرنا من المسائل الاعتقادية وخصومها؛ وبين اشباع المذهب الظاهري واتباع المذهب المالكي، وبين رجال الاسلام وعبد الصليب. واخيرا بين بعض انصار التصوف واُعداده .

وعملنا ظهر ذلك في كثير من آثار هذا العهد؛ فابو محمد عبد الله بن محمد زغبوش المكناسي وضع تاليفا في اثبات الهداية الموحدية، استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، الروض الهتون، والكاتب عبد الملك بن اياس ابو الحسن القرطبي وضع كتابا يطعن فيه على حكومة الموحدين والمبايدي التي تقوم عليها، وقد انتدب عبد المومن بعض الاعلام الذين امتازوا بقوة الحجة لكتابة رد على هذا المؤلف، انظر تاريخ الاندلس ليوسف اشباح (2) 54. كما الف في الرد على شيخ الظاهرية ابن حزم غير واحد من فقهاء هذا العهد؛ فابو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد الانصاري الاشبيلي المعروف بابن زرقون

الى اوتدأ السواد والسير جفاة ، وسارت المراكب في الطرقات خاشعة متهلة من كينة الى اخرى ، والقي البابا نفسه موعظة صليبية طلب فيها الى النصارى ان يضرعوا الى الله التماسا لنصر الاسبانين ، وانه تقرر تخليدا لاتصار الاسبان في موقعة العقابان يحتفل في السادس عشر من يولي كل عام في طلبلة، ثم في قشتالة كلها فيها بعد باقامة حفل عظيم للشكر يسمى بظفر الصليب ، وان الاسبان ارسلوا بعد انتصارهم الى البابا طائفة من الهدايا النفيسة ، حيث مرضت في كنيسة القديس بطرس تذكارا للنصر؛ حسبما يقرر هذا باوسع ما اشرنا له في هذه التملقة الدؤخ يوسف اشباح في تاريخ الاندلس (2) 109 - 112 و 124 .

الف المعلق في الرد على المحلي والمجلى لابن حزم، التكملة 967. الديباج 286. الشذرات (5) 96، وأبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري، الف كذلك كتابا في الرد على ابن حزم، تكملة 1812. وكان الموحدون يعتقدون مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب الظاهري على المذهب المالكي، ومن هذا المحاورة التي جرت بين يوسف بن عبد المومن والحافظ أبي بكر بن الجعد، وهي مذكورة في المعجب 185، ولا يبعد (1) أن يكون من هذا الباب المجلس الذي ورد ذكره عرضا في الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي 145-146، والذي وقعت خلاله المجادلة بين الظاهرية والمالكية في حضرة أحد الأمراء. وفوق هذا الجدل الذي كان يدور على مبادئ الموحدين تأييدا ورداء، فقد ظهرت كذلك بعض المؤلفات التي تطعن في معتقدات الصليبيين الفاسدة، فقد ألف أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ساكن مدينة فاس 519 - 582 مقام المدرك. في افحام المشرك، ومقامع الضلبان. وروائع رياض الاعيان، يرد به على بعض القسيسين بطايطلة، وكان ذلك من احفل ما ألف في معناه، تكملة ٥

(1) بعد ما كتبت هذا وقتت على ما يؤيد ما ذكرته وهو ما جاء في كتاب الخبر العرب لامي راس العسكري وهذا نصه،

قال ابن زرقون، كنت في الطلأ الذين جمع عبد المومن بن علي وقام الوزير أبو جعفر بن عطية وقال: بلغ سيدنا أن قوما تركوا الكتاب والسنة وصاروا يفتنون بروع لا أصول لها! وقال، من نظرفها عاقبت. وأن عندهم كتابا يقال له الدعوة لا يرجعون الا اليه ثم قال ومن العجب قولها بإعادة الصلاة في الوقت. ككل ذلك مراده أن يحمل الناس طعن ملحق ابن حزم قال ابن زرقون فعلتني التبرة فتكلمت بأن رسول الله (ص) لما صلى اهرامي امامه فقال له صل فانك لم تصل كما في البخاري، فقال لا احسن غيرها، فقله ولم يامر بالاهانة لما خرج وقت. فقام عبد المومن وسكن الحال ولم ار منه بعد ذلك الا الكرامة. هذا كلام الخبر العرب. وكما افاد ما ذكر كذلك بقوي ما اسلفته في بحث علم الفقه من ان الذي وقع من عبد المومن هو الدعوة الى المنهج الظاهري من غير تنفيذ.

الجزائر 223. الديباج 50 - 51. الجذوة 70. النيل 59 ، كذلك عقدت في هذا العصر مجالس المجادلة مع بعض المسيحيين حول احقية الدين الاسلامي ، ويوجد بجامع المعيار (11) مذاكرة من هذا النوع جرت - بمرسية - بين ابي علي الحسن بن رشيق اول شبابه وبعض القسيسين، وهي مجادلة طويلة استغرقت من المصدر المذكور من ص 118 الى ص 121، والظاهر ان ابن رشيق هذا هو ابو علي بن رشيق المارسي الاصل السبتي الاستيطان: المار الذكري في علم التاريخ. جلبت كل ما سطرته وان تقدم كثير منه في اماكن متفرقة من هذا الكتاب ؛ لما في ثناياه من البرهنة والتدليل على نفاق علم الجدل لهذا العهد بالمغرب؛ ورواجه واشتغال بعض المغاربة به.

وبعد هذا اذكر بعض المغاربة الآخرين الذين اشتغلوا بهذا الفن حينئذ، ولا ريب ان في مقدمتهم امام هذه المدرسة بالمغرب المهدي ابن تومرت الذي كان طبقة عالية في هذا الميدان، ومن حسن الحظ ان حافظ لنا ابن ابي زرع في الانيس 109 - 110 على انموذج صغير من جدله؛ فانه لما ذكر المجلس الذي عقده علي بن يوسف اللمتوني من الفقهاء لمجادلة ابن تومرت؛ ذكر عن هذا الاخير انه قال للذين اجتمعوا لمجادلته: قدموا من تقوم به حجتكم، وقادبوا بأدب اهل العلم، وسلموا عند شروط المناظرة، واتركوا اللجاج، وقدموا احدكم ممن تثقون بمعرفته وتقدمه...

ثم كان اول ما سألهم عنه ان قال للذي تقدم للكلام: ايها الفقيه انت لسان الجماعة المتقدم للكلام؛ فاخبرني: هل تنحصر طرق العلم أم لا ؟ فأجاب: هي تنحصر من الكتاب والسنة والمعاني التي بنيت عليها، فقال له المهدي: انما سالتك عن طرق العلم هل تنحصر أم لا ؟ فلم تذكر الا

واحدة منها، ومن شروط الجواب ان يكون مطابقا للسؤال، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب، ثم سأله عن اصول الحق والباطل ما هي؟ فعاد الى جوابه الاول، فلما رأى عجزه وعجز اصحابه عن فهم السؤال وفحوى الخطاب، ولما لم تكن لهم معرفة بالجواب، شرع لهم في تبیین اصول الحق والباطل، فقال لهم: أما اصول الحق والباطل فهي اربعة العلم والجهل والشك والظن، فالعلم اصل للهدى، والشك والجهل والظن اصل للضلال، ثم اخذ في تبیین طرق العلم فبهروهم وعجزوا عن جوابه، ولم يفهموا له معنى خطابه، هذا كلام الانيس، ويفيد ما صدر به ابن تومرت مجادلته انه كان على علم تام بشروط الجدل وآدابه؛ وما يتعلق بذلك الامر الذي يدل على مدى قبحه وتقدمه في هذا العلم

أما المغربي الآخر والاخير الذي نختم به رجال الجدل على هذا العهد، فهو الامام ابو العباس السبتي الذي جاء في ترجمته من النيل 59: انه اعطى بسطة في اللسان، وقدرة على الكلام، لا يجادله احد الا فحمه، ولا يساله الا اجابه، لأن القرآن والحج على طرف لسانه حاضرة، ياخذ بمجامع القلوب، ويسحر العامة والخامه ببيانه، ياتيه المنكرون للانكار فما ينصرفون الا مسلمين منقادين.

المنظرة

ويقصد بها النظر بالبصرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين
اظهارا للصواب. على خلاف علم الجدل المذكور آنفا؛ فانه يراد به
المنازعة لالزام الخصم، سوا كان كلامه في نفسه فاسدا او لا.
وهذا العلم - المناظرة - وان لم نقف على تفاصيل الاشتغال به
لهذا العهد، فاننا نستطيع ان نستشف من بعض العبارات العرضية
ما كان للمناظرة بالمغرب حينئذ من ازدهار، وذلك ما يرد خلال
كثير من تراجم المغاربة من استعمالهم للمناظرة في دروسهم، وكذا
ما يذكر في تراجم بعض الوافدين على المغرب من اقرائهم به بهذه
الطريقة، ومن الاول ما ورد في ترجمة ابي زيد عبد الرحمان بن
زكريا بن محمد الرجرجاني (ت) 605: انه نوظر عليه بقرطبة،
تكملة 1653 .

وفي ترجمة ابي الحجاج يوسف بن عبد الصمد الفاسي المعروف
بابن نموي 554 - 614: انه نوظر عليه باشبيلية، تكملة 2099، وفي
ترجمة ابي الحسن علي بن احمد التجيبي المعروف بالحرالي
المراكشي (ت) 687: انه ناظر فبرع خلال رحلته للبلاد الشرقية، زوائد
التكملة 1921، يضاف لهؤلاء ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم
الانصاري المعروف بالمتيطي (ت) 570 الذي كان - بدون شك - له
معرفة بهذا العلم، حسبما يوخذ مما جاء في ترجمته: انه لما خرج من
مدينة فاس واستوطن سبتة، لازم بها مجلس ابي محمد عبد الله بن
القاضي ابي عبد الله بن عيسى بالمناظرة والتفقه، جذوة 305، نيل 199.

ومن الاعلام الوافدين على المغرب الذين ناظروا به: ابو الحسن
نجبة بن يحيى الرعيني الاشيلي ساكن مراكش 521 - 591
ناظر عليه بها في كتاب سيبويه ابو البقاء حيان بن عبد الله الاوسي
البلنسي، تكملة 122، وكذا ابو بكر محمد بن طاهر الليثي الاشيلي
ت 603، ناظر عليه بفاس ابو القاسم عبد الرحيم ابن الملقوم الفاسي
في نحو الثلث من كتاب سيبويه، تكملة 1674.

ذلك ما استطعت ان اقف عليه فيما يتعلق بالمنظرة، وانه على
قلته شاهد بما قلنا، ملوح لما كان لهذا العلم اذ ذاك من نهضة وازدهار.



التكملة

ولم يخل المغرب على هذا العهد من الاشتغال بالكيمياء النافعة، ومن شيوخه في هذا العلم أبو الحسن علي بن موسى بن علي الانصاري السالمي الجباني المعروف بابن النقرات؛ ترجمه في التكملة وزوائدها (ع) 1877 والجدوة 305 والشذرات (4) 317، وقد ذكروا عنه انه نزل بمدينة فاس، كما ذكرت عنه زوائد التكملة والجدوة: انه تصدر للاقراء بفاس، وولي الخطبة بجامع القرويين منها؛ مولده ببيان في رمضان عام 515 وكان حيا سنة 593 أو نحوه. كما تقول هذا التكملة وزوائدها والجدوة، وعينت الشذرات سنة وفاته في (594)، وما في كشف الظنون من انه توفي سنة 500 قومه ليس الا.

وقد نسبت المصادر المذكورة الى ابي الحسن هذا شذور الذهب في الاكسير (نظم)، وهو كتاب جليل علما واسلوبا، وصفه الجدلكي في شرحه عليه بانه استوعب جميع الحكمة المطلوبة، والنعمة المرغوبة، نقله في الكشف (2) 48، وقال عنه آخر: لم ينظم احد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان، وفصاحة الفاظ، وعذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب، وفي عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه؛ لم يفتك ادبه. نقله في النفح (2) 342 ونحوه في الشذرات ولم يكن ابو الحسن ابن النقرات الوحيد في هذا الفن بالمغرب، وقد عاناه غيره من صميم المغاربة، مثل المعروف بابن تاتلي من اولاد الملمين، ذكره في طبقات الاطباء عرضا (2) 203 - 204

اثنا ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي الذي اجتمع بالمذكور
في بغداد، وقد وصفه بالامعان في كتب الكيمياء والطلسمات وما
يجري مجراها، وأنه اتى على كتب جابر باسرها، وعلى كتب ابن وحشية.
كذلك ممن اشتغل من المغاربة بالكيمياء على هذا العهد
المسمى بابي الطواجين القصري الكتامي، كان ينتحل هذا العلم
وكذا ابنه محمد النائر الشهير عام 625، تلقى الكيمياء عن والده
حسبما يؤخذ هذا من الاستقفا (1) 197.



الطب - الصيدلة

وكان للطب دوة وصولة، وقد اهتم به الموحدون وبخاصة يوسف ويعقوب اهتماماً فائقاً، ففوق اعتنائهم بالطب الخاص بهم. كذلك اهتموا بشؤون الرعاية الصحية؛ فبنوا المستشفيات، ونظموا هذه المهنة، وجعلوا لها رؤساء؛ منهم أبو جعفر الذهبي الذي كان مزاوراً للأطباء كما كان مزاوراً للطلبة، طبقات الأطباء (2) 77. وكان الطب يدرس على عهدهم بالمغرب، ومن اساتذته أبو الحجاج يوسف المريطري، قرأ عليه الطب بمراكش أبو العباس الكنباري، المصدر المذكور (2) 81، وكذا ابن حسان الذي استقر بالمغرب آخر عمره إلى أن توفي بفاس، وكان مقرناً للطب كما في الجدوة (72) - لا يبعد أنه درس بالمغرب.

وفن الصيدلة هو الآخر كان له ازدهار على هذا العهد، وكان موظفاً بمستشفى مراكش وببلاطات الخلفاء عدد من الصيادلة.

الأطباء المغاربة

ومن رجالات الطب والصيدلة في هذا العهد (1) الخليفة يوسف الموحي الذي استهل أسماء الأطباء حينئذ، كان له طموح إلى هذا العلم، وكان يستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره، مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل، المعجب 155، و(2) الطبيب السبتي أبو الحسن علي بن يقطان، ورد إلى مصر عام 544، أخبار الحكماء 160، و(3) أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي

السلوي ت 563، اشتغل بالطب وظهر فيه، فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه، قاله الضبي في البغية 1464، وترجمه ايضا في التكملة 2782 ووصفه بأنه من اهل سلاء و (4) الشريف الادريسي: ألف الكتاب الجامع لصفات اشنيات النبات لازال موجودا، وهو احد الكتب التي اعتمدها ابن البيطار في كتابه في النبات: كما ألف كتابا في الاقرباذين (الصيدة)، نفح الطيب (2) 44 و 138. مقال للدكتور يوسف شخت نشر بمجلة المستمع العربي س (3) ع (15). مقال للاستاذ مصطفى زيس؛ نشر بمجلة الثريا؛ س (3) العدد الممتاز الخاص بالمغرب.

و (5) الطبيب سعيد الغماري، ورد ذكره عرضا خلال قصة جرت مع يوسف الموحدى مبسوبة في: وفيات الاعيان (2) 494 - 595، و (6) ابو الحجاج يوسف بن يحيى بن اسحاق الاسرائيلي الفاسي المغربي ت 623، قرأ ببلاده، وكان فاضلا في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم، واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون الاسرائيلي القرطبي، وسافر بعد ذلك الى الشام واقام بحلب وبها توفي، وله من الكتب كتاب في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها، شرح الفصول لابقراط، اصلاح هيئة بن افلح الاندلسي، اجتمع على تحريرها هو وموسى بن ميمون المذكور، (اخبار الحكماء) 256 - 258 طبقات الاطباء (2) 213.

ويلحق بهؤلاء (7) ابو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المدري؛ استقضى بمدينة فاس وتوفي 561، له معرفة بالنبات كان يجلبه ويتجر فيه، التكملة 2079، الصلة 410، و (8) ابو العباس احمد ابن عبد الله بن موسى القيسي الاشبيلي، سكن مدينة فاس وبها

توفي 571، كان ذا معرفة المطب، الجذوة 70، و (9) ابو العباس
احمد بن عبد الملك الجذامي القرطبي الاصل، نشأ بسبتة وبها سكن
وتوفي بمراكش 650، كان ماهرا في الطب التكملة 326، الجزائر.
ونختم أسما الاطباء في هذا العهد بطبيب كبير اصله من
المغرب، فنذكره هنا ليجت عن نوع مغربيته، وهو (10) القطب
المصري ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي قتله
التتار بنيسابور عام 618، اصله من المغرب، ثم انتقل الى مصر واقام
بها مدة، ثم سافر الى بلاد العجم وأخذ عن الامام فخر الدين الرازي؛ كان
من اشهر تلامذته؛ عالما بالمعقولات، وألف كتبا كثيرة في الطب
والحكمة، منها: شرح الكليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا،
طبقات الاطباء (2) 30. طبقات الشافعية (5) 48. حسن المحاضرة (1) 232.
وزيادة على هؤلاء فقد كان بالمغرب في هذا العهد عدد وفير
من الاطباء والصيدالة الآخرين برسم خدمة خلفاء الموحدين، وبرسم
خدمة المارستانات، وهذه جملة ممن خدم الخلفاء منهم:

اطباء الخلفاء الموحدين

عبد المومن:

طبيباه: أبو مروان عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي ت 557، ألف لمخدومه الترياق السبعيني واختصره عشارياء، ثم اختصره سباعيا، كما ألف له كتابا في الاغذية، طبقات الاطباء. (2) 66. التكملة 1717، وقد اثر ابن زهر هذا اثرا بليغا في الطب الاوربي، وظل هذا التأثير الى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وذلك بفضل ترجمة كتبه الى العبرية واللاتينية، (دائرة المعارف الاسلامية، مج (1) ع (3) أبو بكر محمد الحفيد ابن الطبيب قبله 507 - 595، خدم بالطب عبد المومن، وخدم من بعده يوسف ثم يعقوب المنصور ثم محمد الناصر، وكان مكيئا بصفة خاصة عند يعقوب، وألف له الترياق الخمسيني، طبقات الاطباء (2) 68. التكملة 855. دائرة المعارف الاسلامية مج (1) ع (3).

يوسف:

اطباؤه: الوزير ابو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي ت 575، (القرطاس 131).

الوزير ابو بكر ابن طفيل القيسي الودآشي ت 581، المصدر 131، ابو جعفر بن هارون الترجالي الاشبيلي، (طبقات الاطباء (2) 75)، ابو الوليد ابن رشد استدعاه يوسف الى سكنى مراکش سنة 578

برسم الطب، وخدم ايضا المنصور والناصر، وكان يلاقى احتراماً خاصاً
منهما، (القرطاس 131 و 137. طبقات ط (2) 76)

المنصور :

اطباؤه: عبد الله بن علي بن عبد الله بن غلنده الاموي مولاهم
السرقي اباالحكم ت 581: طبقات الاطباء (2) 79. التكملة 1516.
ابو الحسين بن اسدون شهر بالمصنوع. ت 588، طبقات الاطباء
(2) 79، ابو جعفر احمد بن حسان القضاعي البلسني ت 598، الف
لمخدومه: كتاب تدبير الصحة، (طبقات الاطباء (2) 79). ابو جعفر بن
الغزال المري، كان المنصور يعتمد عليه في الادوية المركبة
والمعاجين ويتناولها منه. طبقات الاطباء (2) 80.
ابن الخلا المرسي، (طبقات الاطباء (2) 81)، احمد ابن عتيق
البلسني ثم المراكشي الذهبي 554 - 601، خدم المنصور بالطب ثم
خدم بعده المنصور. طبقات الاطباء (2) 81 التكملة 2410. الجزائر
ابو مروان عبد الملك بن قبال الغرناطي، خدم به المنصور ثم
الناصر، (طبقات ط (2) 79).
ابو الحجاج يوسف بن احمد بن علي المريبطري ت 619، خدم
المنصور والناصر والمستنصر، (طبقات الاطباء (2) 78).

الناصر :

اطباؤه: ابو بكر محمد بن الحفيد ابي بكر ابن زهر 577 - 602،
طبقات ط. (2) 74.
ابو محمد عبد الله بن ابي الوليد ابن رشد الحفيد، (طبقات
الاطباء (2) 78)

ابو محمد الشذونى الاشبيلي، (طبقات الاطباء (2) 79)،
 ابو عبد الله محمد بن سخنون المعروف بالندرومي؛ خدم الناصر
 في آخر دولته ثم المستنصر، (طبقات الاطباء (2) 81)، ابو جعفر احمد
 ابن سابق القرطبي، (طبقات الاطباء (2) 81)، ابو اسحاق بن
 طملوس البلسني، (طبقات الاطباء (2) 81)

المستنصر :

عبد العزيز بن سلمة الباجي، طبقات الاطباء (2) 79 - 80.

الطبيبات في دور الخلفاء

وكما اختص الخلفاء الموحدون باطباء لانفسهم؛ كذلك اختص
 حرمهم بطبيبات لانفسهن، ومن هؤلاء اخت الحفيد ابي بكر ابن
 زهر وبناتها، كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة. ولهما خبرة جيدة بما
 يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور، ولا يقبل
 المنصور واهله واداء الا اخت الحفيد وبناتها لما توفيت امها، (طبقات
 الاطباء (2) 70)

بيت الاشربة والمعاجين الطبية

وكان هذا البيت أو الخزانة خاذا بخلفاء الموحدين، وهو من
 مظاهر تنظيم الطب في عهدهم، وقد تولاه ايام يوسف: ابو محمد قاسم
 الاشبيلي، وتولاه ايام يعقوب: ابو يحيى بن قاسم المذكور، وبقي في
 وظيفته هذا الى ان توفي ايام المستنصر، فجعل ولده في موضعه
 عوضا عنه، (طبقات الاطباء (2) 79).

... والامراء الموحيدين

والامراء الموحيدين هم الآخرون كان لهم اهتمام بهذا الفن، ومنهم: السيد ابو علي بن عبد المومن صاحب اشيلية؛ خدمه بالطب الدكتور ابو بكر بن ابي الحسن الزهري القرشي الاشيلي، (طبقات الاطباء) (2) (80)، والسيد ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن؛ كان يجالس الطبيب ابن رشد، وهو الذي اقترح على هذا الاخير ان يضع شرحه على الارجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب، كما اشار لهذا طالعة الشرح المذكور، الذي توجد منه نسخة بمكتبة كاتبه.

المستشفيات

ولم يشغلهم اهتمامهم بالطب الخاص عن الاهتمام بالطب العام، فقد اسس يعقوب مارستانات المرضى والمجانين واجرى الانفاق على اهلها، (القرطاس 138)، اسسها في مراکش، وشالة، والقصر، (الثريا) السنة الثالثة . عدد المغرب الممتاز.

أما مارستانات شالة والقصر فلم اقف على من وصفها، وانما وقفت على وصف اعظم هذه الثلاثة وهو مستشفى مراکش الذي اسسه يعقوب شرقي الجامع المكرم على حد تعبير صاحب الاستبصار. وهذه صفة هذا المستشفى، قال المراكشي في المعجب 190 - 191: وبنى - يعقوب المنصور - بمدينة مراکش بيمارستان ما اظن ان في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد، وأمر البنائين باتقانه على احسن الوجوه، فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر ان يفرس

فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والمأكولات، واجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على اربع برك في وسطها، احداها رخام ابيض، ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحريز والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت، واجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارجاً عما جلب اليه من الادوية، واقام فيه من الصيدلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فاذا برى المريض فأن كان فقيراً امر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وان كان غنياً دفع اليه ما له وتركته وسببه، ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج، الى ان يستريح أو يموت، وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن اهل بيت. اهل بيت، يقول: كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ الى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج، لم يزل مستمراً على هذا الى ان مات رحمه الله .

هذا كلام المعجب في وصف هذا المارستان العظيم، وهو يفيدنا عن نظامه:

ان يعقوب اجرى له ثلاثين ديناراً يومياً برسم الطعام وما ينفق عليه فقط،
وانه كان به قسم للصيدلة اقام فيه يعقوب الصيدلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال.

وكان به للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء.
وان كل من مرض بمراكش من الغرباء حمل اليه وعولج .. فان كان

المريض غنيا حووظ على ما معه من مال ومتى، ول حتى يبرأ فيدفع اليه، وان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يتعيش به حتى يستقل. وان الخليفة يعقوب كان يراقب هذا المستشفى بنفسه، فكان يزوره كل جمعة بعد صلاته ويعود مرضاه، ويستفسرهم بيتا بيتا عن حالهم وحالة القومة عليهم.

ويلاحظ على صاحب المعجب بانه بقدر ما تبسط في وصف شكل المارستان المادي، فانه اجحف فيما سوى ذلك، فلم يسم ولا طبيا من موظفيه، وحتى اسم رئيسه لم يذكره، وقد ذكر ابن ابي اصبيعة في طبقات الاطباء (2) 79: أسما بعض رؤسائه، فانه لما ترجم لابي اسحاق ابراهيم الداني البجائي الأصل قال عنه: ونقل الى الحضرة - مراکش - وكان امين اليمارستان وطيبه بالحضرة، وكذلك ولده، والاكبر منهما وهو ابو محمد قتل في غزوة العقاب في الاندلس مع الناصر، وتوفي الداني في مراکش في دولة المستنصر بن الناصر. كما أنه لم يبين هل كان به قسم خاص بالمصابين بالامراض العقلية، كما هو الحال في مارستانات الشرق التي كانت معاصرة لمارستان مراکش؟. وهذا تجيبنا عنه عبارة القرطاس الآتية ص 129، فانها تنص على ان المارستانات التي ابتناها يعقوب كانت للمرضى والمجانين، وبعد هذا فان ابن ابي اصبيعة يذكر في طبقات الاطباء عن نظام المستشفيات الاسلامية ما يأتي:

كانت اليمارستانات منقسمة الى قسمين منفطين بعضهما عن بعض: قسم للذكور، وقسم للاناث، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة وخدم وفراشين من الرجال والنساء، وقوام ومشرفين، وفي كل قسم من هذين القسمين عدة قاعات لمختلف الامراض،

فقاعة للأمراض الباطنية، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة، وقاعة للتجبير.
وكانت قاعة الأمراض الباطنية منقسمة الى اقسام اخرى: قسم
للمحمومين، وقسم للممرورين، وقسم للمبرودين، ولمن به اسهال الخ.
ولكل قسم رئيس، فمف رئيس الأمراض الباطنية، ورئيس
للجراحية والمجبرين، ورئيس للكحالين، ولليمارستان باجمعه رئيس
يسمي ساعور البيمارستان، (من مقال للاستاذ محمد السويسي نشر
بمجلة المباحث التونسية ع 42 - 43 السلسلة الجديدة)

فهل كانت هذه الانظمة متبعة في مستشفى مراكش الذي نحن
بصد الحديث عنه ؟ لا شك ان ابن ابي اصبعة الذي توفي سنة
668 كما في الشذرات (5) 327، انما وصف نظاما كان العمل جاريا
به في المستشفيات الاسلامية .

ولا شك ايضا ان عبد الواحد المراكشي لم يكن مجازفا حيث
قال عن مستشفى مراكش: ما اظن ان في الدنيا مثله، أي في شكله
وفي نظامه، كيف وهو المؤرخ الثبت الذي سجل هذه الشهادة بعد ما
اتصل بالشرق والشرقيين، وزار مصر واستقر بالعراق حيث ألف
كتابه المعجب

فاذا لاحظنا هذا وذاك، فهل يمكننا ان نعتبر ان تلك الانظمة
كانت معمولاً بها في هذا المستشفى المغربي او بالاحرى كان
متفوقا فيها؟ هذا ما لا استبعده، وان كنت لا استطيع الجزم به.

من ابتكارات الموحدين

ونختم الحديث عن الطب والاطباء في الدولة الموحدية بعجوبة من عجائب تنظيماتهم الطبية، واحتياطاتهم ايام الوباء؛ وذلك ما جاء في القرطاس 171 - 172: انه في سنة 571 كان الطاعون الشديد بهراكش واحوازاها... فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في برائة ويجعلها في جيبه، فان مات حمل الى موضعه واهله.

وهذا النوع من (الكارنسي) الذي سبق الموحدون الى استعماله، كاف في الاعراب عن عظمته؛ ناطق بعبقرية الموحدين في ميدانسي الابتكار والنظام.

وبانتهاج الحديث عن الطب تم بحث العلوم التي اوردت منها فوق الثلاثين علما؛ كلها كانت شائعة ناهضة في عصر الموحدين. وبديهي ان ما ذكرته من العلوم انما هو مثال فقط للنهضة العلمية التي ظهرت حينئذ في اكثر من العدد المذكور، وازدهرت في علوم اخرى نخص منها بالذكر علم السياسات، وقد كانت موجودة بالمغرب - على هذا العهد - بعض انواعه، وكانت تدرس - بدون شك - مسائل منه، يشهد لهذا ما مر بنا لدى الحديث عن مدرسة عبد المؤمن ص (23 - 24)؛ ان من المواد التي كانت تدرس دراسة حسنة بهذه المدرسة: عدة كتب في ادارة الولايات ومزاولة شئون الدولة، وينبغي ان يراجع عن هذا الموضوع ايضا ما سنذكره في مبحث الفنون كمظاهر لنهضة بعض اصناف علم السياسة.

كذلك من العلوم التي ازدهرت اذ ذاك علم التصوف بمذاهبه

المتنوعة، وأشياخه الكثيرين، وما منعني من إدراجه في هذا البحث
الا عدم توافر المواد الكافية في الموضوع، فعمسى ان يرفع هذا المانع،
وتيسر المواد الكافية، حيث أدرس التصوف على حدة وأذيل به
هذا البحث.

وبعد هذا أنقل الحديث الى الآداب في هذا العصر.



الآداب

نهضتها - مميزاتها

في دولة الموحدين

هل اشتغل المغاربة بالتوشيح والزجل على هذا العهد؟
تعرب لغة المحادثة في العصر الموحدي
السبب الذي حدا بالموحدين إلى الاستعانة باللسان البربري

ادب¹اء عصر الموحدين:

الخلفاء والامراء، الافراد

نماذج من ادب هذا العهد

I النثر

(1) الكتابة

1 الديوانية 2 الاجتماعية 3 السياسية

4 الادبية 5 الاخوانية 6 التوقيعات

(2) الخطابة

1 السياسية 2 الاجتماعية

(3) الوصية

(4) الحكمة

II الشعر

المديح، الافتخار، الرثاء، الاعتذار والاستعطاف، الهجاء
والذم، العتب والثانيب، الوصف، الغزل، الاجتماع، السياسة

نهضة الآداب

مميزاتها في دولة الموحدين

وجد الادب المغربي في هذه الحقبة أدبا مغربيا موسوما بسيما
الاجادة والتفنن والابداع، وان الفضل الاول في هذه النهضة يعود
لأكثر خلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الادبية بمثل ما
تحدثنا عنه في المقدمة ص (19 - 20)، وبما كانوا عليه هم وكثير من امراءهم
من معاناة للادب، ومعاونة للشعر، حتى انهم - بتشجيعهم المزدوج
المادي والادبي - ليحق فيهم قول اليتيمة في بني حمدان: ماوك
وامراء السنتهم للفصاحة، وأيديهم للمساحة، وكان لغير واحد منهم
ذوق خاص في تفهم الشعر ونقده، وانظر في هذا ما جاء عن عبد
المومن، فانه لما انشده ولد الشريف الطليق الرواني:

ما للعدى جنة اوقى من العرب

قال رافعا صوته: الى اين. الى اين؟ فقال الشاعر

اين المفر وجيش الله في الطلب

فما اتم القصيدة قال عبد المومن بمثل هذا تمدح الخلفاء:

المعجب 138، ولما انشده ابن سيد (اللس):

غمض عن الشمس واستقر مدى زحل

وانظر الى الجبل الراسي على جبل

انى استقر به انى استقل به

انى راى شخصه العالى فلم يزل

قال له عبد المومن: لقد ثقلتنا.. المصدر 139.

وحين القى بين يديه ابو عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي:
ماهر عطفه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المومن بن علي
اشار عليه بان يقتصر على هذا البيت وامر له بالف دينار،
وفيات الاعيان (1) - 391 .

ويعقوب المنصور^١ الآخر؛ ورد عنه بعض ما ذكر، ومن هذا انه
كان بمجلس ابيه يوسف وهو حينئذ وزيره، فانشد ابن مجير يهنئ
يوسف بفتح:

ان خير الفتوح ما كان عفوا مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا
وكان ابو العباس الجراوي حاضرا، فقطع عليه معترضا بانه
اقتدم بيت وضاح:

خير شراب ما كان عفوا . كأنه خطبة ارتجالا
فبذر المنصور وسنه اذ ذاك قرب العشرين، وقال: ان كان
اقتدمه فقد استحقه، لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف،
فسر بجوابه، وعجب الحاضرون، النفح (2) 162.

ولقد سزى الاعتناء بالادب من الملوك للامة، والناس على دين
ملوكهم، فاهتموا بسائر مواضع الادب: حفظا ودرسا، حتى الهجو، ومن
هذا قول المعجب 197 لدى حديثه عن ابن حزمون الشاعر الهجاء:
ولا اعلم في جميع بلاد المغرب بلدا الا واهاجي هذا الرجل تحفظ
فيه وتدرس، كما طارت المفاضة بين الادباء حديث المجالس، وانظر
في هذا الى ما جاء في ترجمة الشيخ الشهير ابي العباس السبتي من
الاعلام (1) 251: انه سئل يوما في مجلسه من اشعر ابن حبوس
أو ابو العباس الجراوي؟

وكان من اثر هذا ان قامت للآداب في ايامهم نهضة كبرى ظهرت

عظمتها في كثير من المقامات، منها في الندوة الادبية التي اقامها عبد المومن على ظهر جبل الفتح، حيث تبارى الادباء المغاربة والاندلسيون: كتابهم وشعراؤهم، وتفصيل الحديث عن هذا اليوم الجليل يوجد في المعجب 137 - 142 مع الحلل الموشية 118 - 119 وزاد المسافر 2 و 52، 85. والنفع (2) 336 و 446، ومنها يوم رجع يعقوب المنصور من غزوة الاراك الشهيرة، فقد ورد عليه الشعراء من كل قطر من اقطار مملكته يهنئونه، فلم يمكن لكثرتهم ان ينشد كل شاعر قصيدته، بل كان يختص بالانشاد البيتين أو الثلاثة المختارة، وانتهت رقاع القوائد وغيرها في هذا اليوم الى ان حالت بين يعقوب وبين من كان امامه لكثرتها، النفع (2) 430

ويلحق بهذا ما ذكره في المعجب 144 عن الامير عثمان بن عبد المومن، قال: اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده،

وان هذه النهضة الادبية بلغ صداها حتى قطر السودان الغربي ولاول مرة في تاريخ هذا القطر ينبغ - في هذا العصر - شاعر من أبنائه، وهو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني من اهل كانم من السودان ت 608، كان عالما بالآداب شاعرا مقلدا، ترجمه في القسم الاول من التكملة ع 461 وحلاه بما ذكر، كما ذكره في الوفيات (2) 434 والنفع (2) 537. والاستقصا (1) 181، وقالوا عن هذا الشاعر الاسود: انه دخل على يعقوب المنصور وانشده:

ازال حجاب عني وعيني تراه من المهابة في حجاب
وقربني فضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي

★ ★ ★

وجد الادب المغربي في هذه الحقبة في اعقاب العصر العباسي،
وبجوار الادب الاندلسي، وعلى نقاض الادب المرابطي، ولم يكن
لينسلخ عن التأثير بالآداب الثلاثة، وبخاصة الاخيرين؛ فانه اخذ منهما
وتأثر بهما ولكن بمقدار، لم تضع معه شخصيته المغربية الموحدية التي
كانت مطبوعة بسميزات ميزته عن سواه، وأول
ما يظهر من هذه المميزات ان الادب المغربي في هذا العصر خلا في
غالب مظاهره - خلافا لما كان شائعا في الآداب العربية الاخرى لهذا
العهد - من الزخرف والضعفة، سراية من البساطة التي نشأت عليها
الدواة، كما خلا - في الجملة ولا سيما أيام عظمة الموحدين - من
السفاسف التي كانت شائعة في الادب العربي حينئذ، فنذر فيما
وقفت عليه شعر الخمریات، وقل أدب التغزل المكشوف، وذلك
ثائرا بالطابع الديني الذي كانت عليه الدولة ابان عظمتها، حتى ان
عبد المومن لما انشد في مجلسه ابو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله
القرطبي ابياثا ثلاثة يتغزل فيها في شاب من اهل أغمات، هجره هذا
الخليفة ومنعه من الحضور في مجلسه، وصرف بينه عن القراءة عليه،
انظر بغية الوعاة 62 .

وما يؤثر من شعر لعبد المومن في التغزل بفتاة
قدت فؤاده، ومساجلته في هذا الموضوع مع وزيره ابن عطية الى آخر
القصة الشهيرة، فالغالب ان ذلك مفتعل على عبد المومن من خصومه،
ومما يؤيد هذا انه لم يجزم بالقصة واحد ممن رواها؛ فالانيس اوردها
129 بلفظ قيل، والنفع (3) 101 بعبارة: وقد حكى، والاستقصا (1) 154
صدرها بقوله: يروى، وان من يقرأ صدر ص 134 من (مجموع رسائل
موحدية)، ويضيف ذلك لموقف عبد المومن مع ابن ميمون، يجزم بما
ذكرنا، ويقطع بان القصة لا رأس لها ولا ذنب .

وكما تأثر الادب في هذا العهد بما ذكر، كذلك تأثر بالهداية ومبادئها، والدولة ونظامها، وبكثير من العلوم الفلسفية التي كانت شائعة في هذا العصر، وظهر هذا بصفة خاصة في الشعر، وبصفة اخص في اشعار ابن حبوس وابى حفص الاعماني وابن خبازة، بل وتأثر الادب ايضا بالعلوم الاخرى، حتى علم اللغة ظهر اثر نهضته في شكل مخل ببلاغة الادب في بعض رسائل ومخاطبات ابي الخطاب ابن دحية واخيه ابي عمرو، وانظر عن ابي الخطاب عنوان الدراية 160. ونفح الطيب (1) 369، وعن اخيه الصلة 140. والتكملة 1837. وبنية الوعاة 322

كذلك ظهر اثر عظمة الدولة في ادب هذه الحقبة؛ فوجد شعرا عباقرة متفننون تناولوا اكثر ابواب الشعر العربي. ونفح من بينهم افراد مكثارون طويلوا النفس، جمعت لهم دواوين ضمت آثارهم، كما ظهرت مؤلفات ادبية قيمة.

ومن الدواوين الشعرية التي جمعت في هذا العهد (1) ديوان ابي عبد الله بن حبوس الفاسي، قال في الذيل والتكملة: «وقد جمع له بعض اصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو حضره ذكره أو أسأرتة عوادي التنقل والاضطراب الى آخر ربيعي ستين وخمسائة، فهاهنا ذلك ستة آلاف بيت وخمسائة بيت، وقد وقفت منه على مجلد متوسط»، وكانت وفاته سنة 570، انظر الاعلام (3) 31، و (2) ديوان ابي بكر عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي الكناسي ثم الفاسي، ذكره في التكملة 2433. والجذوة 278، و (3) ديوان الامير ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن، نفح (2) 102، جمعه له الكاتب الشاعر ابو عبد الله محمد بن عبدربه المالقي، المصدر (1) 368، و (4)

ديوان ابي العباس الجراوي التادلي، وقف عليه ابن البار، وحدث عنه في التكملة القسم الاول ع323، و (5) ديوان ابي عمرو ميمون ابن عبد الخالق الريفى الضهاجي الخطابي المعروف بابن خبازة، جمع فيه كثيرا من شعره ابو عمرو ابن سالم بن صالح البهراني المالقي، انظر ازهار الرياض (2) 380، و (6) ديوان ابي عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري، اشار له في البغية 77.

ومن الكتب الادبية المؤلفة بهذا العصر: المطرب في اشعار اهل المغرب لابي الخطاب ابن دحية، كشف الظنون (2) 455، وتأليف ابي القاسم عبد الكريم بن عمران القصري في شعراء عصره، اخذاً من شعر للمذكور اثبتته في الاعلام (3) 102، وصفوة الادب وديوان العرب لابي العباس الجراوي، وهو مجموع يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لابي تمام الطائي، وهو عند اهل المغرب كالحماسة عند اهل المشرق، وفيات الاعيان (2) 494، واختصار الصفوة المذكورة مؤلفها، وهو الحماسة المتأخرة، ويوجد من هذا الاختصار نسخة خطية في خزانة السلطان الفاتح بالاستانة، وقد اخذت لها صورة فتوغرافية في الايام الاخيرة بهمة الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي احسن الله اليه، ارجع الى الملحق الثقافي لجريدة المغرب عدد (9). ومجلة الانوار عدد ربيع 1367 فبراير 1948.

ومن الكتب الادبية الاخرى اختصار الاغاني للامير ابي الربيع الموحي آنف الذكر، نفع (2) 102، ورسالة البرهان، في ذكر حنين النفوس الى الاحبة والاطوان، لابي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، سلوة (3) 268 269، وشرح المقامات لعقيل ابن عطية المراكشي، الصلة 313 الديباج 219، وليوسف بن يحيى التادلي عرف

بابن الزيات، وهو شرح نبيل جداً، نيل 352، واسمه نهاية المقامات في دارية المقامات، كشف (2) 498 وشرح ابي موسى الجزولي المار الذكر في علم النحو على ديوان المتنبي، اختصره من احد شرحي ابي جني عليه، ارجع الى الوفيات (1) 498، وشرح مقصورة ابن دريد لابن هشام السبتي، تكملة 1053 بغية 20، ونختم قائمة التأليف الادبية فنذكر ان شرح الشربشي ت 619-الايوسط على المقامات- وهو الشرح اللغوي كان باقتراح أهل سجلماة على مؤلفه في هذا العهد، كشف (2) 498

ولم تكن عظمة الدولة لتظهر في هذا النوع من الادب فة-ط، وانه قد ظهر اثر فخامتها وتجديدها بصفة اجلى واكمل في أدب النثر الفني كتابة وخطابة وغيرها

فالكثابة تنوعت في هذا العهد الى ديوانية واجتماعية وسياسية وأدبية واخوانية وتوقيعات، كما سيمر بنا تفصيل هذا، وتنوعت الكثابة الديوانية الى كتابة انشاء وكتابة جيش، ولكل من الصنفين كتاب على حدة، هكذا كان شأنهم من عهد يوسف فما بعده حسبما يوخذ هذا من المعجب 160 و 174 و 209 و 218، وبخاصة الرسائل الموحدية ظهر فيها اثر التجديد الموحدي جليا، فانهم نوعوا اسلوبها الى لونين: الاول ان تفتح الكثابة بلفظ من فلان الى فلان والثاني ان تفتح بلفظ اما بعد والاسلوب الاول- وهو الشائع كثيرا في السلسلة التي ظهرت من رسائل الموحدين- كان الرسم فيه ان يقال من أمير المؤمنين فلان ويدعى له بما يناسبه: الى فلان ويدعى له بما يليق به، ثم يوتى بالسلام، ثم بالبعدية والتحميد واللاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية عن الصحابة، ثم عن امامهم المهدي ثم

يونى على المقصود ويختم بالسلام، والخطاب يعبر فيه بنون الجمع عن الخليفة، وبديم الجمع عن المكتوب إليه، ارجح الى صبح الاعشى (2) 443. ومقدمة مجموع رسائل موحدية.

وقد اكتمل تجديد رسائل الموحدين وطبعها بطابعهم نهائيا في عهد المنصور، على يد كاتبه ثم كاتب الناصر ابنه: ابي عبد الله محمد ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عياش التجيبي المتوفى بمراكش سنة 619، قال في المعجب 174 لدى حديثه عن ابن عياش هذا: ولم يكتب لهم منذ قام امرهم .. من كتبة الانشاء من عرف طريقتهم وصب في قلوبهم وجرى على معيهم واصاب ما في انفسهم كابي عبد الله ابن عياش هذا؛ فان القوم لهم طريقة تخالف طريقة الكتاب، ثم جرى الكتاب من بعده على أسلوبه وسلوكه مسلكه، لا رأوا من استحسانهم لتلك الطريقة، وقد ختم (مجموع رسائل موحدية) بثلاث رسائل من انشاء هذا الكاتب؛ وهي على نحو ما وصف في المعجب، ارجع الى المجموع 228 - 259.

وكانت رسائلهم في هذا العهد ماثلة - في اغلب احوالها - الى الاطناب والتوسع، كما تراه في (مجموع رسائل موحدية). على ان احد ملوكهم كان في بعض الاحيان يوجز الكتب غاية الاجاز، وينحو منحى الصحابة في فتوحاتهم، حسبما امر بهذا يعقوب المنصور في غزوة الارك بالاندلس، (الرسالة السنة (1) عدد 8). الحلل الموشية 121.

ومن خسرات هذا العصر (مجموع رسائل موحدية) الذي يضم 37 رسالة من انشاء كتاب هذه الدولة؛ اعتنى باصداره الاستاذ الافى بروفانصال وطبع في الرباط سنة 1941.

والخطابة العربية هي الاخرى حاول القوم ان يعيدوا لها رونقها وبهجتها، بعد ما كادت تندثر من العالم العربي، وذلك بما احيوا من الخطابة السياسية التي صدرت عن غير واحد من خلفائهم، مثل المهدي والمأمون، وكذا خطابة الجهاد، ومن امثلتها ما وقع في غزوة الارك من هذا النوع، حسبما يعلم من القرطاس 144 وغيره وكذلك الخطابة عن الوفود وفي النوازل المهمة، قال في المعجب 161 في ترجمة ابي موسى عيسى بن عمران التنولي الورديشي: كان يتكلم عن الوفود ويخطب في النوازل فيأتي بكل عجيبة، وارجع اليه 218، كما ادخلوا تنظيمات على الخطابة الدينية، كما يعلم هذا من الوقوف على الخطبة من هذا النوع التي اورد نصها في المعجب 228 - 230.

ويلحق بالخطابة الوعظ، وقد قامت له سوق في هذا العصر، ومن ابرز شخصياته ابو عبد الله محمد بن احمد التلمساني المكناسي الاصل المعروف بابن الحجام 558 - 614، رئيس اهل عصره في هذا الميدان، والمؤلف فيه تاليفاً حفيلاً سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين)، انظر الاعلام (3) 87 - 88، وينبغي أن نضيف لابن الحجام زمرة كريمة ممن كانوا ينتحلون هذه المهنة، ومنهم ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي السلوي ت 563، التكملة 82 - 27، وابو موسى عيسى بن واصل المراكشي ت 637، الصلة 96، وابو اسحاق ابراهيم بن جابر المخزومي المراكشي ت 641 التكملة القسم الأول 462، جذوة 87، وابو اسحاق ابراهيم بن احمد زهارون المرادي الفاسي يعرف بابن الكماد ت 663، جذوة 84.

ومن المميزات الاخرى لهذا العهد: ان الموحدين شجعوا نشر الكتب التي تتحدث عن الفروسية أو سيرها، أو كتب المغامرات

والقصص في جميع أنحاء المملكة سواء في المغرب أو الأندلس، بل
لقد سمح بقراءة هذه الكتب من فوق منابر المساجد، (فاريخ الأندلس
في عهد المرابطيين والموحدين ج (2) 54).

ومن القصص التي كانت شائعة على هذا العهد قصة الجازية والشريف،
التي يرويها موجزة ابن خلدون في تاريخه، لدى حديثه عن دخول
العرب الهلاليين لأفريقية، ويقول: ول هؤلاء الهلاليين في الحكاية عن
دخولهم إلى أفريقيا طرق، يزعمون أن الشريف بن هاشم كان
محب الحجاز ومكة، ويسمونه شكر بن أبي الفتوح؛ وأنه أصر إلى
الحسن بن سرحان في اخته جازية فأفكحه إياها، وولدت منه ولدا
واسمه محمد، وأنه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وقتنة،
فاجمعوا الرحلة عن أرض نجد إلى أفريقيا، وتحيلوا عليه في استرجاع
اخته جازية المذكورة؛ فطالبته بزيارة أبويها قازارها إياهم، وخرج بها
إلى حلهم، وأقام معها مدة الزيارة، فارتحلوا به وبها وكنتموا رحلتهم
عنه، وموهوا عليه بأنهم يباكرون به الصيد والقنص ويروحون به
إلى بيوتهم بعد بنائها، فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ملكه،
وصار إلى حيث لا يملك أمرها عليهم؛ ففارقوه ورجع إلى مكانه من
مكة وبين جوانحه من حبها داء خيل؛ وأنها من بعد ذلك كلفت
به مثل ما كلف بها إلى أن ماتت من حبه، ويتناقلون من أخبارها
في ذلك ما يعفي على خبر قيس وليلى، ويروون كثيرا من
أشعارها بحكمة المباني مثقفة الأطراف، وفيها المطبوع والمنتحل والمضوع..
وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف خلفا عن
خلف، وجيلا عن جيل، ويكاد القادح فيها والمستريب في أمرها أن
يرمى عندهم بالجنون لتواترها بينهم (هـ) بواسطة الاستقصا (1) 167-168.

هذا سياق حكاية ابن خلدون لهذه القصة التي هي اصل قصة ابي زيد الهلالي الشهيرة، ومما يؤيد شيوعها في هذا العهد بالمغرب قول ابن خلدون: ان بنسي هلال متفقون في الخبر عن حال جازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل، فهذا السلف والجيل الذين رويت عنهم القصة لا بد ان يتناول العرب الهلاليين الداخلين للمغرب واعقابهم في العصر الموحدى، فهؤلاء لا شك انهم تحدثوا بها وكانوا من السلف والجيل المذكورين في سند القصة. ومن القصص الاخرى التي كانت رائجة على هذا العهد في الجملة: (قصة حي بن يقظان) الفلسفية تأليف ابن طفيل، وممن قرأها حينئذ عبد الواحد المراكشي الذي وصفها وصفا موجزا في كتابه المعجب 156، ويوجد بدائرة المعارف الاسلامية مع ل ع (4) ذكر الخلاصة هذه القصة.

وآخر المميزات التي نذكرها لهذا العهد ان فيه ظهر ميل نحو المغاربة للبحور القصيرة، ومن أمثلة هذا ان يعقوب المنصور كان يقترح على الشعراء عروضاً يسمى الخبب، كما في المعجب 194. كما ظهر فيه استعمال الاوزان المولدة من التوشيح والزجل وما الى ذلك، وبسطة الكلام عن هذه الاوزان المولدة نخصها ببحث على حدة.



هل اشتغل المغاربة بالتوشيح والزجل على هذا العهد ؟

لعلنا لا نعدو الحق اذا قلنا ان المغاربة عانوا فن التوشيح في
عصر الموحدين؛ هذا النوع الذي وجد في الاندلس جارة المغرب قبل
هذا العهد بأزمان واجيال، وشاع بها في هذا العصر وفي العصر
اللمتوني قبله شيوعا بلغ به الغاية من الوفرة والاتقان، كما يعلم
من اواخر مقدمة ابن خلدون 542 - 546.

أما المغرب فلا شك انه بدوره كان امله يعانون فن التوشيح
على هذا العهد؛ فقد كان هذا الفن محبوبا عند غير ملك من ملوك
الموحدين، وقد مدح به الناصر منهم؛ مدحه به ابو الحجاج يوسف بن
احمد بن علي المريبطري، (طبقات الاطباء (2) 78)، واهدى بعض
الادباء للمرئضى الموحدي من اواخر ملوكهم تأليفا يتضمن الكثير
الطيب من التوشيح، (ازهار الرياض (2) 230)، وكذا كان محبوبا
لدى الافراد، ومن امثلة هذا ما جاء عن الشاعر الاندلسي الكبير
الهيثم الاشبيلي المتوفى سنة 630 كما في التكملة 2023: انه مر
بقصر كتامة يريد مراكش، فاقترح عليه الشيخ ابو علي القصري
رسالة وموشحة وشعرا؛ حيث اجاب الشاعر الاندلسي طلب المقترح
المغربي حينا وبديهة، كما ورد في هذا: كتاب الوافي في القوافي
تأليف ابي البقاء طالع بن شريف الرندي (خ).

يضاف الى ما ذكر انه في هذا العهد توافد على المغرب عدد
من الوشاحين الاندلسيين واتصلوا بأهله، واقام غير واحد منهم به، ومن

هؤلاء الوافدين: ابو بكر بن زهر الحفيد المار الذكر في الحديث عن الطب، وموشحاته توجد نسخة منها بالاسكوريال من اسبانيا، وابن حزمون، كما يؤخذ من المعجب 196 - 197، والمريبطري الهيثم الآنف الذكر.

ومع هذا كله يبعد كل البعد ان لا يكون المغاربة عانوا التوشيح واشتغلوا به، بل المحقق انهم نظموا فيه وشاركوا في نهضته على هذا العهد، والسبب في كونه لم ينقل لنا ولا بيت واحد منه: ان المؤرخين المغاربة في هذا الوقت - زيادة على اهمالهم - لم تجر عادتهم بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة، كما يذكر هذا في المعجب (56) اعتذارا عن عدم ذكر موشحات ابي بكر ابن زهر الآنف الذكر.

وينبغي ان يلحق بالتوشيح الزجل الذي وجد بالاندلس قبل هذا العهد، واول من ابدع فيه لعصر اللمتونيين: ابو بكر ابن قزمان امام الزجالين على الإطلاق، ثم بلغ هذا الفن مبلغا كبيرا بالاندلس في عهد الموحدين، ومن رجاله مدغليش وابن حيدر وتلميذه المجمع كما في المقدمة 548 - 550، وقد دخل بعض الزجالين الاندلسيين للمغرب، مثل ابي الحسن سهل بن مالك الغرناطي كما يؤخذ من النفح (2) 230، ومدح بعضهم الموحدين بالزجل مثل ابن حيدر المذكور الذي فضل على الزجالين في فتح منورقة بالزجل الذي اوله :

من عاند التوحيد بالسيف يحق انابري ممن يعاند الحق
مقدمة 550، بل ان الازجال الاندلسية كانت مقروءة لهذا العهد بالمغرب، قال ابن سعيد لدى حديثه عن ابن قزمان: رأيت

ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رأيتها بحواضر المغرب، مقدمة 548.
وان هذا ما يجعلني اميل الى ان هذا الفن الزجلي اشتغل به
المغاربة على هذا العهد ونظموا على منواله، ولا يستبعد ان تكون
امصار المغرب مما يندرج في الامصار المذكورة في قول ابن خلدون
في المقدمة 548:

ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور
لسلاسته، وتنسيق كلامه، وترصيع اجزائه، نسجت العامة من اهل
الامصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية؛ من غير ان
يلتزموا فيه اعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل...

وكما رجحت ما ذكر، كذلك يترجح لدي ان العرب الداخلين
للمغرب على هذا العهد ايام عبد المومن ثم المنصور، لا بد ان يشتغلوا
بدورهم بنظم الشعر بلغتهم العربية المستعجمة.
فهذان الصنفان من النظم مما اشتغل به المغاربة في هذا العهد
فيما يظهر لي واميل اليه.

وهناك صنف ثالث من الشعر الغير المعرب يقول عنه ابي
خلدون في المقدمة 553 - 555: ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب
فنا آخر من الشعر في اعراب مزدوجة كالמושح، نظموا فيه بلغتهم
الحضرية وسموه عروض البلد، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من
اهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة
الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب الا قليلا، فاستحسنه اهل
فاس وولعوا به، ونظموا على طريقته، وتركوا الاعراب الذي ليس من
شأنهم، وكثر سماعه بينهم، واستفحل فيه كثير منهم، ونوعوه اصنافا الى
الزدوج والكاوي والملمبة والغزل، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها

وملاحظاتهم فيها، ثم ذكر قصيدتين فيما قاله من المزدوج ابن شجاع من فحولهم، وهو من اهل تازا الخ كلام ابن خلدون. فهل حدث هذا الفن ايضا بهذا العهد؟ هذا ما لا استبعد، وان كان ليست لي الآن الادلة الكافية لاثباته.

وانما لم تنقل لنا هذه الانواع من الشعر الغير المعرب لما ذكرناه في بحث التوشيح عن المعجب؛ بل هذا احدى منه، ولما ذكره ابن خلدون في المقدمة 533 من ان الكثير من المنتحلين للعلوم وخصوصا علم اللسان، يستنكر مثل هذه الفنون اذا سمعها، وابن خلدون وان ذكر هذا عن اهل عصره فهو جار ايضا في هذا العصر. وقد شعر المقرئ في ازهار الرياض بهذا، فلذلك نراه بعد ما ذكر طائفة من الازجال، يروح يعتذر ويقول (2) 227: كأني بمنعقد ليس له خبرة يسدد سهام الاعتراض، ويتولى كبره بويقول: ما لنا وادخال الهزل - الازجال - في معرض الجد الصراح؟! وما الذي احوجنا الى ذكر هذا المنجى؟! والاليق طرحه كل الاطراح ..

ويظهر لي ان من نظم في الشعر الغير المعرب من الشعراء الكبار لهذا العهد: ابن خبازة، لنستمع الى ابن عبد الملك في الذيل والتكملة يصفه بأنه كان ناظما ناثرا؛ له التفنن في اساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات (هـ) بواسطة ازهار الرياض (2) 379. وبيان هذا: انه علم من كلام ازهار الرياض الآنف الذكر، أن الازجال في نظر بعض الناس انما هي من باب الهزل ليس الا، فاذا لاحظنا هذا، مع مقابلة ابن عبد الملك للهزل بالمعرب في كلامه، نستنتج استنتاجا واضحا أن المراد بالهزل في الكلام المذكور الشعر الغير المعرب، ويكون المعنى ان ابن خبازة كان متفننا في هذا النوع

من الشعر على اختلاف اللغات: لغة الاندلس ولغة العرب الداخليين
للمغرب، ولغة المغاربة... وقد سمي ابن خلدون في المقدمة هذا
ونحوه لغات.

وكما عثرت بهذا الشاعر الذي كان ينظم في غير المغرب،
كذلك وقفت على فرد آخر ممن كان يحترف بالغناء بهذا الشعر
في العهد الموحدي، وهو ابو علي حسن بن عمر الفهري السبتي؛ والد
الشاعر الآتي الذكر محمد، المولود اما آخر 582 أو اول 583، والمتوفى
سنة 667، فقد ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة في ترجمة
الابن: ان والده حسن المذكور كان قوالا يغني في المحافل والاسواق⁽¹⁾
مجربا بذلك، والمتلبس بهـذا العمل يعرف في
بلاد المغرب بالمحلي⁽²⁾

شيخا محليا ذكر لي انه من اصحابه ومقاوليه (هـ) بواسطة الاعلام
(3) 149 - 150 .

(1) ياض بالاصل

(2) ياض بالاصل

تعرب لغة المحادثة في العصر الموحدى. (١)

ونلفت النظر الى نقطة هامة في هذا الموطن، وهو ان تعاطي المغاربة لفن الزجل وما اليه؛ يدل على شيوع العربية في لغة التخاطب؛ وان هذه اللغة كانت عربية شعبية.

وزيادة على هذا فهناك كلمات عرضية وردت في بعض المصادر تدل على هذا دلالة الآثار على الديار، ومن هذا ما جاء في المعجب 239 في سياق حديثه عن اهل فاس: ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم، وان من يقرأ كتاب لحن العامة لابن هشام السبتي المتوفى - كما سبق لنا سنة 570، يلاحظ ان هذا حينما يقابل في كتابه المذكور الكلمات العربية بالكلمات العامية؛ كما ينطق بها اهل بلده في محادثتهم، يأتي بهذه الاخيرة عربية عامية، بل ان بعض اعلام هذه البلدة - سبتة - كان لا يتكلم الا بكلام عربي فصيح، كما في الديباج 289. عن ابي عبد الله محمد حفيد القاضي عياض الشهير 584 - 665، وكما جاء هذا عن هذا الفاضل من اهل سبتة؛ كذلك نقل عن اديب كبير ممن سكن مراکش؛ وكان صاحب القلم الاعلى في دولة المنصور وابنه الناصر، وهو ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياض الآنف الذكر، كان - كما في الاحاطة - قاصدا الاعراب في كلامه، لا يخاطب احدا من الناس على تفاريق

(1) المقصود شيوع التعرب حينئذ، والا فانه كان موجودا قبل هذا العصر.

وفي ترجمة ابي عبد الله مروان بن عبد الملك بن ابراهيم بن سحنون اللواتي في فهرسة القاضي عياض: انه اخذ نفسه بالاهراب والتعجير في كلامه مع الخاصة والعامة، فلا يكاد يوحذ عليه امن.

احوالهم الا بكلام معرب، وربما استعمل في مخاطبة خدمته وامته من حوشي الالفاظ، ما لا يكاد يستعمله ويفهمه الا حفاظ اللغة من اهل العلم؛ عادة ألفتها، واستمرت حاله عليها (هـ).

ويجدر بنا ان نقف قليلا عند هذا الكلام، لننتفهم ما يدخل تحت كلمة الناس من اصناف المغاربة الذين كانوا يترددون على صاحب القلم الاعلى ويفهمون - طبعاً - مخاطبته لهم بالكلام المعرب، فان هذا - لا بد - يدلنا على مدى تعرب القوم في هذا العهد.

وينبغي ان نضيف لما تقدم أن دخول طوائف العرب للمغرب على هذا العهد، لا بد ان ينمي ويقوي عروبة لغة المحادثة بمدن المغرب، ويوجد بها ببواديه التي نزلها اولئك الاعراب، واقتسموها مع سكانها قبلهم، فقد خلص من هذا ان لغة المحادثة لهذا العهد كانت العربية غالبية عليها في المدن، ولا سيما في كبرياتها، وفي البوادي التي نزلها العرب الداخلون للمغرب.



السبب الذي حدا بالموحدين الى الاستعانة باللسان البربري

ولا بد ان يرد في هذا المقام سؤال لا مناص منه، نذكره ثم نحقق الجواب عنه، وهو ان هناك ظواهر يدل بعضها على تمركز البربرية في هذا العصر بالمغرب: مدنا وبادية، تمركزا ينافي ما تقدم من شيوع العربية في لغة المحادثة، ومن هذا ما جاء عن خلفاء الموحدين (1): انه كان لا يؤم في ايامهم الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري كما في القرطاس 36، وعبارته 42: كـاذا ولا يقدمون للخطابة والامامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري. و (2) كذا جاء عن المامون بن المنصور الموحدي: أنه نعى - فيما نفاه - على المهدي ابن تومرت النداء للصلاة باللغة البربرية، استقصا (1) 99. و (3) كان من التقاليد المتبعة لدى الموحدين أنهم يقرؤن عند ركوب الخليفة في المحافل الرسمية تواليف ابن تومرت بلسانهم البربري وباللسان العربي (معجب 228).

و (4) الف ابن تومرت لاصحابه كتابا سماه بالتوحيد باللسان البربري، كما ألف لهم كتابا سماه بالقواعد، وآخر سماه بالامامة؛ دونهما بالعربية والبربرية، وكان ينقل اليهم المواعظ والامثال ويقرب لهم المقاصد بالبربرية، الحلل الموشية 80، و (5) سلف لناص (27) عن الرسائل الموحدية: ان عبد المومن اباح لمن لم يفهم اللسان العربي ان يقرأ. توحيد ابن تومرت باللغة البربرية و (6) في ترجمة سالم بن سلامة السوسي المغربي المتوفى 589 الحافظ لمسائل الفقه: انه كان قد ادا على اداء هذه

المسائل باللسان البربري، تكملة 2006 . الجذوة 324 .
وقبل الجواب عن هذا الكلام نقدم كلمة نبين فيها ان القوم كانوا
- بصفة خاصة - شديدي الاهتمام بامور الدين: من التوحيد والفقه وما
في حكم ذلك، وكانت نشأتهم بمعقل كبير من معاقل البربرية
- المصمدة - وقيام عصبيتهم الكبرى منه، من أكبر الاسباب التي
حفزتهم ان يلقنوا تعاليم الدين وما اليها ويبيعوا قرائتها باللغتين
العربية والبربرية لمن لا يفهم الا هذه اللغة الاخيرة في تدريسهم.
وتأليفهم، ووعظهم، وما نحى منحى هذا، درجوا على هذا اول دولتهم ايام
امامهم ابن تومرت، وبقيت بقايا منه بعده حتى في المدن لما ذكرنا،
والمبالغة في الافهام لمن يكون بالمدن ممن لا يعرف الا البربرية.
وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما ذكر من الايرادات الستة وما
شاكلها، مع ملاحظة ما تقدم من انهم ما كانوا يتساهلون في استعمال
البربرية الا من اجل افهام من لا يعرف سوى هذه اللغة،
ومما يشير لهذا عبارة رسائل الموحدين المشار لها رقم (5)، ونصها
(132): ويومر الذين يفهون اللسان الغربي - البربري - ويتكلمون
به: ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان...

فهذا هو المحمل الصحيح الذي ينبغي ان يحمل عليه ما اشرنا له
من الايرادات، وهو الذي تدل عليه حالة القوم، وتشهد به سيرتهم، فقد
كان لهم المكان المكين والمقامات الشهيرة في خدمة اللغة العربية
واحياؤها وحمايتها، وكان كثير من خلفائهم وامرائهم كتاباً بلغاً، وشعراً
مجيداً، وخطباً مطافح، حسبما تقدم ويأتي، وما وقع في ايامهم من
الجنوح لغير لغتهم الرسمية - العربية - في بعض المواطن انما كان للضرورة،
وهذا امر واقع في كل جيل ودولة قديماً وحديثاً؛ وحتى الرسول

العربي الهاشمي طلوات الله عليه وعلى آله، ثبت عنه انه استعمل غير العربية في مواقف احتاج اليها، ارجع الى التراتيب الادارية (1) 208 - 210، والى الايام القريبة من عصرنا نجد في بعض جهات المغرب ان بعض الكتب تؤلف أو تترجم بالبربرية وتقرأ وتدرس بها، وعلى سبيل المثال نذكر احد اعلام سوس ابا عبد الله محمد بن مسعود البونعماني السوسي المتوفى 1330 : له تاليف في الفقه باللهجة السوسية، الفه للاميين والنساء ليفقههم في الدين، وكذا معاصره احد اشياخ سوس ابو الحسن علي بن احمد الالغي السوسي، ترجم مجموع الامير والحكم العطائية للغة السوسية، وزيادة على هذه التاليف فهناك تاليف اخرى مترجمة للسوسية، ومنها رسالة ابن ابي زيد القيرواني، والمختصر الغليلي، وشرح البردة.

وفي ترجمة الامام سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم السوسي الحاحي، انه كان يعلم زائريه مهمات دينهم العربي بالعربية، والعجمي بالعجمية: النشر (1) 71.

وهنا تنبيه لا بد منه وهو انه لا ينبغي ان يفهم مما ذكرنا انهم كانوا يخطبون او يعيدون الخطبة بالبربرية، او انهم يؤذنون رأسا بالبربرية. فان هذا ليس بمراد، وليس واقعا قطعا وتحققة، وان اوهمته العبارات المشار لها، وانما المراد انهم كانوا يشترطون في الخطيب ما ذكر من حفظ التوحيد - توحيد ابن تومرت - بالبربرية، كما انهم كانوا يعيدون بعد الآذان الشرعي العربي النداء للصلاة بالبربرية.

والدليل على الاول - زيادة على ما تقدم - امور: اولاً ان صاحب المعجب ذكر 228-230 مثالا من خطبة الجمعة التي كان يُخطب

بها بمحضر خلفائهم في صلواتهم للجمعة، ولم يذكر فيها ولا كلمة واحدة بالبربرية، ثانيا: ما جاء في القرطاس 42: عن ابي محمد بشكر بن موسى الجراوي احد الخطباء الرسميين بجامع القرويين: انه كان يؤم - في الصلوات الخمس - ولا يخطب، وانما ينيب عنه غيره، لانه كان اعجمي اللسان شديد العجمة، وعبرة الجذوة 33: «وكان بلسانه يسير عجمة اي بربرية كما هو ظاهر، فقد استناب عنه غيره في الخطبة من اجل ان بلسانه عجمة بربرية، ثالثا: مما مر بنا آنفا من ان المامون نعى على ابن تومرت النداء المطلاة بالبربرية، ولو كانت الخطبة كذلك لكانت هي بدورها جديرة بان ينعاها عليه، وينكرها ويندد بها.

أما مسألة الآذان بالبربرية فقد اجملت اجمالا، إما من المامون، أو من ناقلي كلامه مبالغة في الدعاية ضد الموحدين الآخرين وشيخهم ابن تومرت، وحقيقتها ما جاء في مبحث البدع من معيار التشنريسي (2) 361 - 362، وعبارته: ومنها ما احده المهدي الظاهري محمد بن تومرت... من اعادة الدعاء بعد الصلاة، والدعاء عليها بتصاليات الاسلام عند كمال الآذان، وتقام تصاليات وهي اقامة الصلاة، فقد تبين في كلام المعيار ما اشرنا له قبل، من انهم لم يكونوا يؤذنون رأسا بالبربرية، وانما كانوا يعيدون النداء لها بتصاليات الاسلام بعد كمال الاذان الشرعي العربي.

بعد هذه النظرة عن الادب المغربي لهذا العهد؛ اتبعها بمبحثين: الاول يتناول ادباء عصر الموحدين بما فيهم من كتاب وخطباء وشعراء، وقد بلغ عددهم 51 أدبيا، وسوف اقتصر على اسمهم

ونسبهم... وعصرهم وحلاهم الادبية، مع الاحالة على آثارهم النثرية
والشعرية؛ التي لم تسبق الإشارة لها.. وقد قسمت اولئك الادباء الى
ثلاثة اقسام: (1) الادباء الذين وصلتنا آثارهم (2) الادباء الذين
وصفوا بالكتابة أو الشعر من غير ان نقف لهم على اثر يذكر.
(3) شاعران اثنان لم تقم لدي الادلة الكافية على مغربيتهما الاقضية
فأفردتهما بهذا القسم الاخير على حدة.

والمبحث الثاني اوردت فيه مختارات من النثر والشعر على
هذا العهد، وقد انقسم النثر فيه الى كتابة، وخطابة، ووصايا، وحكم.
كما انقسمت الكتابة الى: ديوانية، واجتماعية، وسياسية، وأدبية،
واخوانية، وتوقيعات. وانقسمت الخطابة الى: سياسية، واجتماعية.
أما الشعر فقد ذكر منه في الاغراض التالية: المديح، الافتخار،
الرثاء، الاعتذار والاستعطاف، الهجاء والذم، العتب والتأنيب، الوصف
الغزل، الاجتماع، السياسة.



أدباء عصر الموحدين

القسم الاول

الادباء الخلفاء والامراء

محمد المهدي بن تومرت عبد الله الهرغي¹

485 - 524

فصح في وعظه وخطبه ووصاياه، بليغ في ترسله وكتابه، وقد اثبت له في المعجب 125 - 127 خطبه التي خطبها على الموحدين لما حضرته الوفاة، وفي الوفيات (2) 52 خلاصة وصيته لاصحابه لما حضرته الوفاة ايضا، وفي الحلل 178 ورد له نص خطبة قصيرة يلوح فيها الى مهدويته، ويوعز الى اتباعه في بيعته، وفي (81) منها ذكر له نص رسالة وجيزة كتبها من انشائه للمرابطين، كما اثبت من شعره في الوفيات (2) 53 ابياتا ثلاثة (ع) (1)، كذلك نسب له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها، بيتين اثنين (ل).

2

عبد المومن بن علي الكومي الزناتي

495 - 558

من ائمة هذا الشأن، وله شعر رائق حسن، اثبت منه في المعجب 145 - 146: اثني عشر بيتا (ل) يستنفر فيها عرب افريقية الى الغزو

(1) بلا حظ في الحديث عن ادباء هذا العهد انني استعملت عقب الاحاطة على الشعر حرفا مشكوكا، وأقصد بذلك روي الشعر المحال عليه وشكلته.

بجزيرة الاندلس، كما اثبت له في الحلل 119 بيتين (ح) يشيد فيهما
بانتصار الموحدين في بعض المواقع، وفي الشذرات (4) 183 نسب له
بيتين (ب) قالهما لما كثر عليه الثوار.

3

موسى بن عبد المومن

من ادباء ابنا عبد المومن، ويوجد في القرطاس 129 ابيات ثلاثة
من شعره (ث) قالها بديهة في جواب بيتين كتب اليه بهما القاضي
ابو يوسف حجاج.

4

أبو علي الحسن بن عبد المومن

هو الاديب الثاني من ابنا عبد المومن الامراء، وقد ذكر له
في القرطاس 172 ابياتا ثلاثة (ب) كتب بها الى اخيه يوسف لما
عتب عليه.

5

يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المومن

555 - 595

أديب شاعر، وفي الحلل 121 - 122 تجد له وصية قصيرة؛ كما
تقرأ له في النفع (2) 99 ابياتا عشرة من شعره؛ كتب بها الى
العرب (م).

ابو الربيع سليمان بن عبد الله ابن عبد المومن

بعد 600

كاتب شاعر، وقد اثبت في النفح (2) 100 - 102 من نشره رسالة كتبها الى ملك السودان بغانة، ومن شعره قصيدة (ع) تشتمل على عشرين بيتا يمدح فيها ابن عمه المنصور، ويصف انهزام العدو، وابياتا ثلاثة (م) يستعطف بها المنصور، وابياتا ثلاثة اخرى في التغزل (ب)، وقطعة ثلاثية (لا) يخاطب بها المنصور ايضا، وبيتين (ع) كتب بهما الى ابن عمه السيد ابي الحسن الآتي الذكر، وبيتين (ب) يلغز بهما في جارية له، كما اثبت له صالح بن شريف في كتابه الوافي زيادة على البيتين الاخيرين ابياتا سبعة (ع)، وبيتين (د): الكل في موضوع اللغز.

واثبت صاحب المعجب (199) ان كاتب ابي الربيع محمد بن عبد ربه الذي اسلفنا انه جمع (ديوانه)، نحل ابا الربيع كثيرا من شعره ايام كتابته له، قال صاحب المعجب عرفت ذلك بعد مفارقتة - ابن عبد ربه؛ - اياه - ابا الربيع - لاني فقدت شعر السيد ابي الربيع واختلف علي كلامه، ورأيت بخطه اشعارا نازلة عن رتبة الشعر جدا. فعلمت ان ذلك الاول ليس من نسجه.

هكذا يحكم المراكشي على شعر السيد ابي الربيع، وعلى
عكسه نرى ابن سعيد في المغرب ينوه به ككاتب شاعر، اديب ماهر،
له شعر مدون، حسيما ينقل هذا في النفع (2) 102.
واني وان كنت لا استبعد صحة رأي المراكشي لمعاصرتة لابي الربيع،
ولما استند اليه في حكمه، فاني احتفظ برأيي النهائي في الموضوع،
حتى يتسنى لنا الوقوف على ديوان السيد ابي الربيع (1).

7

أبو الحسن علي بن عمر ابن عبد المومن

من الادباء الامراء، وتجد في النفع (2) 102 ابياتا ثلاثة (ر)
قالها في يعقوب المنصور يمدحه ويستزيده، ويطلب منه ما يقضي به
ديونه، وبيتين اثنين (ع) اجاب بهما عن البيتين الذين اسلفنا ان
ابا الربيع كتب اليه بهما.

8

السيد أبو محمد عبد الله صاحب فاس

من اهل هذه الكتيبة، وتقرأ له في النفع (2) 103 ابياتا اربعة
(ب) قالها في الفخر.

(1) من -ن الحظ ان ير الله الكاتب السطور نسخة من ديوان السيد ابي الربيع
بعد ما قدم بحث الآداب للعلم، وفي النية كتابة بحث عن الديوان وصاحبه ان شاء الله.

بعض السادة من بني عبد المومن

انشد له في النفع (2) 103 بيتين اثنين (د) في التغزل.

عبد العزيز بن يوسف بن عبد المومن

ترجمه في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها، ووصفه بأنه كان ينظم الشعر ويجيده، واثبت له ابياتا اربعة (م) في موضوع قول الشعر.

ادريس المامون بن يعقوب المنصور

629 - 581

عارف بالآداب، فصيح بليغ، خطيب كاتب شاعر، ويوجد بالقرطاس 161 مثال من خطابته، كما اثبت في الحلل 125 قطعة شعرية له، تشتمل على ابيات اربعة (ر) قالها في اهل الحراة والفساد، وقد اورد هذه القطعة في القرطاس 162 بزيادة بيت خامس عليها.

أبو حفص عمر المرتضى

665

له حظ في الادب، وقد اثبت له في الحلل 127: ابياتا اربعة من شعره (د).

عبد الواحد بن ابي زيد بن ابي حفص بن عبد المومن

أديب شاعر بليغ، وقد اثبت له في الاعلام (3) 157 - 159
قصيدة طنانة (ن) يمدح بها ابا عبد الله بن رشيد البغدادي الوارد
على مراکش، وهي تشتمل على اربعين بيتا (1) .

☆ ☆ ☆

الادباء الآخرون

واذ ذكرنا الادباء الخلفاء والامراء في هذا العهد؛ تتبعهم بذكر
ادباء عصر الموحدين الآخرين:

(1) بعد ما حررت بحث (ادباء عصر الموحدين) وكثيرا بما بعده، وقم الى كتاب
(أمرؤنا الشعراء) تأليف الاخ العلامة المؤرخ المطلم سيدي عبد الله كنفون، أهدها في ضمن
مجموعة من الكتب الصديق العلامة المؤرخ البعثة سيدي محمد داود شكر الله عمله، وبالطبع
كان أول ما قرأت من الكتاب قسم امراء الدولة الموحدية؛ حيث وجدت المؤلف أثبت آثارا
أدبية أخرى مهمة لكل من السيد أبي الزعيم والمأمون والمرتضى، وتنبها لبحث ادباء عصر
الموحدين رايت ان اذيل بتلك الآثار على هذا البحث، وأين ان كتاب (أمرؤنا الشعراء)
انقرض بالآثار الأدبية التالية: فقد اثبت للسيد ابي الريح قطعة رباعية (ن) في الطيف،
وقصيدة (ر) بها ثلاثة عشر بيتا في صفة الرض والحث على الشرب، وبيتين (ف) في وصف
فسقة، واثنا خمسة (ب) في التوبة والدعاء، كما اورد قصيدة ابي الريح (ع) في مدح
المصور من ثلاثة وعشرين بيتا مع تقديم وتأخير في بيتين منها عما في النسخ، وذكر شعره
في النزل (ب) في تسعة آيات، والمأمون اثبت من شعره صفحة لامية من رسالة، ومثالا
من توقيعه، كذلك المرتضى ذكره في قطعة سداسية (ل).

الطبيب الاديب علي بن يقطان السبتي

كان حيا سنة 544، ذكره ابن القطني في اخبار العلماء باخبار
الحكام (160) كطبيب شاعر اديب، واورد له ابياتا سبعة من قصيدة
(د) في الوزير الجواد جمال الدين الاصفهاني بالموصل.

الوزير الكاتب أبو جعفر احمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي

553 - 517

من ابلغ اهل زمانه كتابة وشعرا، ذكره في المعجب 128 - 129.
والقرطاس 124 - 125. وفي النفح (3) 99-102 وفي غير ذلك، وقد
اثبت له في القرطاس والنفح فصولا من الرسالة النثرية الشعرية
التي يستعطف بها عبد المومن ويطلب عفوه،
كما اثبت له المصدر الثاني فصولا من الرسالة التي كتبها عن
ابي حفص عمر أيتني الى الموحد بن مراكش؛ يخبرهم عن صورة
موقعة حربية انتصر فيها ابو حفص المذكور، وفي (مجموع رسائل
موحدية) تجد له ست عشرة رسالة كتبها عن عبد المومن، وسبع رسائل

1 - 22 ، وسبع اخرى 26 - 71، ورسالة 95 - 99، ورسالة اخيرة
126 - 138.

وقد وردت هذه الرسالة الاخيرة مرتين: مبنورة وتامة
اول وآخر الكتاب المعنون - بكتاب اخبار المهدي - للبيدق 13 - 17.
و 134 - 145، وزيادة على الشعر الذي تضمنته الرسالة المشار لها
اولاً؛ فقد اثبت له في النفع بيتين آخرين (ح) كتب بهما من
السجن الى عبد المومن.

16

الكاتب ابو عقيل عطية اخو ابي جعفر ابن عطية

553 - 520

اشار له في النفع (3) 99، واثبت له في مجموع رسائل موحدية
ثلاث رسائل 22 - 26 و 71 - 93.

17

شاعر من اهل سلا

كان حياً 555

اورده عرضاً ابن الابار في كتاب الحلة السيرافي ترجمه عبد الله
ابن خيار الجياني، واثبت له بيتين (ر) من الشعر يؤنب بهما الوزير
عبد السلام بن محمد الكومي، انظر كتاب اخبار المهدي للبيدق 147 - 148.

الشريف الادريسي السبتي

562 - 494

كان يضيف الى معارفه الواسعة في الجغرافيا والفلك والطب
اطلاعا واسعا على الشعر الاندلسي، وقد عانى بدوره ضاعة القريض،
ومن شعره الابيات التالية نثبثها برمتها لغرابتها:

ليت شعري اذن قبري؟	ضاع في الغربة عمري
لم ادع للعين ما تشته	لاق في بحر وبحر
وخبرت الناس والار	ض لى خير وشر
لم اجد جارا ولا دا	را كما في طي صدي
فكأنني لم اسر الـ	سـميت او بقفر
دعني اجل ما بدت لي	سفينة او مطية
لا بد يقطع سيري	امنية او منية

ومن قبل ان امشي على قدم المنى
سعى قلبي في المدح سعيًا على الرأس
من مقال عن الادريسي نشر بمجلة المستمع (3) 15.

ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقى السلوي

563

أديب شاعر، ومن ترجمه ابن البار في التكملة 2782 ووصفه بأنه
من اهل سلا، واغفل هذا المصدر الاستاذ الفاضل عبد القادر محداد؛ في

تعليقه على اسم هذا الشاعر حين اورد شعره صاحب زاد المسافر؛ وقد اورد له في الزاد 115 - 117 في الوجدانية والرجاء قصيدة (ل) تشمل على (11) بيتا؛ كما اثبت له قصيدة (لا) بها ابيات (16) وفيها يتشوق الى بيت الله الحرام؛ ويتالم من تعذر الوصول عليه الى زيارة الرسول ص.

20

محمد بن حسين عبد الله بن حنوس الفاسي

500 - 570

شاعر مفلق، فاق في ذلك اهل زمانه، حتى لقب بشاعر الخلافة المهدية، وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقه محمد بن هاني^١ الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة، والقعاقع الموهلة، واثير التقعير، الا ان محمداً بن هاني^٢ كان اجود منه طبعاً، واحلى مهيعاً، ذكره في المعجب 137 - 138. وفي زاد المسافر 1 - 6 وترجمه في التكملة 1055 وفي الذيل والتكملة حسبما نقل ترجمته في الاعلام (3) 26 - 31. وقد اورد مثالا من نثره في المعجب، كما اورد في الذيل والتكملة امثلة من شعره: ابيات عشرون من قصيدة (ر) يمدح بها عبد المومن لما حل برباط الفتح، واورد اول هذه القصيدة بزيادة بيت في زاد المسافر؛ فذكر منها تسعة ابيات، كما اورد له في الذيل والتكملة قصيدة (د) في موضوع التوحيد والزهد والتمسك بالسنة، تشتمل على ثلاثين بيتاً، وقصيدة (ر) ابياتها اثنا عشر في

الوصايا والامثال وذم الزمان، وقصيدة اخرى من تسعة ابيات في الاعتبار (ل).

وزاد المسافر اورد له زيادة على ما ذكر عنه: في المديح: بيتين من قصيدة (ج)، وعشرة ابيات من اخرى (لا)، وخمسة ابيات من قصيدة ثالثة (ر)، ومن قصيدة رابعة: تسعة ابيات (ق) يمدح بها عبد المومن ويصف فتحه لبجاية، وثمانية ابيات من قصيدة (ل) في الوزير ابن عطية، وفي موضوع الذم: اثبت له بيتين (ر) يهجو بها ابن عطية لما نكب، ومن قصيدة اخرى (ع) أبياتاً تسعة يذم بها الشعر، كما ذكر له: قصيدة (ض) ذات سبعة عشر بيتاً فيما يطلب ان يعامل به الناس.

وينبغي ان يضاف لما ذكر بيتان اثنان من قصيدة ايضا اوردهما ابن حماد الضهاجي في: (اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) ص (10)، وهما في مدح عبد المومن، وذكر اختطاط المهديّة، وبابها، وابراجها الثمانية (ر).

21

محمد بن القاضي عياض الشهير اليحصبي السبتي

575

من ادباء هذا العصر، ترجمه في التكملة 1056 وفي الديباج 289، والغالب انه الذي ذكره في زاد المسافر 95 - 96 وسماه ابا عبد الله

ابن عياض، وهو وان وصفه بأنه قرطبي؛ فالظاهر ان هذا انما هو سبق قلم، وانه من باب قول زاد المسافر في ابن حبوس الآنف الذكر: انه من قطر بجاية، مع ان الرجل فاسي تحقيقا، وقد اثبت في زاد المسافر لابي عبد الله بن عياض عدة اشعار في التغزل: قصيدة (ب) تشتمل على عشرة ابيات، وقطعتين (ء، ق) تشتمل كل منهما على ثلاثة ابيات، كما ذكر له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها في ترجمة ابنه عياض: بيتين في التسلية (ح)، وبيتا واحدا ارتجله في التغزل (ن).

22 عيسى بن عمر-ان بن دافال التسولي-الوردميشي

578-512

أديب لودعي، خطيب مققع بليغ، شاعر مفلق. ترجمته في المعجب 160 - 161. وفي التكملة 1931. والصلة 94. والذيل والتكملة. والقرطاس 172. والجذوة 283، وفي هذين المصدرين الاخيرين تقرأ له رسالة ثرية كتبها لابنه حيث كان يدرس بفاس.

23 محمد بن احمد بن عبد الرحمان ابن الصقر الانصاري-الخرجي-المراكشي

527 حدود 590

ممن تعاطى الشعر على هذا العهد، وكان له حظ صالح من قرضه، واكثره في الزهد والحكم وما نحا ذلك، ترجمه في الذيل

والتكملة، ونقل هذه الترجمة في الاعلام (3) 64 - 66، واثبت له
نقطة خماسية (م) في الشكوى.

24

ابو بكر عتيق بن علي بن حسن بن
حفاظ الصنهاجي الحميدي المعروف
بالفصيح المكناسي الفاسي

595

من شعراء هذا العهد، وسلف لنا ان له ديوانا شعريا، ترجمه
في التكملة 2433، والجذوة 278.

25

عبد الله بن محمد عيسى التادلي الفاسي

597 - 511

أديب ناظم ناثر، له رسائل واشعار جيدة، ترجمه في التكملة
1491. والجذوة 236، والنيل 137 - 138، وفي هذا المصدر الاخير ذكر
له بيتين (ك) يخاطب بهما ابن مضا.

كذلك نسب له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها؛ في
ترجمة ابن عياض بيتين اثنين في التسلية (ح)

شاعر من أهل فاس

ذكره عرضا في زاد المسافر 62، ونسب له هذين البيتين:

يعاف السمع شعرك يايزيد	وخطك في بشاعته يزد
اذا وجهت شعرك في مراد	بخطك ليس يدري ما تريد

ابو حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي نزيل فاس

603 - 530

كاتب مجيد، خطيب مفوه، شاعر مبدع، غلب عليه الادب حتى عرف به وشهر، ترجمه في التكملة وزوائدها 1831. والصلة 130. والجذوة 286 - 288 وأزهار الرياض (2) 359 - 374، وذكره في زاد المسافر 101 - 102 والعبدري في رحلته (خ) والغرناطي في شرح المقصورة (1) 100 والمقري في النفع (2) 425 و 149، وفي هذا الرقم الأخير نسبه في النفع إلى قرطبة غلطا، وقد ذكر العبدري في رحلته نص خطبة من خطبه، واثبت له في الأزهار قطعة ثرية شعرية في ذم الدنيا، كما أورد له هذا المصدر الأخير كثيرا من شعره، فأثبت له ابياتا 39 من قصيدة طنانة (م) في مدح يوسف الموحد، وقد اورد في الجذوة الأبيات الاربعة من اول هذه القصيدة ؛ كما روت له الازهار ابياتا اربعة (م) في الفخر، وبيتين من قصيدة (ر) يمدح بها يوسف ويهنئه ببيعته الثانية، وذكرت من غزلياته قطعة (م) بها ابيات خمسة، وهي مذكورة في النفع، وقطعة (ر) بها ابيات سبعة، واخرى (ب) تشتمل على ستة ابيات، مع ابيات ثلاثة في الزهد (ر)، وخمسة في مدح العلم (ر)، وقد أورد هذه القطعة الأخيرة في الجذوة ايضا؛ التي ذكرت له في التغزل ابياتا سبعة (ر) وبيتين اثنين (ف)، واثنى عشر بيتا (م).

وقد اورد في زاد المسافر الابيات الثلاثة الاولى
 من هذه القصيدة، وفي النفع بيتين منها، كما اورد في الجذوة والنفع
 بيتين اثنين (ر) تساجل فيهما ابو حفص مع بعض اشياخ عصره، وانفرد
 زاد المسافر بستة ابيات من قصيدة (ب) في المديح، واخيرا نذكر
 ان شرح المقصورة اثبت له ابياتا ستة (م) في الاعتذار والتغزل،
 وحذفت الصلة من هذه الابيات بيتا واحدا.

27

عقيل بن عطية السالف الذكر

608 - 549

أديب كاتب شاعر، ترجمه في التكملة وزوائدها 1946. والصلة 313.
 والديباج 219. وذكره في النفع (3) 101 واثبت له بيتين من شعره (د)

28

ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي التادلي

609

عالم بالآداب، نهاية في حفظ الاشعار القديمة والمحدثه، بليغ
 اللسان، شاعر مقلق، مداح هجاء، حاضر البادرة، وكان ايضا يلقب
 بشاعر الخلافة، وهو الذي اختير لمجالسة الاديب الشرقي عبد
 الرحمان بن منقذ؛ لما ورد المغرب سفيرا عن صلاح الدين الى يعقوب
 المنصور، وكان يقول آخر عمره: تعسا لطول العمر، الذي اخرني

لمعاشرة هؤلاء الأندال! وعهدي بالخليفة عبد المومن يقول لي في جبل
الفتح: يا أبا العباس اننا نباهي بك اهل الاندلس، «مجلة الانوار» عدد
جمادى الاولى 1367 = مارس 1948 .

ترجمه في القسم الاول ————— التكملة رقم 323. والوفيات
(2) 494، وذكره في زاد المسافر 7 - 9. وفي النفع (2) 388 والازهار
(2) 365، وكان لا يعرف من شعره الا الابيات التالية: بيتان على
اللام المفتوحة في يوسف بن عبد المومن، وبيتان في فاس، قافيتهما يا
مفتوحة، وقطعة سداسية ميمية في العجو، وبيتان على الرأ قاهما بتونس،
وبيت على النون يمدح به خليفته، وبيتان على الضاد وردا في بستان
ابن أبي مريم؛ يجوز ان يكونا له، مجموع هذه الابيات ثلاثة عشر
أو خمسة عشر، انظر الملحق الثقافي لجريدة المغرب ع 9 .

ولما طبع زاد المسافر ظهرت به أربعة عشر بيتا اخرى للجراوي: بيتان
من قصيدة (ن) في هجو الطابوني الذي صلبه بيتان من قصيدة اخرى
ن- في الهجو ايضا، بيتان ايضا (ف) في الموضوع، قطعة (ن) تشتمل على
سنة ابيات مما وقع له مع احد المبتدلين، بيتان (د) وقع بهما لشاعر
استجدها بقصيدة ، كذلك ظهرت كمية مهمة من شعره اوردها ابن
عذاري في احد اجزاء البيان المغرب، وهو مخطوط فريد توجد منه
نسخة عند الاستاذ كولان بالرباط.

وابن عذاري يورد شعر الجراوي بمناسبة
الحوادث التي يتعرض لها، وكله في المدح، واكثره يتعلق
بمعقوب المنصور، وهو يتكون من خمس قصائد وأربع مقطوعات
وابيات، ومجموعه اربعون ومائة بيت، فاذا اضيف الى الابيات الثلاثة

عشر، وإلى أربعة عشر بيتاً في زاد المسافر، يكون مجموع ما نعرف الآن من شعر أبي العباس الجراوي سبعة وستين ومائة بيت (رسالة المغرب) (1) - 8.

وينبغي أن يضاف لكل ما تقدم البيتان أو الثلاثة أبيات الواردة عرضاً أثناء مقدمة الحماسة المتأخرة للجراوي؛ أن لم تكن ضمن الأشعار الآنف الذكر، وكذا ينبغي أن يضاف لذلك ثلاثة أبيات (ر) في الهجو، وقد وردت في الأزهار ضمن ترجمة أبي حفص بن عمر الآنف الذكر.

29 عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي 625 - 581

أديب ناقد كاتب، وفي كتابه المعجب الذي هو أهم مرجع لأخباره تقرأ له في غير ما صفحة قطعاً ثرية يتجلى فيها أسلوبه الفني، كما تجد له أبياتاً تظهر فيها شاعريته المجيدة على قلة ما أورد من شعره في كتابه، حيث أنه لم يذكر فيه إلا بيتين (ب) في التغزل 202، وأبياتاً ثمانية من قصيدة (م) يمدح بها الأمير إبراهيم ابن يعقوب المنصور ويذكر ولايته أشيلية 206 - 207.

30 أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي يعرف بابن الجليل 633 - 547

عارف بالشعر العربي، قارض له، كاتب مستعمل لحوشي اللغة في رسائله ومخاطباته، ترجمه في الوفيات (1) 481 - 482. والتكملة

1832. والصلة 132. وعنوان الدراية 159 - 167. والبغية 360. والنفع
(1) 368 - 371. والشذرات (5) 160 - 161.

وقد اثبت له في العنوان من نشره رسالة قصيرة مقفلة على نحو
ما وصفنا، كتبها لوالي بجاية؛ يطلب منه اطلاق سراح خديم له، كما
اثبت من شعره قصيدتين اثنتين في مدح السلطان الكامل ابن
ايوب ملك مصر، الاولى (م) بها خمسة واربعون بيتا، والثانية (ع)
بها ستة واربعون بيتا، واقطف في النفع من القصيدتين الاولى ثمانية
ابيات، والثانية ثمانية عشر بيتا.

31

ابو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الريفي الصنهاجي الخطابي

637

كان من أكبر اعاجيب الدهر في سرعة البديهة؛ ناظما او ناثرا،
مع الاجادة التي لا تجارى، والتفنن في اساليب الكلام؛ معربه وهزله
على اختلاف اللغات، وكان في آخر عمره جانحا الى امتداح ملوك
عصره، فكان ياتي في ذلك بما لم يسمع بمثله، ولا يطمع في لحاقه
سرعة ارتجال، وحسن اقتنان، وسرعة امتثال، هكذا تقول عنه عبارة
الذيل والتكملة المنقولة في ازهار الرياض، لدى ترجمته التي
استغرقت منها (2) 379 - 392، كما استغرقت ترجمته من الجذوة
209 - 218.

وقد اثبت له كل من الازهار والجذوة قصيدته الطنانة (ي)
التي مدح بها الرسول (ص)، واثار الى جملة مفاخره ومعجزاته،

بها 145 بيتاً، كما ذكر له كثيراً من قصيدته (ر) التي يرثي فيها أبا محمد عبد الله بن وزير اشبيلية؛ وعظيمها أبي بكر حفيد الحافظ أبي بكر ابن الجذ، ويعزي والده الوزير، أثبت له في الازهار منها 45 بيتاً، وفي الجذوة 68 بيتاً، وكذا اثبتا له بيتين اثنين من قصيدة (ل) يذم فيها المهدي ابن تومرت لما تبرأ منه المامون بن المنصور، واثبت له في الازهار قصيدة (ل) في الحين، إلى احبائه تشتمل على 14 بيتاً، واقتصر في الجذوة على الابيات الاربعة الاولى منها.

وانفردت الازهار بابيات ثلاثة من قصيدة (ب) قالها لما قطع جند المامون اطناب القبة الحمراء التي ضربها المعتصم بن الناصر بن المنصور بظاهر براكش، وابن عبد الملك (1) هو الآخر اثبت له في الذيل والتكملة (نسخة مكتبة الرباط) قصيدة (لا) في تهنئة أبي العلاء بين منصور المامون بعد - بولاية اشبيلية بعد قرطبة.

32

علي بن أحمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي

637

أديب مبرز. له الشعر الفائق غزلاً وتوصفاً، ترجمه في التكملة 1921. وعنوان الدراية 85 - 97 والنفح (1) 411 - 412. والنييل 201 - 202 والشذرات (5) 189.

(1) تنسب هذا المصدر المذكور (رسالة المغرب. س (6) ع 4.

وقد اثبت له في العنوان مثالا من ادبه الصوفي، ومنه قطعة
(ب) بها ابيات (6)، وقصيدة (م) بها (10) ابيات.

33

ابو القاسم عبد الكريم بن عمران القصري

643

متحقق بالآداب، كاتب شاعر، ترجمه في التكملة 2184 واثبت
له بيتين (ل)، واورد له في الاعلام (3) 102 - 103 رسالة ثرية
مفتحة بقطعة شعرية؛ بطلب فيها من ابن العابد الفاسي الآتي الذكر
بعض قريضه.

34

ابو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخرجي المكناسي

659

أديب وقته، وشاعر عصره، كما تحليه بهذا الذخيرة السنية 106،
وهو مترجم ايضا في الجذوة 177 - 179، وقد اورد له هذا المصدر
الثاني من شعره قصيدة (ل) في التغزل بها ابيات (13)، وبيتين (م)
في الشيب، وثلاثة ابيات (ل) في وصف مصباح، وبيتين (ك) في وصف
نهر قذفت فيه مطايح، وثلاثة ابيات (ب) في وصف نهر وردته عطابة
طير، كما اثبت له في الجذوة ايضا (ص) 43 بيتاً واحداً (ن) من

مقطوعة بها ابيات اربعة في وصف الثريا الكبرى بالقروين. تساجل
في هذه القطعة مع الادباء: ابي القاسم المزياني ومالك بن المرحل ونعم
بن خلف. وانشد له ابن الخطيب في نفاضة الجراب بيتيه الشهيرين
(١) في مدح بلده مكناس، وقد اثبتهما نقلا عن النفاضة ابن غازي
اواخر الروض الهمتون.

35

ابو عبد الله محمد بن عيسى ابن عمر الفهري السبتي يعرف بابن المحلى

582 او 583 - 661

اديب بارع، كاتب بليغ، شاعر فصيح، مفوه لسن، ترجمه في
الذيل والتكملة حسبما نقل هذه الترجمة في الاعلام (3) 149 - 152.
وفي البغية 84، واثبت له في الذيل والتكملة ثلاث قصائد في
التغزل على محو في بعضها، الاولى (ب) بها (14) بيتا، الثانية (ج) بها
(15) بيتا، الثالثة (ب) بها (21) بيتا.

36

ابو عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي

662

كاتب محسن، مبرز في حفظ الشعر ونظمه ونسبته الى قائله، ترجمه
في البغية 77 والجدوة 144. والنيل 254 والاعلام (3) 102 - 106 نقلا

عن الذيل والتكملة، وقد اثبت له هذا المرجع الاخير رسالة نثرية مفتوحة بقطعة شعرية، يجيب بها رسالة ابي القاسم عبد الكريم بن عمران التي اشرنا لها في ترجمته، كما اثبت من شعره بيتين (ر) في اخوين وسيم وأحدب. وقطعة (ر) بها ثمانية ابيات في وسيم وشعر الثنية له خال بشاربه، وبيتين (ف) في شارب رصف، وقصيدة (ر) تشتمل على وصف حمام ابياتها (15)، وقد وقع المحو في غير بيت منها، كما اثبت له في الجذوة بيتين في التغزل (ج).

وقد منيت ترجمة هذا الاديب بشيء من الغلط والتصحيف في بعض مراجعها. ومن هذا ان صاحب الجذوة اخر وفاته عن تاريخها بقرن كامل؛ فجعلها سنة 762 عوض 662، وتبعه في هذا بابا في النيل، ولا شك ان هذا سبق قلم ليس الا، وكذلك البغية طوحت بنسبته من فاس الى فارس؛ حيث جاء فيها الفارسي بدل الفاسي وبديهي ان هذا تصحيف مطبعي لا غير.

37

ابو الحسن علي بن مروان الرباطي

من كتاب وشعراء هذا العهد، ذكره - عرنا - في النفع (1) 466 نقلا عن ابن سعيد، واثبت له شيئا من النثر والشعر، فمن النثر رسالتان موجزتان خاطب بهما المؤرخ ابن الربيب، ومن الشعر اربع قطع، كل قطعة بها ثلاثة ابيات، الاولى (ق) يبرر بها ضنه بكتبه وبخله باعارتها. الثانية (ق) يتأسف فيها لحالة ولده، الثالثة (ر) في التغزل، الرابعة (ن) اوصى بها ان تكتب على قبره.

اولئك هم الادباء الذين وقفت على ما اشرت له من آثارهم
الادبية نثرا وشعراء وينبغي أن نذيل عليهم بالادباء المغاربة الآخرين
الذين لم اعثر لهم على اثر يذكر، وانما وقفت على وصفهم بالشعر
او الكتابة؛ وهذا موضوع:

القسم الثاني

38

علي بن خلف بن غالب الانصاري القصري

568

اديب شاعر. ترجمه في التكملة 1870 و 2380. والصلة 201
والجدوة 297.

39

محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الانصاري الطنجي

585

من اهل الادب والشعر، وله ترجمة في التكملة 1059.

40

محمد بن حسن بن عطية السبتي المعروف بابن الغازي

بضع 590

له حظ من قرض الشعر، كما هي عبارة التكملة 1060 في ترجمته،

ابو الصبر ايوب بن عبد الله بن احمد الفهري السبتي

609

من شعراء هذا العهد، ترجمته في التكملة طبع 536. والجدوة 100.

42

عياض بن محمد حفيد القاضي عياض الشهير السبتي

630 - 561

فصيح لسن، شاعر مفوه، ترجمه في التكملة 1947. والصلة 322
والديباج 172.

43

ابو عمرو عثمان بن دحية السبتي اخ ابي الخطاب

634 - 546

من ادباء هذا الجيل، لكنه كان مولعا بالتقعر في كلام
ورسائله لهجا بذلك، ترجمه في الوفيات (1) 482. والتكملة 1837.
والصلة 140. والبقية 322. والنفع (1) 366 والشذرات (5) 68.
ومن سوء حظ ابي عمرو ان لم يثبت ترجمته صاحب عنوان
الدراية، فيذكر بعض آثاره الادبية؛ كما ذكر ذلك في ترجمة اخيه
المؤلف الذكر ابي الخطاب.

أحمد بن محمد بن أحمد التميمي البكري
السلوي الأصل المراكشي النشأة
641 - 581

وأفر الحظ من الآداب، شاعر محسن، ترجمه في البغية 156-157.
والاعلام (1) 351 - 352 .

أبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ
مهدي المكناسي
666 - 600

أديب شاعر، وله ترجمة في البغية 190 .

أبو الربيع سليمان بن مخلوف
الحضرمي

يعرف بابن البقال وابن ناعظمية عند أهل اغمات، وبسليمان
أحضري عند الموحدية، من رجال الكتابة، كان يكتب الرسائل عن
أذن المهدي ابن تومرت، ذكره في المقتبس من كتاب الانساب 33.

ملول بن ابراهيم بن يحيى الصنهاجي

فصيح بديه باللسن، يكتب بالسريانية والرموزيات وغير ذلك
وينفذ في ذلك، وكان كاتباً مع المذكور قبله عن المعدي بن تومرت
اورده في المصدر المذكور 39،

48

ابنه يعقوب بن ملول

احد كتبة الخليفة عبد المومن. المصدر 40.

ونختم سلسلة الادباء على هذا العهد بذكر الشاعرين الذين
اسلفت انه لم تقم لدي الادلة الكافية على مغربيتهما الاقصوية؛ فلذلك
ذكرتهما على حدة في هذا.

القسم الثالث

49

الشيخ الشعار السبتي

جاء في آخر الفتوحات المكية باب الوحايا (4) 551 ما يأتي:
ولقد وفد علينا ونحن باشبيلية شيخ شاعر يعرف بالسبتي من قرطبة
رحمه الله، ولم يكن للسبتي موضع ينزل فيه، فكتب الى صاحب
الديوان ابي عبد الله ابن كعب:

اتحفل بالفرزدق والكميت وفي قيد الحيا شعر السبتي
يروغمني بشعرهما اناس وجهلا روعوا حيا بميت
لئن اسكنتني بيتا رفيعا لتسكن من ثنائي الف بيت
فوقع له صاحب الديوان بيت ينزل فيه، واعتذر اليه ووصله بنفقة.

محمد بن محمد البربري

اثبت له ابن فضل في المسالك (خ) والقلقشندي في صبح الاعشى (5)
162 بيتين من شعر له يمدح به الموحدين، ويصف دار الضيافة
المعروفة بدار الكرامة بمراكش:

خير قوم دعوا الى خير دار هي للملك نضرة وكمامة
عالم السبعة الاقاليم فيها وهم في فنائها كالقلامة



نماذج من أدب هذا العهد

I النشـر

1 الكتابة

(1) الديوانية:

من رسالة من انشاء الكاتب ابي عقيل بن عطية عن الخليفة عبد المومن ! الى طلبة تلمسان يعلمهم بفتح قسنطينة، ويخبرهم بانابة يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية الى التوحيد:

... وهذا كتابنا اليكم ! كتب الله اليكم فيما خولكم النماء والزيادة. ومكن في تمكينكم واحلاح شؤونكم الانالة والافادة، وبسط في ارجائكم ومتعلقات رجائكم اليمن والسعادة، من حضرة بجاية - حرسها الله - عن اح-وال ترتب صلاحها على افضل وجوده - وفتوح تتابع افتتاحها في قريب المعمور وبعيده، وبشائر ينزه بشرها وسماحها عن الجري على معتاد الدأب المألوف ومعهوده وآيات بينات اغنى تخيلها واتضحها عن كل برهان ووجوده، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها في المستولية محض العادة ومعهوده؛ نسأل الله سبحانه وقد بهرت البواطن والظواهر، وعمي الابصار والبائر، تعظيم ما نشاهد ونعاين عوننا يعين وينهض، وعملا يتخلص بشكر آلائه الباهرة ويمحض، وقوة لا تتكث بالعجز عن اداء حقوقه ولا تنتقص. وقد تقدم اعلامكم - وصل الله سروركم، وضاعف شكوركم - بما كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد؛ التي يسر مرامها

بحوله واقتداره. ونور ظلامها باضوا هذا الامر السعيد وانواره، وصير
اباطحها وآكامها من مواطيء اوليائه وانصاره، وكيف كانت صورة
الحال في درجها، وتصرف الانتقال من محصيتها الى عرجها، وان
أبازكرياء يحيى بن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر وجميع اخوته
وقرابتة وخؤوله حين اتاهم الرائد الذي لا يكذب اهله، وانتحاهم
القائد المبيح وعز المتحى وسهله: لم يكن لهم بد عن التسولي عن
قرارهم. والتخلي عن اوطانهم واقطارهم: لامر قضى الله فيه لهذا الامر
المبارك بخير قضاءه. وشأن طوى الخيرة درج تضمنه واقتضائه، فكان
مأثمهم الذي اعتقدوا منعمته وحصانته. واعتمدوا ثقته عليهم وامانتة:
بلد قسنطينة - عمره الله - لكونه بحيث لا ينال بقدرة مخلوق، وابن
يستعلى بامتناعه على كل ملحوظ بعين المحاربة او مرموق، وكانت
جبل من عساكر الموحدين حين احتلال الجملة المذكورة فيه،
واعتدادهم في عداد من يحويه ويؤويه، بجهة القلعة - حرسها الله -
على اثر فتحها المبسر، ونيل اجرها على الوجه المتخير، فانهض منهم
بعض الله الى تلك الجهة من رجب الخير في انهاضه، وحض على خدمة
هذا الامر ولعراضه، فحين ألم الناهضون المذكورون - وفقهم الله -
بجهات قسنطينة - حرسها الله - فتح لهم الفتح الذي تقدم اليكم بيان
القول فيه واعرابه. واورد عليكم ابداع القدر في تقريره واعرابه،
وعلمتم كيف انهزمت له جموع الضلال واحزابه، وحل الموحدون
هناك - وفقهم الله - بساحة ذلك القطر وذراه، وغشيه منه ما غشيه
وغراه. وما ترك القطابه ان يقطع كراه.

وكان التخميم الملاحق، والتدويم المراهق، والحق يتجلى، والنصر
يتولى من اظهر الطائفة العزيزة ما يتولى، الى ان صرف الله ألباب

القوم المذكورين الى قبلة الاطابة، واراھم ان النجاة في جانب هذه العصابة، والحياة في قرارها الذي هو مقر قرار اليمن والمثابة، فانفق رأيهم على انفاذ جماعة منهم؛ فيهم اخو ابي زكرياء وشيوخ صنھاجة، وقسنطينة معتمدين بهذه العروة الوثقى، مستسلمين للامر الذي لا يقابل بعناد ولا يلقى، سائلين من التامين والابقاء ما يدوم خبره للمحق السائل ويبقى، ووصلت الجماعة المذكورة الى هذه الحضرة المحروسة، يسعى املها بين يديها، ويعرف القصد عما لديها، وانھت ما تحملته من المخاطبة، وامته لها وان راءها من حسن العاقبة، فمن الله على جميعهم بتيسير مطلبهم، واجمال منقلبهم؛ وصدروا الى مرسلهم تتھلل اسرتهم، وتتجمل بحلل العافية والنعمة الصافية كرتهم، فانوا قومهم على تطلع الى بشرائهم، وتمتع بطيب ذكراهم، واعلموهم بالضع الذي عرفهم تعظيم صنع الله وأدراهم، فرأوا اجمعين ان الله سبحانه سنى لهم بفضله غاية ما طلبوه، ورزقهم من حيث لم يحتسبوه؛ وھبهم من ابواء الفضل وقبوله فوق ما استوھبوا، حين لم يكن لهم منجى الا الذي نزحوا عنه وغربوا، وفتحوا ابواب المدينة المذكورة عندتيقن الامر وتحققه، وتعرف سنة هذا الامر المبارك وعظيم خلقه؛ وخرجوا عن آخرهم فرحين بفضل الله ورحمته الواسعة، مستظلين بظلال هذه الدعوة المحيطة الجامعة، ودخل القطر من امنا الموحيدين وغزاتهم - وفقهم الله - من امر بعمارتہ، والاستقرار في قرارته، واستقبل ابو زكرياء المذكور ومن معه - وفقهم الله - هذه الجهة - حرسها الله - على احسن حال، واكرم واقبال .

واتم الله نعمته بهذا الفتح المحيط، والضع المبسوط، اتماما بلغ الأمل غاية مأموله، والسائل كافة مسؤوله، فذلك القطر هو الطرف

الاعلى، والرابط الاحق الاولى، ورأس الجسد الذي استتبع بعضه بعضا واستتلى؛ وبه انعقدت روابط هذا الاقليم العظيم وقواعده. وفقدت ضرر من كان ينوي الضرر فواقده، ومعه متأثى جمع شمله وضمه، وامساك شانه كله وعزمه، وبه ختم كتابه وكرم الكتاب ختمه. والله نساله بشكر هذه النعم المتظاهرة عوناً ممدوداً، وحولاً بمعاقده المعونة الربانية معقوداً، وقوة تلقى من حمدتها الى كل جديد منها. جديداً؛ بمنه. مجموع رسائل موحدة 23 - 26

(2) الاجتماعية:

(أ) من الرسالة المعروفة برسالة الفصول . انشأها الكاتب ابو جعفر بن عطية عن اذن الخليفة عبد المومن الى اهل بجاية، يوصيهم باقامة الحدود وحفظ الشرائع واظهار الحق بلزوم الواجبات: ...وابتديء باول مباني الاسلام فأخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو اساس الدين ومبناه، وروحه ومعناه، والقاعدة التي لا يثبت عمل دون تأصيلها، والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها؛ فلا سبب لمن لم يتمسك بسببه، وقد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به، وهو اثبات الواحد ونفي ما سواه. بتقييدات في الشريعة لا يكفي معها اطلاق اللفظ دون تحقيق معناه؛ وذاك ان يعلم على وجهه وحده، ليكون عن علم لا عن ضده، وعن يقين لا عن شك، وعن اخلاص لا عن شرك، وان يقوله مع العمل، ولا ينكل، ويؤمن الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من اوله الى آخر القول في المعجزات، ويحفظوه ويفهموه، ويلزموا قراءته ويتعهدوه، ويومر طلبة الحضر ومن في معانهم بقراءة

العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبيين والتنبيه والتبصر. ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي اولها: «اعلم ارشدنا الله واياك» وحفظها وتفهمها، وأشمل في هذا الالتزام الرجال والنساء والاحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف، اذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل ولا بالرسالة، ومن حصل على مثل هذه الحالة، فقد تعثر في اذيال الضلالة، فان لم يبادر الى التخلص منها، والانفصال بالعلم منها، فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت في اراقة دمه لاحتالة. وأخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المؤمنين والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين، والناحية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين؛ ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة؛ فهو ممجوا من ديوان المؤمنين؛ ومن ضيعها فهو لا سواها اضيع من الوظائف والقوانين، وتاركها ميت في عداد الاحياء؛ لخشاشة تقضى عند انقضاء امد الامهال والاملاء، فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت، وادائها بحسب ما فرضت، وخذوا العوام ومن في الديار بحفظ ام القرآن وسورة معها؛ وما يتسر من القرآن لتتم صلاتهم ويكمل عملهم؛ ومن اضاع الصلاة واهملها ولم يبادر الى اداء ما فرض عليه منها فاجله للحين متاح. وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب. وخذوا بايتاء الزكاة، وبالكشف عن مانعها وتشخيص ممسكها او النزر اليسير منها. فالزكاة حق المال، والجهاد واجب على من منع منها قدر العقل، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها، ومن منع عقالا فما فوقه كمن منع الشرع كله.

وآمر بالنظر في الربوب وتمييزها، والهجوم على بائعها ومدمني شربها ومستعملها، فإراق مسكرها، ويقطع منكرها، وليعبد الى من عمل المسكر الحرام عامداً، وشربه مدمناً عليه ومعاهداً، ولم ترعه الحدود، ولم تقيده القيود، ولم يعظه الاعتبار، ولم ينفعه الاذكار، فيمحي أثره، ويحذف خبره، فالخمر ام الكبائر، وجماع الاثم وكاشفة شمس العقل، والبلاغة على كل قبيح من الفعل، والفاتحة كل مرتج من ابواب العصيان، وهي رجس من اعمال الشيطان.

وآمر بالكشف عن التلصص والحراة، والتولج في مكان من الريب والغواية، والاجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وانواعها وضروبها واختلاف آلاتها؛ وما يتبعها من المناكر الناشئة عن اصل الجهالة، والافعال المنافية للشرعية الصادرة على اهل الذراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغواة المضللين، ومن النساء المفسدات، المقتنيات في طرق الغوايات. فاكشفوا عن هذه الاضاف واثيروهم عن مكانهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حاله، وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله، فيحكم كتاب الله - جل اسمه - عليه، وتطاع سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيه.

وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم، وياكلون بالباطل اموالهم. وعن اهل العناد والتعاس والاخلاد، والتشبث الذين اذا دعوا الى الجهاد، ونودوا الى الصلاح والرشاد، صموا عن النداء وتلوموا في اجابة الدعاء، والقوا المعاذير المعربة عن العناد، والناطقة عن الضمائر المثلثة بسوء الاعتقاد، وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من العرج فيما بينهم والقتل والفساد، والخبل والانقياد الى

سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق وضبط الامر، وعن اهل
النفاق والتدليس، الناطقين بما لا يعملون، والقائلين ما لا يفعلون.
فاذا تعينوا على التحقيق، فليمض عليهم حكم الله تعالى الذي امر به فيهم.
مجموع رسائل موحدية 131 - 134، كتاب اخبار المهدي للبيدق 139 - 142.
(ب) من رسالة السيد ابي الربيع الموحدي إلى الناحية سجالمة:

جوابا عن رسالة ملك غانة بالسودان ينكر عليه تعويق التجار.
...نحن نتجاوز بالاحسان، وان تخالفنا في الاديان، وتنفق على
السيرة المرضية، وتتألف على الرفق على الرعية، ومعلوم ان العدل
من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، واجور لا تعانيه الا
النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم
من التصرف فيما هم بصدد، وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها،
ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا
من اهل تلك الناحية، لكننا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا ان
ننهي عن خلق وناتي مثله. نفخ (2) 100.

(ج) ابو حفص الاغماتي يحذر من الدنيا واهلها، ويحض على علم
الكتاب والسنة :

هذه الدنيا - حفظك الله - كما قد علمته، فاعرض بحلمك عن
جهلها، وارغب بنفسك عن اهلها، واذكر قبائح انبائها. واصرم وصل
ابنائها، لا ترتع في روضهم، ولا تكرر في حوضهم، وقل الله ثم ذرهم
في حوضهم، واذا مررت باللاعين بذكر محاسنها، اللاهين بحسن
ظاهرها عن قبح باطنها، فإله عن لهوهم، ومر كريما بلغوهم؛ مر
المهتدي في سيره، واعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره،
فالسعادة والسعادة في نبذها، لا في اخذها، وفي تركها لا في دركها،
واليك عن وصلها اليك، وعليك بهجرها عليك، واتل قوله تعالى:

«ولا تمدن عينيك»، وقوله تعالى: «ولا تعد عينك عنهم». واحرص ان لا تكون منهم؛ فزخرف الدنيا في نظر العين زين، وفي نظر العقل شين؛ فغمض عينك تبصر، ولا تمدّها واقصر؛ جعلنا الله ممن نظر بقلبه، وابصر بلبه، فاولوا الالباب والفكر؛ المخصوصون بالذكر، والعلم ارفع المزايا. واوسع العطايا، هو غاية المنال والمدرك، من ناله اي شيء فاته، ومن فاته اي شيء ادرك؟!... ولا علم الا علم الكتاب والسنة، هما افضل العطايا والمنة، فمن علمهما ونظر فيهما وعمل بهما؛ نال غاية السعادة، وادرك منتهى السيادة؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم»، هذه المزايا العالية، والعطايا الواسعة الباقية، لا ما نهت عنه الآية الثانية، جعلنا الله ممن ابصر رشده، وذكر مراده، ووجه اليه قصده، وراى في اول امره آخره، وابتغى فيما اياه الله الدار الآخرة؛ بمنه وفضله آمين.

الازهار (2) 359 - 360.

(8) السياسية :

(أ) من رسالة للمهدي ابن تومرت يذكر مثالب المرابطين وما انعم الله به على الموحدين: (١)

...واعلموا وفقكم الله ان المجسمين والمكارين وكل من نسب الى العلم اشد في الصد عن سبيل الله من ابليس اللعين؛ فلا تلتفتوا

(١) ثبت هذا القسم من احدى رسائل ابن تومرت كانهودج الكتابة السياسية اول قيام دولة الموحدين - على ان عدة ما ورد في هذا النوع من الكتابة من المرابطين - بعلمها ان تومرت وحده من غير ان يشاركه في رايه.

الى ما يقولون؛ فانها كذب وبهتان، واقتراء على الله ورسوله، وما نسبوكم اليه من الخلاف لله والرسول؛ فذلك خب وغش للمسلمين وخيافة لله ورسوله؛ يابى الله ورسوله ان يكون من تمسك بالحق واتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأُذِنَ الى الله، مخالف الله ورسوله؛ بل المخالف لله ورسوله من اتبع الباطل وخطوات الشيطان.. فانتبهوا وفقكم الله لهذه الحيل؛ التي يحتالون بها على عيشتهم ودنياهم حتى حملهم ذلك الاقتراء على الله ورسوله، حتى عكسوا الحقائق وقلبوها؛ وحرفوا الكلام عن مواضعه، ونسبوا من دعى الى التوبة والتوحيد واتباع السنة الى الخلف؛ وسموه مخالفاً بغيهم، وسموا من اتبع الباطل وخطوات الشيطان؛ من اتباع عادات الجاهل والمداينة؛ واكل الحرام وارتكاب الآثام؛ والاصرار على الكبائر والفجور؛ واكل الدنيا بالدين؛ واكل اموال الناس بالباطل؛ وسموا هؤلاء كلهم مطيعين، وسموا اتباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة افتراء على الله ورسوله؛ فلا تلتفتوا الى تلبيسهم؛ ولا تنظروا الى تدليسهم، فانه ظهرت اباطيلهم وتعاضدهم على اخماد الدين؛ وتعاونهم على الاثم والعدوان؛ فويل لهم مما كسبت ايديهم؛ وويل لهم مما يكسبون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ...

...واعلموا وفقكم الله ان الموحدين في الامن والامان، ونصر من الله وعافية وفضل منه واحسان؛ تتابعت عليهم النعم، وترادفت عليهم المنن؛ لله الحمد على ذلك؛ اشتغلوا بتعليم ما يلزمهم، والاهتمام في دينهم، والقيام بفرائضهم، والاستعداد للقاء ربهم، فالله يتم علينا وعليهم. ويزعنا شكر انعمه، اذل الله لهم عدوهم، وقذف في قلوبهم الرعب وزلزل اقدامهم وانتقم منهم بجورهم، واخذهم بسوء افعالهم، اخذهم الله

في كل ناحية، وقطع الله لهم كل حيلة، هم في خزي وخسران، ورعب
 وخذلان، وذلك كله من حول الله وقوته لا منا؛ ولا من افعالنا،
 انما هو من وعد الله الذي لا يخلفه لأوليائه؛ وخزي من حاد الله
 ورسوله من اعدائه؛ ارسل عليهم جنودا لا قبل لهم بها؛ واظهر عورتهم
 وذلتهم لأوليائه؛ وكل من استند اليهم من حزب الشيطان من
 اوليائهم لا شك فيه ولا ريب ان من اعتصم بغير الله تعالى ضل سعيه،
 ومن اتكل على غيره خسر دنياه وآخرته؛ لا عاصم لمن اراد الله
 هلاكه، ولا حيلة لمن اراد الله فتنته .

والكفرة اليوم قد تبين للناس ما هم عليه من تبديل الدين
 وعكس الامور؛ واثير الضلال على الهدى؛ واثير العناد والطغيان
 على العدل والاحسان؛ واثير الاستنكاف والاستبكار على الاستسلام
 للامر والانقياد للحكم؛ واثير الفساد في الارض على الاصلاح فيها،
 وقطع ما امر الله به ان يوصل من حسن الزاد، وحسن الاستعداد
 للمعاد، وحملهم الغي والبغي على ان جعلوا الحق باطلا؛ والباطل حقا،
 والكفر ايمانا، والايمان كفرا، والهدي ضلالا، والضلال هدى، والعدل
 جورا، والجور عدلا، من يهد الله فلا مضل له؛ ومن يضل فلا هادي له،
 فقد كشف الله لعباده المؤمنين قلوبهم، واظهر كيدهم الآن لا خفا
 به، قد وضع سبيله، وكذلك الباطل؛ الا لمن سبقته عليه شقوته من
 الله، فقد تبين الرشد من الغي؛ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
 فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها؛ والله سميع عليم، ومن
 يتخذ الشيطان واما من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا، اعادنا الله
 من الزيغ والزلزل؛ وعصمنا من المحن والفتن، كتاب اخبار المهدي
 للبيدق 4 و 6-7 .

(ب) من رسالة للمامون يوبخ فيها طائفة من جنده :

تبا لهمتمكم المنحطة، وشيمتكم الراضية بأدون خطاة، احين ندبتم الى حماية اخوانكم، والذب عن كلمة ايمانكم، نسقتم الاقوال وهي مكذوبة، ولفقمتم الاعذار وهي بالباطل مشوبة، ولقد آن لكم ان تبدلوا حمل الخرخان الى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول؟!... وانما على الغايات جر الذيول، امرؤنا الشعراء (35) .

(4) الادبية:

(أ) الوزير الكاتب: ابو جعفر ابن عطية يستعطف الخليفة عبد المومن، من رسالة: قاله لو احاطت بي كل خطيئة، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، وانفت لآدم من السجود، وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك لنوح، وبريت لقدر ثمود نبلا، وابرمت لحطب نار الخليل حبلا، وحططت عن يونس شجرة اليقطين، واوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها، واقتسريت على العذراء البتول ففدفتها، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة، وظهرت الاحزاب بالقصوى من العدو، وذمت كل قرشي، وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي، وقلت ان بيعة السقيفة لا توجب امامة الخليفة، وشحذت شفرة غلام البغيرة بن شعبة، واعتلقت من حصار الدار وقتل اشمطها بشعبة، وقلت ثقاة لنوا رغبة في الأبيض والاصفر، وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا، ثم اتيت حضرة المعصوم لائذا، وبقبر الامام المهدي عائدا، لقد آن لمقاتلي ان تسمع، وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع، مع اني مقترف، وبالذنب معترف.

فمفواً امير المومنين فمن لنا برد قلوب هدها الخفقان
النفح (3) 100 . الاستقصا (1) 153 .

(ب) عبد الواحد المراكشي يصف قصيدة ابن عبدون فـي رثا
بني المظفر ؛ ملوك بطليوس من الاندلس:

...وفيهما يقول الوزير الكاتب الابرع ؛ ذو الوزارتين ابو محمد
عبد المجيد بن عبدون؛ من اهل مدينة يابرة؛ قصيدته الغراء؛ لا بل
عقيلته العذراء؛ التي ازرت على الشعر، وزادت على السحر، وفعلت
في الابواب فعل الخمر، فجلت عن ان تسام، وانفت من ان تظاهى،
فقل لها النظير، وكثر اليها المشير، وتساوى في تفضيلها وتقديرها
باقل وجريز، فله هي من عقيلة خدر، قربت بسهولتها حتى اطعمت،
وبعدت حتى عزت فامتنعت، اوردتها في هذا المظف وان كان فيها
طول مخرج عن الحد الذي رسمته؛ مخل بالتلخيص الذي شرطته،
لصحة مبانيها، ورشاقة الفاظها، وجودة معانيها، سلك فيها ابو محمد رحمه
الله طريقة لم يسبق اليها، وورد شريعة لم يزاحم عليها، فلذلك قل
مثلها، لا بل عدم، وعز نظيرها فما نوههم ولا علم، المعجب 49.

(ج) أبو الخطاب ابن دحية يرثي بغداد وخلفاءها العباسيين،
ويستعرض الشيء الكثير من الدول والاعيان الذين ذهبوا وماتوا،
وقد ختم بهذه المراثية الشربة كتابه: النبراس في تاريخ بني العباس،
وقال بعد كلام:

...واخذت من طريق خوزستان؛ الى طريق حلوان؛ وقاسيت
من الغربة اصناف الالوان، ومررت على مدائن كسرى أنو شروان
وزرت بها قبر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم-الزاهد العابد، المعمر:
سلمان، واعملت منها السير والاغذاء، الى مدينة بغداد، فنظرت اليها

معالم وربوعا؛ واقمت مرة عاما؛ ومرة اسبوعا واسبوعا، وانا ابدي في
ندائهم واعيد، والترب قد علا على منازلهم والصعيد، واسأل عن
الحلفاء الماضين وانشد، ولسال الحال يجاوبني وينشد:

ياسائل الدار عن اناس ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالي اين جديس واين عاد؟!

بل اين أبو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال؟! اين
الانبياء من ولده والارسال؛ اهل النبوة والرسالة؛ والوحي من الله
ذي الجلالة، اين سيدهم محمد الذي فضله عليهم ذو العزة والجلال،
وجعله شفيعهم مع امته والناس في شدائد الاهوال، اين القرون
الماضية والأجيال، اين التبابعة والأقيال، اين ملوك همدان، اين اولو
الابلق الفرد او غمدان، اين اولو التيجان والاكاليل، اين الصيد
والبهاليل، بل اين النمارذة واكبرهم نمرود ابراهيم الخليل، اين
الفراغة ومن هو بالسحر عليم؛ الذين منهم فرعون موسى السكليم،
اين ملك الهدنانية؛ هدد بن بدد الكردي؛ الذي لم يكن غدره
بمفيد له ولا مجدي؛ وقد اخبر الحق جل جلاله عنه انه كان ياخذ
كل سفينة غصبا، وزعم المؤرخون انه كان ايضا يملأ القلوب رعبا؛
ويسوم اصحابه قتلا وعلبا، مع الطمع في المال؛ وعدم النظر في عقبي
المآل، اين الفرس وملوكها، وعدلها وعدولها. اين دار ابن دارا بن
بهمان، اين اسكندر بن فلش اليوناني الذي غلبه وملك بلاده في
ذلك الزمان؛ واطاعه جميع ملوك الاقاليم، وقدر الله به امتحان الخلق
ذلك تقدير العزيز العليم، اين كسرى وقيصر، غلبهما من الموت
الاسد القشور، بعد ان اخرجهما من بلادهما امير المؤمنين ابو حفص
عمر، لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر.

اين اولاد جفنة وملوك غسان، اين مماديح زياد وحسان، اين هرم
ابن سنان، اين الملاعب بالسنان، اين اولاد مضر بن نزار بن معد بن
عدنان، اين بنو عبد المدان، اين ارباب العوام، اين قيس بن عاصم،
اين العرب العرباء الامة الفاضلة؛ والجماعة المناضلة، اين اولو البأس
والحفاظ، وذو الحمية والاحفاظ؛ حيث الوفا والعهد، والحباء والرغد،
الى علو الهمم والوفا بالذمم، والعطاء الجزل، والضياف والنزل، وهبة
الإفال والبزل، وانها لا تدين عزا ولا تقاد؛ ولا ترام انفة ولا تفاد، اين
قريش المغرورة في الجاهلية بالحلي اللقاح؛ والشعب الرقاج، اين
الماضون من ملوك بني امية؛ ذوو اللسن الذلق والاوجه الطلق
والحمية، اين خلفاء بني العباس بن عبد المطلب؛ الذين شرفهم
بالاصالة وليس اليهم بالمنجلب، ذوو الشرف الشامخ، والفخر الباذخ،
والخلافة السنية الرضية، والمملكة العامة المرضية.

بلغتنا والله وفاتهم ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم، قبض ملك
الموت ارواحهم قبضا، ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا، ومزق الدود
لحومهم قددا، ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا؛ الا ما
كان من اجساد الانبياء عليهم افضل الصلاة والتسليم، فان الله تعالى
حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا
الحديث واثبت انه من الصحيح لا السقيم، وخرجت طرقة في كتابي
العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم.

فما ابعد المرء عن رشده وما اقصاه؟ كم وعظه الدهر وكم وصاه،
يخلط الحقيقة بالمحال، والعاطل بالحال، ولا توبة حتى يشيب الغراب،
ويالف الدم التراب، فيالهفي لبعد الدار، وانقراض الجدار، وانت هامة
ليل أو نهار، وقاعد من عمرك على شفا جرف هار، تقرأ العلم وتدعيه؛

ولا تفهمه ولا تعيه، فهو عليك لا لك، فأولى لك ثم أولى لك، أما آن
للبل الغي أن تنجلي أحلاكه، ولنظم البغي أن تنتشر أسلاكه؛ وأن
يستفطع الجاني جناه، ويأسف على ما اقترفه وجناه، وأن يلبس عهاده
بتاً، ويطلق الدنيا بتاً، ويفر منها فرار الأسد، ويتيقن أنه لا بد من
مفارقة الروح الجسد.

نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا، وحسن ما ساء من صنائعنا
الذميمة وسلاتنا، وجعل التقوى حصن عددنا ووفق آلائنا، اللهم اليك
المآب، وبيدك المتاب، قد واقعنا الخطايا، وركبنا الأحرام رواحل
ومطايا، فتب علينا اجمعين، وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
الطائعين، وصلى الله على سيدنا ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة،
وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة، وعلى آله
الطاهرين، وأصحابه أهل الرضوان المنتخبين، وسلام الله عليه وعليهم
إلى يوم الدين. النفع (3) 61 - 63.

(5) الأخوانية:

(أ) رسالة أبي الحسن علي بن مروان الرباطي، وقصتها أنه
ذكر لابن الربيب المؤرخ أن عند أبي الحسن نسخة جليظة من
تاريخ عريب، فأرسل إليه في استعارتها فكتب إليه:

يا أخي سدد الله آراءك، وجعل عقلك أمامك لا وراءك؛ ما يلزمني
من كونك مضيعاً أن أكون كذلك، والنسخة التي رمت إعارتها هي
مؤنسي إذا أوحشني الناس، وكاتم سري إذا خافوني، فما أعبرها إلا

بشيء أعلم انك تتأذى بفقده اذا فقد جزء من النسخة، وانا الذي اقول:
 انس اخي الفضل كتاب انيق او صاحب يعنى بود وثيق
 فان تعره دون رهف به تخسره وتخسر وداد الصديق
 وربما تخسر هذا وذا فاسمع رعاك الله نصح الشفيق
 نفح (1) 466.

(ب) كتب ابو القاسم عبد الكريم بن عمران القصري الى ابي
 عبد الله محمد بن علي بن العابد الفاسي يستقرضه بعض قريظه بعد ان
 شافهه بذلك، ووعد به فبطل:

.أيها الشاعر المفلق، قولة منصف لا متملق، بقيت وللعصر بك
 اختيال، ولزهر الآداب من خمائل شمائلك إثيال، ومهما ذكر القريض
 بتصريح او بتعريض، فالناس فيه على براعتك عيال، اقتضى الود الذي
 لم نزل نتعاطاه تعاطي الجريال والاعتدال⁽¹⁾
 في مجرة برودها سابغة الإذيال، أن اهز عطف
 انطباعكم عنصر طباعكم السيال

واقباضى منكم دينا ما احمل اللوم
 صرف الليالي، فبعثت بهذه الرقعة على ما ترون بها من
 جذب سجع في مصوح هشيم ها مراد ولا
 لم تطالع في تصفح مرسومها ظمي فلعب بخواطرها
 ش لمواطرها رقص الال تشير بمعطل جيدها قلائد
 النظم ومجيدها اشارة من راقها لديه لالا² اللال فكيف بها اذا

(1) يائض بالامل وكذا الآتي بعده في هذه الصفحة.

ففتح لها الباب، وكرعت في فم ذلك العباب، واشتملت من مصون
 ذخائره⁽¹⁾ اللباب، فهناك تبرد الأوام، وتنثى بفرادى من
 فرائد البديع وتوام، ولا تزال تصرح بالثناء عليكم مترنمة كورقاء
 في فروع الايك مهيمنة، وفي دوح سراوتكم ان شاء الله تجد الظلال
 وترد الزلال، وتحل حيث حل من وسنى العقل الخيال، فتصدق عليها
 واوف المكيال، والله يهنيكم ما منحكم من محاسن رايقة وخلال، ويقين
 في آيات السحر الحلال، وسلام الله عليكم ما انحسر قناع الغيم عن
 جبين هلال، ولبي المحرمون باهلال، ورحمة الله وبركاته.⁽²⁾
 الاعلام (3) 102 - 103.

(ج) وقد اجاب ابن العابد كاتب هذه الرسالة ابا القاسم القصري
 بما يأتي :

ايها البحر الوهوب لفرادى الجواهر والتوام، والحبر اللعوب
 باطراف الكلام، وقيت عين الكمال، وبقيت محروس الجمال؛ تتأنق
 لمن باراك في ارتياد البراعة؛ وتسبق من جارك بجياد اليراعة،
 وتبختر من ملابس السعادة في موشى برودها، وتظفر من اوانس
 الآمال المنقادة بشهي برودها، وطلتني رقعتك التي جلوت في اسطارها
 الكواعب، وعلوت باظهارها الكواكب، واظهرت في نظمها ونثرها
 السحر لمرتاده، وذكرت بمستاف عنبرها الشحر على نادي بلاده
 فقلت هذه غاية لا ابلغ مداها، وآية يتحدى بها من اهداها، فتوقفت
 عن الاجابة توقف الحسير، وانصرفت الى الازعاج،

(1) ياض بالاصل:

(2) من سوء الحظ ان معنى المطر كثيراً من هذه الرسالة وجربها في نسخة الذيل
 التي احتفظت بالرسالتين. وبالرغم من ذلك اتبعتها على علائهما لما في الباقي من دلالة
 على تفوق صاحبيهما في ميدان الكتابة.

وانشدت الحاطر وارجاه داحب ابعده حول
 فاني لاغتراره الا ان يساجل عبابك بهذه الصبابة ويعاجل
 يرزق سواه من عدم الاصابة،
 ومجدك اسبل على هذه الهنات يعدل
 من قابل تلك الحلل المسهمات في اسمال معاوزه، والله يبيكم
 ننظمون عقودها، والماثر تجبرون برودها، والسلام عليكم ما اء
 انايب وانسلت من الظلام جلايب،
 وهطلت من سما بلاغتكم شآيب، ورحمة الله وبركاته.
 الاعلام (3) 103 - 104 .

(1) التوقيعات:

وكانت تصدر عن كثير من خلفاء الموحدين وبعض امرائهم
 توقيعات عريقة في الاجادة والصنعة؛ على ما يقدم اليهم من القصص
 او الشكاوي، لا سيما يعقوب المنصور؛ فقد كانت مضرب الامثال في
 هذا الباب، وهذه امثلة من توقيعاتهم:

الآن وقد عصيت من قبل ...

كتب ابو جعفر ابن عطية الى عبد المومن بقصيدته الآتية
 يستعطفه لما نكبه، فوقع عبد المومن على القصيدة: الآن وقد عصيت
 من قبل وكنت من المفسدين. نفح (3) 101 .
 ظهر الفساد في البر والبحر.

وطلب يعقوب المنصور يوماً من قاضيه ان يختار له رجلين

(1) ياض بالاصل، وكذا الآتي بعده في هذه الصفحة.

لفرضين؛ من تعليم ولد وحفظ امر، فعرفه برجلين قال في احدهما:
وهو بحر في علمه، وقال في الآخر: وهو بر في دينه، ولما احضرهما
المنصور واختبرهما؛ قرا بين يديه، واكذبا الدعوى، فوقع على رقعة
القاضي: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ظهر الفساد في البر والبحر.
شرح رقم الحلل 58. نفج (2) 100.

ما لنا ولدفن الجبابة

وامر المنصور القيم على اخيه عمر؛ وعمه سليمان بقتلها.. ودفنهما،
فقتلها القيم المذكور صبرا ودفنهما، وكتب للمنصور يعلمه بذلك،
ويقول: بنيت قبريهما بالكدان والرخام، وجعل يذكر حسنهما،
فكتب اليه المنصور: ما لنا ولدفن الجبابة، انما هما رجلان من
المسلمين، فادفنهما كيف يدفن عامة المسلمين. المفج 183.

نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل

واتى قوم الى المنصور-ايضا- بفيل من بلاد السودان هدية؛ فامر
لهم بطة ولم يقبله منهم، وقال: نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل.

النفج (2) 100

الجواب ما ترى لا ما تسمع...

كتب اذفونش الاسبان ليعقوب المنصور كتابه الشهير
يستدعيه فيه للقتال، وبعد ما قرأ المنصور هذا الكتاب؛ دعى بولده
وولي عهده محمد الناصر، مدفعه اليه وامره ان يجيب عنه، فقرأه هذا
الاخير؛ ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهر قطعة منه: قال الله العظيم:
ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم
صاغرون، الجواب ما ترى لا ما تسمع، وانشد بيت المتنبي ماثلا:

ولا كتب ألا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم
القرطاس 140.

.. فاحذر فانك على شفا جرف هار.

وقع ابو الربيع سليمان امير ناحية سجلماسة الآذف الذكر،
الى عامل كثرت الشكاوي منه: قد كثرت فيك الاقوال، واغضائي
عنك رجاء ان تتيقظ فتنتطح الحال، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار
عليك تنبيه الى شر الاختيار، وعدم الاختبار، فاحذر فانك على شفا
جرف هار، النفخ (2) 100 - 101 .

يخرج هذا النازل، ولا يعوض بشي من المنازل..
شكت امرأة الى المامون بن المنصور جنديا نزل دارها وآذاها،
فوقع على رقعتها: يخرج هذا النازل، ولا يعوض بشي من المنازل.
امراؤنا الشعراء (35) .

(2) الخطابة

(1) السياسية:

لما مرض المهدي مرض موته استدعى قبل موته بأيام يسيرة
اهل الجماعة واهل الخمسين ، فلما حضر وايقن يديه قام - وكان
متكئا - فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، وصى على سيدنا محمد نبيه
صلى الله عليه وسلم، ثم انشأ يترضي عن الخلفاء الراشدين رضوان
الله عليهم، ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم، والعزيمة
في امرهم، وان احدهم كان لا تاخذه في الله لومة لائم، وذكر من

حد عمر رضي الله عنه - ابنه في الخمر، وتصميمه على الحق في اشباه
لهذه الفصول، ثم قال:

فانقرضت هذه العصابة نضر الله وجوهها، وشكر لها سعيها، وجزاها
خيرا عن امة نبيها، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيرانا،
والعالم متجاهلا مداهنا، فلم ينتفع العلماء بعلمهم؛ بل قصدوا به الملوك
واجتلبوا به الدنيا وامالوا وجوه الناس اليهم، في اشباه لهذا القول
الى هلم جرا، ثم ان الله سبحانه - وله الحمد - من عليكم ايتها
الطائفة بتأييده، وخصكم من بين اهل هذا الامر بحقيقة توحيد،
وقيض لكم من الفاكم ضلالا لا تهتدون، وعميا لا تبصرون، لا تعرفون
معروفا، ولا تنكرون منكرا، قد فشت فيكم البدع واستهوتكم
الاباطيل وزين لكم الشيطان اضاليل، وترهات انزه لسانه عن النطق
بها، وأربأ بلفظي عن ذكرها، فهداكم الله به بعد الضلالة، وبصركم
بعد العمى، وجمعكم بعد الفرقة، واعزكم بعد الذلة، ورفع عنكم سلطان
هؤلاء المارقين، وسيورثكم ارضهم وديارهم، ذلك بما كسبته ايديهم
واضرته قلوبهم، وما ربك بظلام للعبيد، فجددوا لله - سبحانه - خالص
نياتكم، واروه من الشكر قولا وفعلا ما يزكي به سعيكم، ويتقبل
اعمالكم لينشر امركم، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات
الآراء وكونوا يدا واحدة على عدوكم، فانكم ان فعلتم ذلك هابكم
الناس واسرعوا الى طاعتكم؛ وكثر اتباعكم واطهر الله الحق على
ايديكم، والا تفعلوا شملكم الذل، وعمكم الصغار؛ واحتقرتكم العامة
فتخطفتم الخاصة، وعليكم في جميع اموركم بمزج الرأفة بالغلظة
واللين بالعنف، واعلموا مع هذا انه لا يصلح امر آخر هذه الامة الا على
النهي صلح عليه امر اولها، وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه اميرا

عليكم، هذا بعد ان بلوناه في جميع احواله من ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه، واختبرنا سريره وعلايته؛ فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه، متبصراً في امره، واني لارجو ان لا يخلف الظن فيه، وهذا المشار اليه هو عبد المومن، فاسمعوا له واطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه، فان بدل او نكص على عقبه او ارتاب في امره، ففي الموحدين اعزهم الله بركة وخير كثير، والامر امر الله يقلده من شاء من عباده.

المعجب 125 - 127

(2) الاجتماعية:

من خطبة لابي حفص الاعماني يحذر فيها من بعض اصناف الفلسفة والفلاسفة، ويحض على التمسك بالكتاب والسنة: ...فاياكم والقديما - الفلاسفة - وما احدثوا، فانهم عن عقولهم حدثوا، اتوا من الافتراء بكل اعجوبة، وقلوبهم عن الاسرار محجوبة. الانبياء ونورهم، لا الاغنيا وغرورهم، عنهم يتلقى وبهم يدرك السؤل، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول، الدين عند الله الاسلام، والعلم كتاب الله وسنة محمد عليه السلام، ما ضر من وقف عندهما ما جهل بعدهما، خير نبي في خير امة؛ يزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، داهم من قرب عليه، واختصر لهم الطريق اليه، فما ضر تلك النفوس الكريمة؛ والقلوب السليمة، والالباب العظيمة؛ ما زوي عنها من العلوم القديمة، نقاهم من الاوهار والادناس، وقال كنتم خير امة اخرجت للناس، كتابهم اعظم كتاب انزل، ونبيهم اكرم نبي ارسل، السيد الامام، لبنة التمام، خير البرية على الاطلاق، بعث ليتم مكارم الاخلاق، أنزل الكتاب اليه، مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمناً عليه، هو الشفاء والرحمة، وفيه العلم كله والحكمة. معجز في وصفه، عزيز في وصفه، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، آياته باهرة قائمة، ومعجزاته باقية دائمة. اذ هي للنبوّة والرسالة خاتمة، لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائب. ما ذا اقول وقد بهر العقول، حسبي حسبي: قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي...

رحلة العبدري (خ).

(3) الوصية

(أ) لما دنت وفاة يعقوب المنصور، جمع بينه والموحدين ووصاهم بوصايا منها: ايها الناس اوصيكم بتقوى الله، واوصيكم بالايتم واليتيمة، فقيل له: وما الايتم واليتيمة؟ فقال: الايتم اهل جزيرة الاندلس وهي اليتيمة، فايكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الاسوار، وحماية الثغور، وتربية اجنادها، وتوفير رعيته، وتعلموا اعزكم الله انه ليس في نفوسنا شيء اعظم من همها، ولو مد الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها، حتى نعيد لها دار اسلام، ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى وحسن نظرهم فيها، فانظروا للمسلمين واجبروا الشرائع على منهاجها. حلل 121 - 122.

(ب) أوصى أبو موسى عيسى بن عمران التسولي الوردميشي ابنه لما كان يدرس بفاس بما يأتي :

...وقد اجمعت الامة على ان الراحة لا تنال بالراحة. وان العلم لا ينال براحة الجسم، فادرس ترأس، واحفظ تحفظ، واقرأ ترقى، ومهما ركنت الى الدعة، كنت في اهل الضعة، وما رأيت الناس مجتمعين

على حمده فاجتلبه. وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه، والاعدل
الاقسط، أن تسلك السبيل الاوسط.

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل
القرطاس 172. الجذوة 283.

(الحكمة)

ويمكن ان نجد الحكمة المنشورة على هذا العهد فيما رواه ابن
العربي الحاتمي قال: سمعت محمداً بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد
الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس العدل - اظن - في سنة اربع
وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم اربعة ملوك بأربع كلمات؛ كأنها
رमित عن قوس واحدة قال كسرى: انا على رد ما لم اقل اقوى
مني على رد ما قلت، وقال ملك الهند: اذا تكلمت بكلمة ملكتني
وان كنت املكها، وقال قيصر ملك الروم: لا اندم على ما لم اقل
وقد ندمت على ما قلت، وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول
أشد من الندم على ترك القول. الفتوحات (4) 549.



II الشـعر

المديح:

ابن خبازة يمدح الرسول (ص) ويذكر جملة من مفاخره ومعجزاته:
حقيق علينا ان نجيب المعاليا ونجمع اشتات الاعاريض حسبة ونقتاد للاشعار كل كتيبة فالسن ارباب البيان صوارم لتطلع من امداح احمد انجما كواكب ايمان تنير فيهتدي سهوت بمدح الخلق دهري فهذه فلا مدح الا للسذي بمديحه الى ان قال :

وكم آية خصت سراقه اذ مشى فشاهد آثارا من الخسف كادان ولما دعا بالهاشمي اجاره واصحه منه ظهيرا مكرما واخبره ان سوف يفتح امره ويجعل في كفيه من بعد فتحها فأنجزها الفاروق في حين فتحها وآيته في خيمتي أم معبد وفي الذئب اذا اقمى واخبر مفصحا وفي الضب لما ان دعاه اجابه

على اثر المختار للغار قافيا يكون لقارون السفاه مؤاخيا فابصره في الحين من ذاك ناجيا بخط ابي بكر يخيف الدواهيا مدائن كسرى والبلاد الاقاصيا سواره مما يحرز الدين ساميا له عدة بالصدق فيها مباهايا وفي الشاة اذ لم تبق تصحب راعيا عن المصطفى والذئب ما زال عاويا وقال له : لبيك لبيك داعيا

وآيته اذ فارق الجذع فضله
وان انشقاق البدر اعظم آية
وفي الجبل المآتي بحضرة صعبه
وقصته في المحل لما دعا لهم
وسال به وادي قناة لاجله
وفي قصة الزوراء للخلق آية
دعا باثنا ليس ينقع ماؤه
ففاض زمير الماء بين بنانه
وركوته يوم الحديبية التي
واشياءه الجم الغفير بقبضة
واخباره بالشيء من قبل كونه
فاخبر ذا النورين ان ستصيبه
واخبر عماراً بنأف حياته
وقال لذي السبط: اشقى الوري الذي
يصادف نور الشيب ابيض ناصعا
ونص على السبط الشهيد بكر بلا
وفي الحسن الزاكي ابان بانه
وقال لقوم: ان آخركم بها
وقال: اذا ما مات كسرى فما ترى
وأخبر عن موت النجاشي حينه
وقال على قرب الحمام لبنته:
وآيته جلّت عن العد كثره
وأعظمها الوحي الذي خصه به

فحن اليه الجذع في الحال شاكيا
ترد على من كان للدين زاريا
ليشكو تكليف المشقة راغيا
فأبصرت سحبا كالجبال هواميا
ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وذكرى لعبد كان للذكر ناسيا
لقلته بالري من كان صاديا
وكان وضوءاً للكتيبة كافيا
افاض بها الله البنان سواقيا
من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
فيأتي على النص الذي قال حاكيا
على الامر بلوى تعقب الاجروافيا
سيقطعها بالقتل من كان باغيا
سيخضبها من هامة الرأس عاصيا
فيسقيه صوب الحنف احرز قانيا
فقام له الدين الحنفي ناعيا
سيصلح بين الناس للاجر ناويا
مماثا سيصلى جاحم الجمر حاميا
سميا له اخرى الليالي مساميا
وبينهم بحر من الصبح طاويا
تموتين بعدي فافرحي بلقائيا
فما تبلغ الاقوال منها تناهيا
فبلغ عنه آمرا فيه ناهيا

فكلهم ألفاه بالعجز وانيا
مرور الليالي جدة وتعاليا
وحكم القضاء مثبتا فيه نافيا
يرى ماضيا او ما يرى بعد آنيا
وتسم بالغايات منها المباديا
ولا ري يومنا للصحائف تاليا
عليه مدى الايام منا وغاديا
الجدوة 210 و 214 - 215 . أزهار الرياض (2) 384 و 389 - 392.

تحدى به اهل البيان بأسرهم
وجاء به وحيا صريحا يزيده
تضمن احكام الوجود بأسرها
وأخبر عما كان او هو كائن
ووافق اخبار النبيئين كلهم
وما كتبت يمناه قط صحيفة
عليه سلام الله لا زال رائعا

أبو حفص الاغماتي يمدح الخليفة يوسف بن عبد المومن :

فغزو بها سبعة وهي الاقاليم
عليك من نصرها نص وتقديم
كل الورى حاكم بالله محكوم
خواد ممالك والمنصور مخدوم
بوعد ربك هيات التناجيم
فينا وثم لها زلفى وتكريم
هل في البسيطة ظلام ومظلوم؟
فانت فيهن اكمال وتتميم
وحبل من فارق الاجماع مصروم

الله حسبك والسبع الحواميم
سبع المثاني التي لله قمت بها
وانت بالسور السبع الطوال على
والدهر سبعة وسبعة جعلت
وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
تسمو بنفس على السبع الشدادسمت
أنوار عدلك في الآفاق داعية
أعلى بك الله اعلاماً هديت بها
عليك اهل الهدى والحق متفق
ومنها :

ووجهه بجمال النور موسوم
وظهرها لعهود الله ملثوم
طابت أرومته والنفس والخيم
غنى وعز وارشاد وتعليم

فؤاده بضياء العلم منشرح
وكفه بطنها بالخير منهمر
العلم قيمته ؛ والحلم شيمته
لطالبي العلم ما شاءوا بخدمته

سحب العلوم عليهم من سماحته
العين من نظر ، والاذن من خبر .
يفضي اناسة وحلما عالما وله
تشتد فيمن عصى او خان وطأته
ارادة فوق ادراك العقول لها
حتى اذا ما بدا منها النجاح بدت
انظر خواتمها تفهم مبادئها
والحظ سماء علاها عبرة وكفى
اب الخليفة سر الله ظاهرة
فسلموا واخلعوا الآراء واتبعوا
الشرق والغرب من عرب ومن عجم
والبحر والبر من سهل ومن جبل
ومنها أيضاً :

وكل مجد مفاد من علامك
للمسلمين أمير المؤمنين حتى
الدهر في أنفه من حكمه برة
العلم والدين والدنيا وساكنها
جزاء سعيك عند الله مذكر
عطف على حرامد احي وان عجزت
ما علقوا لو رأوا هذا (قفا) والألا
اذا لقال لراويه عليقة :

تعمي ففي بحرها هم شرع هم
لا تشبعان ويأغي العلم منهم
في موضع الحق اقدام وتصميم
وفي الثفاف لذات الزيغ تقويم
فحسبها منه ايما وتسليم
كالشمس ما دونها في الجو تغيم
بالشرح ما ليس بالمفهوم مفهوم
من يسترق سمعها بالشعب مرجوم
آياته وهو عند الله معلوم
حكم الامام فما في الدين تحكيم
في كفه عودهم بالقبض معجوم
جميعها بزماس الرأي مخطوم

نسيمه نفس الغلبا مشموم
يحله من صروف الدهر تحريم
بها الزمان على الابرار مخزوم
في سلك رأيك ياوسطاه منظوم
هذا كتابك في الابرار مرقوم
ان الجمال على العلات مرحوم
هبي ولو جاءهم حجر وكلثوم
«هل ما علمت وما استودعت كتوم؟»

ياسامعين اماميخ الامام ألا
خذ كأس لفظي دهاقاً من مدائحه
ندعو له بدلاً من مدحه لقصو
عز الامام فلا تضرب به مثلاً
اعطى الورى فضل ما اعطاه خالقه
صل بالصلاة عليه صدق مدحته
فاجثوا على الركب الاعظام او قوموا⁽¹⁾
فيها الحقائق لا لغو وتأثيم
ر المدح عنه وفيه العذر معلوم
من ذا يقاس به؟ والمثل معدوم
عليه من ربه بشرى وتسليم
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم
أزهار الرياض (2) 362 - 364 . الجذوة 286

عبد الواحد المراكشي يمدح الامير ابراهيم بن يعقوب المنصور :
لكم على هذا الورى التقديم
لله أعلاكم وأعلى أمره
أحييتم المنصور فهو كأنه
ومحارب ومنابر ومحارب
الى ان يقول في ذكر ولايته اشيلية :

فكانما حصص جمالاً سارة
وأرى طليطلة كهاجر أثرها
ويقول فيها :

يذر الصايب صغيره وكبيره
ويحرق الاعداء فيما أضرمت
فيها جذاذا والعلوج جثوم
ويجوب نار الحرب وهي جحيم
المعجب 206 - 207 .

أبو الخطاب ابن دحية في سلطان مصر الملك الكامل من قصيدة :

(1) لما قال أبو حفص هذا البيت قام جميع من في المجلس، وكان فيهم الشاعر أبو
العباس الجراوي فاحتاج الى مشايهم لذلك؛ وتقر عليه لضخامته، فجعل وهو يحاول القيام
يب القاضي أبا حفص عمر ويشير الى انه انتصف منه . الازهار (2) 364 .

بأسيافه في الارض هدت كنائس
كتائبه منصوره بكتائب
يهيم بمقراه جلال وهمه
فلا تطمعن فيه العدى قل حدهم
ليهنك ياغز الملو ك بشائر
تدال بها ارض العدى بالعمى هدى
وتفتح قسطنطينة وتلاءها

وشيد للاسلام فيها جوامع
من الملا الاعلى وجبريل وازع
وتغنى بمغناه نفوس نوازع
ففي غير امر الله بطمع طامع
توالى بها في المشركين وقائع
يكسر ناقوس وتبنى صوامع
يتاح لها امر من الله قالع
عنوان الدراية 165 - 166 .

الامير عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن يمدح
الواعظ ابن رشيد البغدادي لما ورد مراکش من قصيدة :

بحر ولكنه عذب جواهره
ييدي الجلي من المخفي منطقة
معنى رقيق ولفظ زانه زجل
تجمعت فيه اشياء محاسنها
اذا بدا طاعدا ادراج منبره
وان تكلم غار العين من حسد
طورا يعلمنا طورا يخوفنا
يا واعظا بهرت حسنا مواعظه
ذكرت غافلنا علمت جاهلنا

تصوب من وعظك الاجفان واكفة
أيدت بالصدق في قول وفي عمل
كما تؤيد في نظم العروض وقد
كم من شرود أخي غي الى رشد

كما يصوب لصوت
فللدموع اذا اسمعت طوفان
دعا الرسول بروح القدس
قادته يا ابن رشيد منك ارسان

(1) يابض بالاصل، وكذا الآتي بعده في هذه الورقة .

رأى ولولاك لم تبصر بصيرته
فأنت أنت جمال الدين لا كذب
وكيف يبصر وجه الرشد عيان؟
لا جحد في ذلك ان الجحد كفران
تحروا الصدق حيوا حيث ما كانوا
لله قوم بهذا لقبوك وقد
الاعلام (3) 158 - 159

الافتخار

الامير عبد الله الموحي من ابيات :

السادن من تخشى الليالي انتقامهم
يخطون بالخطي في حومة الوغى
وترجو ندام غايات السحائب
سطور المنايا في نحور المقائب
دم القلب مشكولا بنفح الترائب
كتابا باطراف العوالي ونقشه
اقاموا كتابا من نفوس الكتائب
وما كنت ادري قبلهم ان معشرا
النفح (2) 103 .

الجرابي مع احد المتبذلين :

يا سيدي جائتك رقمة شاعر
لو ادرك النعمان في ايامه
شهدت له الشعراء بالاحسان
او كان يوما في بني حمدان لم
لراى له فضلا على الذبياني
لاكنه قد ادركته حرقة
تبهج باحمدها بنو حمدان
فعدا مززة⁽¹⁾ كل مصفوع القفا
ادبية مزجته بالعبدان
فماذا نظرت الى قفاه حسبته
صفر اليدين ممزق الاردان
نبتت عليه شقائق النعمان
زاد المسافر 8 .

(1) مززة من الزز كلمة عربية بمعنى الصفع كما في القاموس وغيره . وهي من
الالفاظ العربية التي كانت شائعة بالاندلس والمغرب . مستعلة في مدلولها العربي حسبما يذكر
هذا عن الاندلس مرفضى فهي شرح القاموس (4) 42 ، وعن المغرب الونشريسي في
المعار (2) 398

الرثاء

ابن خبازة يرثي ابا محمد عبد الله نجل وزير اشبيلية وعظيمها
احمد حفيد؛ الحافظ ابي بكر ابن الجد ويعزي والده الوزير:

ارجة الصعق يوم النفخ في الصور ام دكة الطود يوم الصعق في الطور
ام هدت الأرض اظهاراً لما زجرت به الخليقة من ايقاع محذور
ام الكواكب في آفاقها انتشرت وباتت الشمس في طي وتكوير
ما المنهار تعرى من ثياب سنى واشبه الليل في اثواب ديجور
قد كان للصبح طرف زانه بلق فُقسم الخلق بين الدجن والنور
فما الملم الذي غشى بدهمته اديمه عنبراً من بعد كافور
اصح لتسمع من انبائها نبأ يطوي من الانس فيها كل منشور
وانظر فان بني عدنان ما حشروا الا لرز عظيم القدر مشهور
وافى مع العيد لا عادت مضاضته فشاب سلساله الا صفى بتقدير
واعتام دارا لها في السبق جهرة من المفخر ازرت بالجماهير
رمى قريشا فاصمى سهم حادثه ابناً فهر بتفريق المقادير
فخانها الجد في ابن الجد حين قضى واثر الخطب فيها اي تائير
لله والمجد ما ابقاه من اثر اخرى الليالي بطيب الذكر مأثور
نواره عند ما راقبت بدوحتها اهوت الى الترب من بين النواوير
جار الذبول عليها بعد ما ملأت معاطس الدهر من طيب وتعطير
وسيف، بأس لكسر الخطب اغمده صرف الحودث فيها بعد تكسير
قضى فوافق شهر الصوم مرتحلاً ووافق الشهر في فضل وتطهير
واختاره خاطب الخطب الملم به للصهر كفتاً فامضى العقد للهور
فسار للحين مسرورا وخلفنا للحزن فاعجب لمحزون بمسرور

نادته انجشة الاحزان يوم حدا
فالوجد والدمع من حزن قد اقتسما
فالقلب بالغىظ في تصعيد مستعر
وسائق الخطب يشدو الحاملين به
وللملائك في آفاقها زجل
اثنى المصاب على شيخ الجزيرة في
ذاق الرزايا على مقدار منصبه
لم يصمه الدهر في الابناء من حنق
وانما بصادر الاعلان منتقيا
ان كان فرق شمل الانس عنه فكم
يا دهر حملته وقع الخطوب ولم
فلم تجرب عليه جبن ذي خور
اردت بالصبر منه ان تقيم لنا
يا عامر الترب كم خلفت من كبد
لو كنت تحمي وتفدى للعلا ابتدرت
أسد قنادي بعقبان الخيول الى
مشمريين الى ورد الكريهة ما
بنو الكرام اولوا الرايات قاد بهم
ساقهم غيرة الايمان فانتدبوا
بعزم كل معدّي يسايره
حفوا بباطل لزريق لحقهم
وانما الموت حكم ليس يدخله
يقضي على الاسد في الآجام حاكمه
(1) ياض بالاصل .

اظطاعت قلبي رفقا بالقوارير
قلبي وجفني بمنظوم ومنثور
والجفن بالفيض في تصويب ممتور
يسوقهم سوق حادي العير للمير
قد شيعته بتهليل وتكبير
عقد وحل وتقديم وتأخير
والابتلاء على قدر المقادير
ولابلاء لتذنيب وتجدير
يصونها صون تعظيم وتكبير
اولاه لاجمع من جمع وتوفير
تزل تنفذ عنه كل مأمور
في النائبات ولا احجام مذعور
برهات تقديمه للخير والخير
ومن فؤاد بتأوي الحزن معجور
آلأنها بالغنى او بالقناطير
تمزيق لحم الاعادي بالقناطير
نالوا الملاء الذي نالوا بتقصير
الى (1) كل منصور
لنصرة الدين كالاسد المهاصر
فتح الجزيرة بين السرح والكور
فأبطلوه بأبطال مغاوير
نسخ لخلق وعدل دون تجوير
وفي الكناس على البيض اليعافير

ويقتص الشعب في شم الجبال كما
اعظم بآياته من آية عظمت
فسلم الامر فالأقدار قد نفذت
ما فقر ذي الفقر عن جهل ولا كسل
ولا الحمام بنقص في المزاج ولا
فكم صحيح قضى فيها بلا مرض
ومنها :

فاسمع بقلبك فلاشيا ناطقة
مقدمات الليالي طالما فضحت
جميع السلامة معدوم الوجود بها
وعامل الموت قد احصى مهندسه
والارض طرس وهذا الخلق احرفه
والدهر يعرب بالافعال يظهرها
وانما الخلق اسما تعاورها
وكلهم في مدى الاعمار تحسبهم
والموت مثل عروضي يقطع من
يا من يؤمل ان يبقى وقد نفقت
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به
لا تخدعك الليالي ان فتنها
كم بادرت بعبوس الخطب من ملك
سائل بكسرى ملك الفرس هدمك
وانزل بضعا في قصر ابن ذي وزن
واعبر على حيرة النعمان معتبرا

في الوكر يغتام افراخ العصافير
فليس تدرك في حال بتفسير
وكل شيء بتقدير وتدبير
ولا غني المرء عن كيس وتشمير
ضعف الطبيعة عن اسباب تدبير
وكم مريض اقامته لتعمير

والسن الحال تغني كل زهير
نتائج الغدر منها كل مغرور
وكم بها للردى من جمع تكسير
منازل العمر عدا دون تكسير
والحرف ما بين محو ومبتور
طورا ويعجم منها كل مسطور
اعرابه بين مرفوع ومجرور
كحالها بين ممدود ومقصور
اياتهم كل موزون ومكسور
ايدي المقادير من ابرام تقدير
آمال نفسك عن دنياك من زور
كادت فكادت ترينا كل عذور
قد بات بالبشر وضاح الاسارير
له المنايا جناحا غير مكسور
تلم بقصر على الاغيار مقصور
تعبير باطلال نعمى ذات تغيير

واين من كان سجن الجن في يده
واين مخترق الدنيا بعزمته
بادوا فليس بها باد يحس به
هو القضاء ابا بكر اصب به
والله يحرس دنياكم ويدفع عن
سامي معاليك انواع المحاذير
جذوة الاقباس 215 - 218 . ازهار الرياض (2) 380 - 382 .

الاستطعاف والاعتذار :

الوزير ابو جعفر ابن عطية يستعطف عبد المومن :

(أ)

عظفا علينا امير المؤمنين فقد
قد اغرقتنا ذنوب كلها لجـج
وصادفتنا سهام كلها غرض
هيئات للخطب ان تسطوا حوادثه
من جاء عندكم يسعى على ثقة
فالثوب يطهر عند الغسل من درن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم
ونحن من بعض من احيت مكارمكم
وضيبة كفراخ الورق من صفر
قد اوجدتهم اياك منك سابقة

(ب)

انوح على نفسي ام انتظر الصفا
فها لما في ليل من السخط حائر
فقد آن ان تنسى الذنوب وان تدعى
ولا اهتدي حتى ارى للرضا صبا
القرطاس 124 . النفح (3) 100 - 101 .

الامير الحسن بن عبد المومن؛ وقد عتب عليه اخوه الخليفة يوسف
فكتب اليه بهذه الابيات :

اذا نحن اذنبننا فعفوك نطلب وان نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانيك قد عودتنا منك رحمة وانت لنا في كل حالاتنا الاب
ولم نتعود قبل حالة ذلة ولا حذرا مما يقول المحبب
القرطاس 172 .

ابو حفص السلمي؛ لما اهديت اليه جارية لم يعرف انه كان قد
تسرى امها فصرفها الى مهيديها؛ وكتب معها يعتذر :

يا مهدي الرشا الذي الحاظه تركت فؤادي نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى في شمسها لولا المهيمت واجتناب المحرم
ما عن قلبي صرفت اليك وانما صيد الغزالة لم يبح للمحرم
ان الغزالة قد علمنا قبلها سر المهامة وليتنا لم نعلم
يا ويح عنتره الذي قد شفه ما شفني فشدنا ولم يتكلم
يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت عالي وليتها لم تحرم
المصلة 130 . شرح المقصورة (1) 160 - 101 .

الهجاء والذم:

الجرابي (أ) فيمن اسمه خلوف :

زعمو يا خلوف انك خلف صدقوا: فيك من خلوف الوف
ولهذا دعوك بالجمع فردا جمع خلف بلا خلاف خلوف
زاد المسافر 8 .

(ب) في ابني حفص الاعماني :

نبغت عمرة بنت ابن عمر هذه فلتعجبوا أم العبر

قل لها عني اذا لاقيتها قوله تترك في الصخر أثر
هك كالخنساء في اشعارها او حليلي هل تجارين الذكر؟
ازهار الرياض (2) 364 - 365 .

(ج) في قبيلته بني غفجوم :

يا بن السبيل اذا نزلت بتادلا لا تنزلن على بني غفجوم
ارض اغار بها العدو فلن ترى الا مجاوبة الصدى لليوم
قوم طووا ذكر الساحة بينهم لكنهم نشروا لواء اللوم
لا يملكون اذا استبيح حريمهم الا الصياح بدعوة المظلوم
لاحظ في اموالهم ونوالهم للسائل العافي ولا المحروم
ازهار الرياض (2) 365 . النفج (1) 574 ،

ابن حبوس يذم الشعر من قصيدة :

يا غراب الشعر لا طر ت ومليت الوقوعا
واذا استيقظ شهم قرم زدت هجوعا
هيك لا تقنص عزا لم تقنصت الخضوعا؟
رمت ان ترقى سريعا فتريدت صريعا
ربما اصطاد بغاث شبعنا واصطدت جوعا
ولقد غال حبيبا منك ما غال صريعا
بسط الايدي حتى منع الطير الوقوعا
واستباح الشيخ دي الكبرة والطفل الرضيعا
واعمد الشعر للمعلم سيوفنا ودروعا

زاد المسافر 4 .

العتب والتأنيب :

الجرأوي : استجداه شاعر بقصيدة فوقع له في اسفلها :

يا من يجدي لمن يجدي اسرفت والله في التعدي
انا اجدي الانام طرا وانت تبغي النوال عندي

زاد المسافر 8 .

الشاعر السلوي . وقد قصد - حبة جماعة من اهل سلا - الوزير عبد السلام ابن محمد الكومي؛ فقعد عن برهم ولم يقض حاجتهم فكتب اليه:
يا من رأى خيبة الراجين تكرمه ونيل ما املوا عجزا وتقصيرا
مهلا فانك خام في يد زمت وقد اعدله كمدًا وتقصيرا

الوصف :

ابن خبوس يصف الرياض :

ان رنت الريح الخفوق ازائها ترك القضيب قوامه وتميلا
شرب النشاط سلافة حتى اثنى واو انها حرمت عليه تأولا
زاد المسافر 2 .

السيد ابو الربيع (أ) يصف الروض ايضا :

تنبه ترى ديمة تمطر وجه الصباح لنا يسفر
وكالند لاكن كافوره بدا فيه واكتتم العنبر
على حين فل الدجى مدبر وللصبح في اثره عسكر
وبين الغمام ومطوره من الرهض كالحرب او اكثر
اذا التاح من برق ذا ابيض تاطر من غضن ذا اسمر
والمقطر في جيد غض النقا لآل من الماء او جوهـر

وفي عاتق الروض من سيفه
كان الرذاذ على زهره
وما عبق الروض طيبا لنا
ولاكنه للحيا يشكر
نجداد ولاكنه اخضر
يفت من السكر او ينثر
امراؤنا الشعرا 30 .

(ب) في وصف فسقية :

انظر اليها وقد سالت جوانبها
كانها مقلتي يوم الوداع وقد
بالماء سيلا خفيفا دمعته يكف
لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف
المصدر 31 .

ابن عبدوس (أ) في مصباح :

تسألأ مصباحنا فاكسى
كان الذبالة ذوارة
بهمم الرجا من سناه نحول
ومن حولها الدهن ماءً يجول
وان ظمئت اخذت في الذبول
اذا رويت نعمت نضرة
الجدوة 178 .

(ب) يصف نهرا قذفت فيه مصابيح :

انظرالى النهر يحكي الافق اذ قذفت
جالت به سرج شبهتها شهباً
فيه مصابيح ذادت عنه احلاكا
على قواعد قد حاكين افلاكا
المصدر 178 .

(ج) في نهر وردته عصابة طير :

اما ترى النهر في انصبابه
قد انتحت طير
كانه الطل في انسيابه
مقتمحات على حبابه
وتلقت الحب من حبابه
تنقع من مائه أواما

المصدر 78

(د) يصف فاس ومكناس ويفاض بينهما :

ان تفتخر فاس بما في طيها وبنائها في زيتها حسنا
يكفيك من مكناسة ارجاؤها والاطيبان هواؤها والما
الروض الهتون .

ابن العابد الفاسي (أ) في حمام :

وحين ضم الليل اذياله قمنا لبيت حرج مظلم
تخال من ضمته احشاؤه كانما ادرج في قبر
تلوح في اقبائه انجم نقيضة للانجم الزهر
تبدو نهارا فاذا ما بدا جنح الدجى غارت ولم تسر
يا طيبه ليل يا حسنه صبعا لقد حاز اسنى العمر
الاعلام (3) 105 - 106 .

(ب) في اخوين وسيم واحد :

في ابني محمد ان نظرت عجائب اخوان ظبي احور وخوار
فمن الجمال بوجه ذاك مآثر ومن الجمال بظهر ذا آثار
المصدر (3) 104 .

الغزل :

السيد أبو الربيع :

اقول لركب ادلجوا بسحيرة قفوا ساعة حتى ازور ركاها
واملا عيني من محاسن وجهها واشكو اليها ان اطالت غيابها
فان هي جادت بالوصال وانعمت والا فحسبي ان رايت قبابها
وقفت بها اشكو واسكب عبرة على غير بين ما علمت انسكابها

وحطت عن البدر المنير نقابها
 ويشكو النوى من قد اثار غرابها
 وعاقبت على بعد المزار خطابها
 لعلني ارى يوما الذي كتابها
 فقد زاد ما بي ان رايت جوابها
 النفج (2) 102 - امرأؤنا الشعراء 29 .

فأومت برخص من بنان مخضب
 وقالت: ايكي البين من قد اراده
 ولما تنأت دارها وتباعدت
 كتبت اليها اشتكي الم النوى
 وكنت ارى ان الجواب تعلل

ابو حفص الاعماني :

وفي العرب لا في بني الاصفر
 ومسرحتها في النقا الاعفر
 ويسلب فيها - واد الجري
 غيارى متى بغممت تزأر
 به الشبل ناش مع الجؤذر
 غرام به الحي لم يشعر
 فطرف غر وفؤاد بري
 الازهار (2) 366 .

مها القفر لادمية المرمر
 بنفسى يعافير تلك الخيام
 ملاعب يصبو اليها الحكيم
 وفيها الطباء بنات الاسود
 فخيخ الهزبر كناس الغزال
 تخالسها نظرا تحتــــــــــــه
 وباللحظ يقدح زند الهوى

ابن خبازة :

وتارجت منه الصبا والشمأل
 صبا بانفاس الصبا يتعلل
 لو كان يدنو منه ذاك المنزل
 شوقا على جمر الغضى يتملبل
 سيف الكمي اذا يكر ويحمل
 بنميمة والرعد لاح يعذل
 وهي القلوب هو الحمى والمنزل

هب النسيم ضحى ففاح المنديل
 اسرى عليلا فاستحث الى الصبا
 يهوى الغدير وساكنيه ومن له
 ما شام برقا بالغضا الا انبرى
 والبرق في نقع السحائب سيفه
 فكان ذاك البرق واش قد مشى
 وانا الغدا لجيرة نزلوا الحمى

وتحملوا يوم الفراق وانما
 قبسوا ومن قلب المعذب موقد
 ما ضرهم اذ عرضوا لو عرضوا
 حملوا الجمال على الجمال كأنما
 ابدت لنا حلي الطلي وتبسمت
 ومن العجائب ان اهيم بجنة
 ويهان مرسل ناظري في حبها
 الازهار (2) 383 .

وتحملوا يوم الفراق وانما
 قبسوا ومن قلب المعذب موقد
 ما ضرهم اذ عرضوا لو عرضوا
 حملوا الجمال على الجمال كأنما
 ابدت لنا حلي الطلي وتبسمت
 ومن العجائب ان اهيم بجنة
 ويهان مرسل ناظري في حبها

ابن المحلى السبتي :

فقبلي ارباب المحبة باح
 لقيت فاني ما علي جناح
 سخيا ولا ان الدموع شحاح
 فتلك العهود السالفات صحاح
 على ثقة ان السماح رباح
 فمالي اذا لج العذول جماح
 وقد حص بي ريش وقص جناح
 صباحي مساء والمساء صباح

ابوح بما القاه فهو مباح
 اذا باح من قبلي ولم يلق بعض ما
 أحبابنا لا تحسبوا الصبر بعدكم
 وان فنيت اجسادنا وقلوبنا
 سمحت لكم بالنفس كي اربح الرضا
 فؤادي منقاد اليكم مذلل
 وهل من سبيل ان اطير اليكم
 تغير وقتي بعدكم فكانما
 واوحشتم فالكل في الاذن نايج
 وما تفضل الايام اخرى بذاتها
 خرسست عن الشكوى اليكم مهابة
 تمتع لحظي سنة في جمالك
 وياعجبا انني اسير وانني
 اذا هز ارباب السماع تواجد

لدي وآفاق الوجو (1)

واكن أيام الملاح ملاح
 والسن حالي بالغرام فصاح
 فان لاحظ الاغيار فهو سفاح
 اناشدكم ان لا يتاح سراح
 فحظي منه زفرة وصياح

(1) يانز بالامل.

فهاأنا عند الباب منوا او اطردوا فمالى عنه كيف كان براح

الاعلام (3) 150 - 151

ابن العابد الفاسي في شارب رعى :

ومنهف للبدر حسن جبينه وليانع الاغصان مائس عطفه
لما اراق دمي ولاح بخده اجراه قصد إهانتى من انفه

الاعلام (3) 105 .

الاجتماع :

ابن جبوس (أ) الوصايا والامثال وذم الزمان :

رد الطرف حتى توافي النميرا قرب عسر اتاح اليسيرا
وارسل قلوصلك طورا شمالا وطورا جنوبا وطورا دبورا
وشن على غازيات البلاد من النص والرمل جيشا مغيرا
وفر ماء وجهك حتى تجم واطف السموم به والهجير
وطرحين انت قوي الجنا ح لا عذر عندك ان لا تطيرا
ولا تقعن وانت السليم حيث تفاهي المهيض الكسيرا
فام الترحيل تدعى وليدا وام الاقامة تدعى نزورا
وذو المعجز يرضع ثديا حدودا وذو العزم يرضع ثديا درورا
يعز على النبل اني غدوت اكنى ادبيا واسمى فقيرا
واني ثبت لكف الزمان يعرق عظمى عرقا مبيرا
وما ذاك أنى هيابة اخاف الرحيل واشنا المسيرا
ولكن بحكم زمان عدا يحط الجياد ويسمى الحميرا

الاعلام (3) 30 .

(ب) مذهبه في معاملة الناس :

اعدد لنا بحيك عصا وأقضم ما ضغيك حصا
وشعشع للورى شرقيا مع الساعات او غصصا
وكن وردا خبثنة يراوغ منهم قنصا
وعامل بالخديفة من اقيمت وبادر الفرصا
وغمض عينك النجلا حتى تنعت الحوصا
وهز لمعشر سيفنا وهز لآخريين عصا
وكاشر من يدب لك الضر او احرص كما حرصا
ولا تعتب عليه فلو ظفرت به لما خلصا
وسؤظنا بكل أخ يقاسمك الثنا حصا
ولا تحفل بامعة يخال الشحمة البرصا
ولا تحرص قرب فتى مضاع عند ما حرصا
وحرص الطائر الواقع صيرجوه قفصا
لقد رخص الغلاء واهـون الاعلاق ما رخصا
وقد ذهب الوفاء فلا يقول مغالط نقصا
فلا تلزم مكان الظل ان وافيته قلصا
وغن لذا الزمان اذا انتشى وازمر اذا رقصا
ومن شهد الخطوب وعـا ش مثلي يشرح القصصا

زاد المسافر 4 - 5 .

(ج) موقفه ازاء الفلاسفة : من قصيدة :

الدين . دين الله لم يعبا بمبتدع ولم يحفل بضلة ملحد
قالوا : بنور العقل يدرك ما ورا الغيب . قلت : قد ي من الدعوى قد
بالشرع يدرك كل شي غائب والعقل ينكر كل ما لم يشهد

من لم يحط علما بغاية نفسه
ولقد نرى الفلك المحيط وعلم ما
سعد المجرة بالكواكب دائر
من خص بالسفليّ جرم البدر ام
ما شاق الطود المنيف وان علا
وجواز عكس الامر في ذا واضح
ذاك اختصاص ليس يعلم كنهه
خفض عليك ابا فلان انها
سالت علينا للشكوك جداول
وتبعقت بالكفر فينا السن
اعدونا في ربنا احبابنا
كشف القناع فلا هواد تريتنا
ستنالهم منا الغداة - وارع
وتصوب فيهم سحبا بصواعق
من كان يضربهم بسيف واحد
ولعمر غيرهم وتلك الية
قالوا: الفلاس قلت: تلك عصابة
خدعت بالفاظ تروق لطافة
ذو علمهم لو كان شاهد علمنا
لعمراه من حسن هنالك لؤلؤ
اسفي ولو اني نصرت عليهم
يلغى كتاب الله بين ظهورهم
يا قاتل الله الجهالة انها

وهي القريبة من له بالأبعد
في ضمنه اعبى على المترصد
في زعمهم وقسيمها لم يسعد
من خص بالعلويّ جرم الفرقد
الا بمنزلة الحضيض الاوهد
للعقل فازدد من يقينك ترشد
من ليس يوصف بالبقاء السرمد
نوب تطالعنا تروح وتقتد
بعد اليقين بها ولما تنفد
لا تفقد التضليل من لم تفقد
جرحوا القلوب واقبلوا في العود
حتى نغادرهم وراء المسقد
ان لم تغلهم غولها فكان قد
تلك التي جلبت منية اريد
فانا أضرب (1)
ان الحمام لجمعهم بالمرصد
جاءت من الدعو
فاذا طلبت حقيقة لم توجد
وراي جهاذة الكلام
واقام بين تحير وتبلد
للثمت في المهجات كل معند
وجميع مسنون النسي محمد
ورق لاغصان الشباب الاملد
الاعلام (3) 28 - 29.

(1) يياض بالاصل، وكذا الآتي بعده بهذه الورقة

بو حفص الاغماني (أ) يبين مزية الشرع على العقل :

هذا كلام للهدى جامع	فاصغ اليه ايها السامع
الشرع للعقل هدى من يصل	بينهما برهانه قاطع
الشرع للعقل بلا مزية	كالشمس للعين سنى طالع
الشرع متبوع به يهتدي	من ضل والعقل هو التابع
لا يهتدي العاقل في قصده	الا بما سن له الشارع
هذا كتاب الله يهدي الورى	لكل علم نوره ساطع
معرفة الله وآياته	ومنهج الرسل وما الرابع
والعلم والحكمة في طيه	اجمع وهو المعجز الساطع
وهو من الله فما فوقه	هاد الى الله ولا شافع
تحت لواء الشرع يمضي الحجا	والشرع وال ماله خالع
	رحلة العبدري (خ).

(ب) يذكر هذه الحياة الدنيا :

يا راكضا في طلاب دنيا	ليس لمن قصرع انتعاش
تنح يا عرضة لــــرام	اسهمه بالردى تراش
تحش نار آهوى لظاها	بمن له حولها انحياش
اعذر منك الفراش الا	علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين	عنها ولا يستقر جاش
من لك بالري من شراب	يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رءــــاع	طاشت بالبابهم فطاشوا
واظماً لتروى وكن كقوم	ماتوا بها عفة فعاشوا
لم يردوها فهم روا	وواردوها هم العطاش
كان آمالنا ظبا	ونحن من حيرة خراش

لا تاملن بها انبساطا به لاعمارنا انكماش
كان آجالنا صقور ونحن من تحتها خشاش
الازهار (2) 360 - 361 .

السياسة:

ابن حبوس (أ) في فتح بجاية :
من القوم بالغرب تصغى الى
جروا والمنايا الى غاية
بايديهم النار مشبوبة
يقودهم ملكك اروع
تخير الله من آدم
الى الناصرية سرنا معا
الى برزة في ذرى ارعن
يعوذون منا بمولاهم
واكسبه خوفه خفة
حديثهم اذن المشرق
فلم يسبقوها ولم تسبق
فهما تصب باطلا تحرق
تفرد بالسودد المطلق
فما زال منحدرا يرتقي
ولما تفتنا ولم تلحق
تجل عن السور والخذق
ومولاهم عاد بالزورق
فلو خاض في البحر لم يعرق
زاد المسافر (6) .

(ب) يذم الوزير ابن عطية لما نكب :
اندلسي ليس من بربر يختلس الملك من البربر
لا تسلم البربر ما شيدت بالملك القيسي من مفخر
المصدر 3 - 4 .

الجرأوي (أ) يذكر انتصار المنصور في غزوة الاراك وهزيمة
الادفونش وجنده :

هو الفتح اعى وصفه النظم والنثرا
وانجد في الدنيا وغار حديثه
تميز بالاحجال والغرر التي
لقد اورد الادفونش شيعته الردى
حكى فعل ابليس باصحابه الالى
اطارته شدة تولى امامها
رأى الموت للابطال حوليه ينتقى
وقد اوردته الموت طعنة نائر
ولم يبق من افنى الزمان حماته
الوف غدت ماهولة بهم الفلا
ودارت رحي الهيجا عليهم فاصبحوا
يطير باشلاء لهم كل قشعم
فكيف رأى المغتر عقبى اغتراره
وكان يرى اقطار اندلس له
فسلاه يوم الاربعاء عن المنى
اذا عزلته الروم كانت نجاته
فتعسا له ما دام حيا ولا منى
بيمن الامام الصالح المصلح الرضى
فلا زال بالنصر الالاهي يقتضيه

وعمت جميع المسلمين به البشرى
فراقت به حسنا وطابت به نشرا
اقل سناها يهر الشمس والبدر
وساقهم جهلا الى البطشة الكبرى
تبرا منهم حين اوردتهم بدرا
شريدا وانسته التعاظم والكفرا
فطار الى اقصى مصارعه ذعرا
وان لم يفارق من شقاوته العمرا
وجرعه من فقد انصاره صبرا
وامست خلا منهم دورهم قفرا
هشما طحينا في مهب الصبا قدرا
فما شئت من نسر غدا بطنه قفرا
وكيف رأى الغدار في غيه الغدرا
متى يرم لم يحطى باسهمه قطرا
فما يرتجى مما تملكه شبرا
وقد احترقت جمر المنايا به عذرا
وكسرا له ما دام حيا ولا جبرا
نضى سيفه الاسلام فاستأصل الكفرا
بشائر يحصى قبل احصائها القطرا
رسالة المغرب : س (1) ع (8).

(ب) فيمن عصى دعوة المهدي من قصيدة :

وهل هو الامن اناس تهافتوا فراشا على اسيا فكم وهي نيران

عصوا دعوة المهدي وهي سفينة فأغرقهم طغيانهم وهو طوفان
زاد المسافر (8) .

(ج) من قصيدة في الطابوني الذي حلب :
انني لاعجب من خساسة عقله نسي الذنوب فخانه الغفران
وغدا على مشروعة رهن الردى فالجو قبر والهوى اكفاف
المصدر (7) .

ابن خبازة (أ) في المهدي ابن تومرت لما تبرأ منه المامون بن
المنصور ...

وجد النبوة حلة مطوية لا يستطيع الخلق نسج مثالها
فاسر حسوا في ارتقاء يتبغي بمحاله نسجا على منوالها
الازهار (2) 379 - 380 . الجذوة 210 .

(ب) حكي ان المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدى ضرب
بظاهر مراکش قبة حمراء، فبادر اليها العرب والنصارى من عسكر
عمه المامون فقطعوا اطنايبها فسقطت، فقال في ذلك ابن خبازة
من قصيدة :

انظر الي القبة الحمراء ساقطة لما رأت مضر الحمراء عن كثر
من كان أولى بها ان كنت ذا بصر العجم او معدن العليا من العرب
وانما سجدت لما سمت وغدت فوق الضلال وكانت أعجب العجب
الازهار (2) 383 .



الفنون

نهضتها

(1) الصناعات

الفرع الصوتي

صناعة الموسيقى .

الفرع الرسمي

فن العمارة :

صناعة الغرسة . صناعة الفلاحة . صناعة البناء . صناعة جر المياه .
صناعة السفن . صناعة السلاح . صناعة الورق . صناعة الصفر . صناعة
السكة . صناعة استغلال المناجم . الصناعات الميكانيكية .

فن التصوير :

صناعة التصوير . صناعة الطرز .

فن الذقش :

صناعة التزويق . صناعة الخطاطة . صناعة الوراقة .

(2) تذييل

المكتبة المغربية لهذا العهد

عمارتها . اهتمام الموحدين باقتناء الكتب . اقتراحهم تأليف الكتب .
اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم . مقام خطة المحافظة على الكتب .
تأسيس المكاتب العامة . المكاتب .

الذخائر والآثار في هذا العصر

نهضة الفنون

ان الفنون ارتقت في كثير من مظاهرها على هذا العصر: وقطعت باحات من التقدم والازدهار؛ في دائرة طابع الدولة الثلاثي من العظمة والدين والتجديد؛ كما سنرى هذا في تضاعيف الحديث عن اصناف الفنون في هذا العصر؛ تصرّحاً في بعضها؛ وتلويحاً في أخرى . وفيما يلي شرح لتلك المظاهر الفنية التي تتجلى بوفرة في شي* غير قليل من الصناعات .

الصناعات

نهض مجموع الصناعات لهذا العهد؛ وبالاخص ابان عظمة الدولة نهضة فائقة، وذلك بما توافر حينئذ من اصنافها؛ وبما كانت عليه من الجودة والالتقان، وبما ظهرت به من الابداع والاختراع . ومن مظاهروفرة الصناعات اذذاك: ما ذكره ابن ابي زرع في الانيس (26) . والجزنائي في زهرة الآس 33: انه كان بفاس وحدها لعهد المنصور وابنه الناصر من معامل الصناعات ما يأتي: داران للسكة؛ واحدة في كل عدوة . و (3064) معملا لنسج اشيا ب، و (47) من ديار عمل الصابون، و (86) من ديار الدبغ، و (116) دارا للصبغة، و (12) معملا لتسيبك الحديد والنحاس، و (11) مضعا للزجاج، و (135) من كوش الجير، و (400) حجر لعمل الكاغد، و (188) دارا لعمل الفخار، وكانت هذه خارج مدينة فاس.

ومما يدل ايضا على وفرة الصناعات حينئذ؛ ما نقله في النفع (1) 286: انه لما اراد عبد المومن تفخيم مصحف عثمان الآتي الذكر؛

حشر له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والقصية - وفي نقل الاستقفا (1) 151 وسائر بلاد المغرب والاندرلس - فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ، ومهرة كل طائفة من المهندسين ، والصواغين ، والنظامين ، والحلائين ، والنقاشين ، والمرصعين ، والنجارين ، والزواقين ، والرسميين ، والمجلدين ، وعرفاء البنائين ، ولم يبق من يوصف ببراعة او ينسب الى الحديق في صناعة الا احضر . وان هذا الكلام - زيادة على انه يدل على وفرة الصناع والصناعات بالمغرب حينئذ - يفيد ايضا اهتمام الموحدين بجلب الصناع للمغرب من خارجه ، ليتعاونوا مع الصناع المغاربة في بعض المناسبات ، وانظر النسخ (2) 124 ، ومن الشواهد على اتقان الصناعات الاتقان الفائق ، ما كانت عليه ابنيتهم - مثلا - من التفنن العظيم ، والتأنيق الفائق ، حسبما يعلم من مشاهدة ما بقي قائما منها ، ووصف ما حفظ وصفه ، وقد قال بعض : ان اتقان البناء من شواهد التقدم والرقي ، ولا ينتج الابنية الفخمة الشامخة الا حضارة ضخمة ، وشعوب لها شان في فنون الهندسة والعمارة ، ونزعة الى حسن الذوق .

اما ابداعات الموحدين وابتكاراتهم الميكانيكية فسنفرد لها فصلا على حدة فيما بعد .

وبعد هذه المقدمة افضل الحديث عما وقفت عليه من مظاهر النهضة لبعض صنوف الصناعة بما فيها من الفرع الصوتي ؛ فالفرع الرسمي باقسامه الثلاثة : فن العمارة ، وفن التصوير ، وفن النقش ، ثم اذيل على الموضوع بملحقات له .

صناعة الموسيقى

لقد اثر اثرا كبيرا في ضيق نطاق نهضة الموسيقى لهذا العهد
النشأة التي نشأت عليها دولة الموحدين : من التدين والتكشف
ومقاومة المناكر، بما فيها من آلات اللهو التي كان المهدي ابن
تومرت يامر اصحابه بتكسيورها؛ مثل ما فعل في فاس؛ كما اشار لهذا
في القرطاس 109 ، وبسطه في كتاب اخبار المهدي ابن تومرت 65.
كان ذلك عاملا قويا في تحديد النهضة الموسيقية -في هذه
الدولة، وبالاخص في اوائلها، ومن ابرز الشواهد على هذا أن الجيش
الموحدي نفسه لم تكن به موسيقى تذكر؛ حسبما يشير لهذا قول
ابن طفيل - كما في المعجب 157 - لو نفقت عليهم الموسيقى
لانفقتها عندهم ، فان نفاق الموسيقى لو كان اظهر قبل كل شيء
في جيشهم الذي لم يكن به منها سوى طبول كثيرة ، اما الطرب
الشعبي فكان يعتمد على اغاني مغربية؛ يشدها بعض المغنين في
المحافل والاسواق، مثل ابي علي حسن بن عمر الفهري السبتي الذي
كان قوالا يحترف بهذه المهنة ، الاعلام (3) 149 .

كما كان هناك نوع آخر من الطرب عرفه المغرب في هذا
العهد - فيما يظهر - وهو غناء العرب الداخلين للمغرب حينئذ
باشعارهم وملاحمهم ، يضاف الى هذا وذاك : ذوعان منحطان من
الطرب كان يقوم باحدهما السودان كما في الروض العتوان وبالآخر
البربر؛ كما في رسالة الشقندي . نفح (2) 151 .

على أنه - بعد اوائل هذا العصر اخذ الطرب يشيع ويترقى؛
وصار يستمع له بعض الامراء، مثل ابي الحسن علي بن عمر بن عبد

المومن . نفح (2) 102 ، كذلك وجد الطرب الاندلسي حينئذ بالمغرب، حسبما يوخذ من رسالة الشقندي، نفح (2) 151 ، وبخاصة نوع من الغناء يعرف بالسماع شاع اواخر هذا العهد، وتولع به حتى الخلفاء؛ مثل المرتضى من اواخرهم، الاستقصا (1) 208، وكذا ورد ذكر السماع في شعر ابن المحلى السبتي لما قال :
اذا هز ارباب السماع تواجد فحظي منه زفرة وصياح
الاعلام (3) 151 .

أدوات الموسيقى

تلخص مما ذكر ان المغرب حينئذ عرف اصنافا من الموسيقى ما بين مغربية واندلسية وغيرها، ونذكر هنا من ادوات تلك الاصناف ما وقفت عليه، ومن الموسف ان المصدر المهم عن هذه الآلات - وهو رسالة الشقندي بنقل النفح (2) 151 - كتبت عن هذا الموضوع كعادتها على اساس الحط من قيمة المغرب؛ فلم تذكر من ادوات الطرب بالمغرب سوى الدف، (وافال) (واليرا) (وابو قرون)....
اما آلات الموسيقى الاندلسية؛ فذكرت منها ما يأتي : الخيال، والكريج، والعود، والروطة، والرباب. والقانون، والمونس، والكثيرة، والغنار، والزلامي، والشغرة، والنورة - وفيها زمماران : الواحد غليظ الصوت، والآخر رقيقه، والبوق .

ولا شك ان اشهر ادوات الطرب حينئذ هي الطبول الموحدية - ان صح ان فيها طربا - وكانت في نهاية الكبر، وغاية الضخامة، يخيل لسامعها اذا ضربت ان الارض من تحته تهتز، ويحس بقلبه يكاد يتصدع من شدة دويها، وكان يصحب جيشهم منها عدد كثير

وفي غزوة عبد المومن لأفريقية، كان في جنده أكثر من مائتي
طبل: حسبما ثبت كل هذا في المعجب 150، وكان بين هذه
الطبول واحد هو أكبرها، إذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم انه طبل
الرحيل، يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع، في يوم لا
رياح فيه، وكان مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً، منشأ من
خشب أخضر اللون مذهب. الحلل 115.

صناعة الغراسة

صناعة الفلاحة

اهتم الموحدون بالغراسات اهتماماً فائقاً، وعاصمتهم مراكش
كانت متفوقة في هذا الميدان إلى حد بعيد؛ يقول عنها صاحب
الاستبصار: انها أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين واعناباً وفواكه
وجميع الثمرات... وأكثر شجرها الزيتون، وسلف عن مستشفى
مراكش أن يعقوب أمر أن يغرس به من جميع الأشجار والشمومات
والماكولات.

ومن البساتين الشهيرة بمراكش: (1) بستان المسرة أنشاه
عبد المومن خارج مراكش، وغرس به كل فاكهة تشتهيها الأنفس؛
طوله ثلاثة أميال، وعرضه قريب منه. الحلل 109 - 110، و (2) بستان
الصالحه، من أنشاء عبد المومن كذلك، وهو بستان كبير من جملة
بساتين: (اجدال) بمراكش، ولا زال مشهوراً بهذا الاسم إلى الآن، قاله
في الاستقصا (1) 108، و (3) البحائر؛ التي أنشأها يوسف، وهي تفوق
في غراساتها ما غرسه عبد المومن، حسبما يؤخذ من الاستبصار.

و (4) البحيرة التي أحدثها المنصور بمراكش الجديدة؛ طولها اثنا عشر ميلا، فيها العمائر الجليلة؛ والمصانع العظيمة، والبركة التي لم يعمل مثلها... طولها ثلاثمائة وثمانون باعا، على جانبها الواحد: اربعمائة شجرة من النارج؛ وبين كل اثنتين اما ليمونة، واما ريحانة. مسالك الابصار (خ).

ولم تكن بساتين مراكش هي الوحيدة بالمغرب؛ فقد كانت بساتين اخرى غرسها الموحدون اول ايامهم: (5) بمكناس و (6) فاس. و (7) المقرمة. و (8) تازا. واكثر غراسات الزيتون، كما في الروض الهتون الذي وصف بحيرتي فاس ومكناس: بان بهما - زيادة على الزيتون - انواعا كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد؛ مما كان له غلة جليلة، وفيهما ارض بيضا للخضر والكتان تكثرى بمال جسيم، وكما وصف هذا المصدر ما ذكر؛ كذلك وصف مؤلف مسالك الابصار بركة بحيرة فاس نقلا عن ابن منقذ في رسالته المغربية؛ الذي قال: زرعت كل جانب منها مائتين وستة عشر ذراعا بالمرفق، ويكون دور البركة ثمانمائة ذراع واربعة وستون ذراعا. كذلك كانت قرية (بليونس) بضاحية سبتة ذات (9) جنات وبساتين واشجار، وفواكه كثيرة، وقصب سكر، واترج، يتجهز به الى ما جاور سبتة من البلاد؛ لكثرة الفواكه بها. نزهة المشتاق.

ويفهم من بعض هذه النصوص ان الغراسة لهذا العهد كانت على جانب من الجودة الناشئة عن النظام، وهذا يؤيده الاثمان الباهظة التي كاذت تباع بها منتوجات تلك الغراسات، وقد استعرضت ما وقفت عليه من تلك الاثمان في مقدمات الكتاب ص 18 فليرجع اليه. هذا ولا ادع الحديث عن الغراسة دون ان اشير الى ان الفلاحة هي الاخرى كانت متقدمة حينئذ؛ وعولجت بالاساليب الفنية.

صناعة البناء

أكثر الموحدون من تشييد البنايات الضخمة؛ ورفع الهياكل الخالدة؛ الامر الذي جعل الاستاذ سديو يحكم عليهم بان حب تشييد المباني اظهر صفاتهم . تاريخ العرب العام 343 .

وكان لهم ذوق خاص في البناء؛ تجلى فيما بقي من آثارهم متوجا بالعجائب الثلاثة: منائر اشبيلية . والكتبيين . وحسان .

ويعقوب منهم كان مهتما بالبناء الى حد كبير، وفي طول ايامه لم يخل من قصر يستجده، او مدينة يعمرها . المعجب 194 .

ولقد كانت مبانيهم مطبوعة بطابع ناطق بعظمتها، وهذه بعض شهادات المؤرخين في هذا الصدد : يقول في النفح (1) 97 عن منارة جامع اشبيلية : انه ليس في بلاد الاسلام اعظم منها . ويقرر صالح بن شريف في كتابه روض الانس (خ) : أن مسجد مراكش - الذي ابتناه المنصور - ليس بعد جامع قرطبة مثله ، ويلاحظ بعض الباحثين ان مسجد اشبيلية - الذي أسسه المنصور - فاق مسجد قرطبة في اتساع الارجا وفخامة البنيان، ويشهد صاحب الاستبصار (خ) : ان قيسارية مراكش الجديدة ليس في بلاد الاسلام اعظم منها ، ويثبت المراكشي في المعجب 176 أن مسجد حسان ليس في مساجد المغرب اكبر منه ، كما يذكر ص 240 ان القصور التي بناها الموحدون بمراكش لم يكن مثلها لملك ممن تقدمهم من الملوك، ويصف ابن سعيد مراكش ويقول انها بغداد المغرب، وهي اعظم ما في بر العدو و اكثر مصانعها ومبانيها الجليلة انما ظهرت في مدة بني عبد المومن، النفح (2) 124 .

كما يقرر ابن سعيد نفسه انه لم يشاهد في البلاد التي طاف بها - وهي المغرب وافريقية وما جاورها، والبلاد المصرية والشامية - لم ير ما يشبه الاندلس في حسن المباني والتشييد والتصنيع، الا ما شيد بمراكش في دولة بني عبد المومن ... المصدر (1) 97 .

كذلك كانت بعض مبانيهم تحمل مسحة التجديد؛ فقد بنيت مدينة الرباط على هيئة الاسكندرية -في الاتساع، وحسن التقسيم- واتقاف البناء وتحسينه وتحسينه، وفيات الاعيان (2) 431 . وشيدت صومعتها العالية على هيئة منار الاسكندرية، المعجب 176، كما كان مسجد هذه المدينة يشبه مسجد مدينة (بلخ) -في عظم سواريه، رحلة ابن بطوطة (1) 246 .

كذلك كانوا يراعون -في بعض مبانيهم تخليد ذكريات غزوات الاسلام العظيمة، فقد بنى يعقوب بعد انتصار المسلمين في وقعة الارك منارة اشبيلية، الاستقصا (1) 180 . وانظر تاريخ العرب العام 343، كما بنى بعد استنقاذ مدينة شلب حصن الف-رج العظيم على النهر الكبير: نهر اشبيلية، وشيد به قصورا وقبابا، ولما رجع من غزوة الأرك جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الاعظم؛ واذن فدخل عليه الناس على طبقاتهم ومراتبهم وانشده الشعراء، المعجب 193-194 .

المصانع والمباني

وبعد ما تقدم اذكر ان مباني الموحدين كثرت بصفة خاصة بمراكش درجة اولى، وبالرباط درجة بعدها، كما شيدوا مباني عديدة في كثير من مدن المغرب وبعض جهات الاندلس، وفوق ما

ذكر من ذلك - في هذا المبحث وقبله - اذكر هنا طائفة من
مصانعهم ومبانيهم في غير مدينة بالمغرب والاندلس، ثم اعقب على
ذلك بنص فريد منقول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (خ)،
وهو يصف بعض مصانع مراکش القديمة؛ كما يصور تصويرا دقيقا
مدينة «تا مراکش» او مراکش الجديدة التي ابتناها يعقوب المنصور،
وهذه طائفة من مصانعهم ومبانيهم :

قصر ابي بكر ابن زهر بمراكش

شيده للمذكور يعقوب المنصور، واراد ان يجعله صورة طبق
قصر ابن زهر باشبيلية؛ فارسل المهندسين الى هذه المدينة وامرهم ان
يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته؛ ثم ينوا مثلها بحضرة مراکش،
ففعّلوا ما امرهم به في اقرب مدة... أنظر النفع (1) 440-439 .
وهذه القصة تضرب رقما قياسيا كبيرا لرقى صناعة البناء حينئذ؛
وتشهد بما كان للمغرب اذ ذاك من التقدم في هذا الميدان .

قصر السيد أبي الربيع بمراكش

وهو قصر جليل؛ حسبما يوخذ من قطعة للسيد ابي الربيع يصف
بها هذا القصر او الدار، وها هو نصها :

وذاك بالحيا صوب الغمام	رعاك الله يا دار الكرام
على نعم وخير مستدام	ومتع فيك أعواما طوالا
- وحق لها - على دار السلام	ارى مراکش الحسناء تزهى

كأن الارض شخص وهي وجه
تقول لاهلها لما أتوها
أقيموا آمين بخير حال
فندي للعلی أسنى مقام
وقت بوجهها وضع ابتسام
قدمتم فادخلوني بالسلام
ديوان السيد ابي الربيع (خ).

قبة السيد أبي حفص بمراكش

انشد فيها السيد ابو الربيع الابيات التالية :

أيما قبة العلياء حل بك السعد
وقرت بما نهواه فيك عيوننا
وحالفه فيك السرور مخيما
ولا زال والاقدار تخدم أمره
وحل بك التوفيق واليمن والمجد
وانجز في لقيا ابي حفص الوعد
اذا ما اتى وفد قفا اثره وفد
على وفقه والدهر في ملكه عبد
ديوان السيد ابي الربيع المذكور .

قصور الرباط

ورد عنها في الاستبطار ما معناه : ان في الرباط من المباني
الملوكية الرفيعة، والمنازله البديعة، وقباب الجلوس للسادات،
والقصور العلياء ما جعلها من متنزهات الدنيا .

مقدمة الفتح 124 .

دار العادل بالرباط

من آثار السلاطان ابي عبد الله محمد المعروف بالعدل بن
يعقوب المنصور . وانشد في حقها صاحب الجذوة :
يا عادلي دع عنك عدل العادل واخلع عذارك في الحبيب الواصل

وإذا ذكرت عشية لمحاسن فاذكر عشاينا بدار العادل
المصدر 124 - 125 .

قصر ابي العباس بن القاسم بسلا

من أخبار هذا القصر: انه لما شاده صاحبه وصفته الشعراء، وهنته
به، ودعت له، وكان بالحضرة حينئذ الوزير ابو عامر بن الحمارة
ولم يكن أعد شيئاً؛ ففكر قليلاً ثم قال:

يا أوجد الناس قد شيدت واحدة فحل فيها حلول الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي امل ولا كدارك في الآخرة لذي عمل
النفح (2) 351 .

قصر عبد المومن بالاندلس

انشد فيه ابو جعفر بن سعيد؛ وقد مر به بعد ما رحل عنه عبد
المومن :

قصر الخليفة لا اخليت من كرم وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته والغيل يخلو وتبقى هبة الأسد
المصدر (2) 300

قصر السيد ابي يحيى بن يوسف خارج قرطبة

وهو مبني على متن النهر الاعظم، تحمله اقواس، وقيل للسيد
ابي يحيى : كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل

قرطبة؟! فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر؛
لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية؛ فاجبت ان يبقى لي في
بلادهم اثر اذكر به على رغبتهم ، وانشد لنفسه في هذا القصر
ناهض بن ادريس شاعر وادي آش :

الا حبذا القصر الذي ارتفعت به على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذي انف الثرى ورفعته عن لثمه المجد والناس
فاركب متن النهر عزا ورفعته وفي موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمور الجنب وبابه يغص وحلت افقه الدهر اعراس
المصدر (1) 218 .

قصر السيد بغرناطة

وهو قصر كبير ، بناه السيد اسحاق بن يوسف على نهر شليل
خارج غرناطة ، وبني امامه الرابطة .
الحلل 126 .

قصر السيد بمالقة

بناه المامون بن المنصور حين كان واليا على مالقة؛ وبرأيه
واختراعه كان جميع بنائه .
المصدر 124 .

حمام وخان جليلان باحدى جهات الاندلس

بانيهما السيد ابو زكريا ، وكانا آتيين في براعة الصنعة
والتناق والافتقان؛ حسبما يوضح مما تصفهما به الابيات التالية:

قد كنت أحسب ان الحسن مسكنه
حتى بصرت به والسحر يقسمه
تنافسا في بديع الصنع فارتقيا
فذايته بتاج فوق مفرقه
وذا عليه رواق لم يلم به
.....
مأً يسح بمضقول الرخام كما
حدا به السير فانقادت ابايته
ان اكثر الناس مما ابصروا عجا
فلست اعجب من بنى تكفه

في ثغرا شنب او في جفن و سنان
على السواء لدى الحمام والحدان
هضب التائق في مرقاة اتقاف
كانه هرمز في ملك ساسان
كسرى قحط ولم يلمح بايوان
..... (١)
سحت على الخدد معا مقلّة العاني
من بعدكم حلف حنث وايمان
حتى لظنوا به من صنعة الجان
من الخليفة سعد انجد البان

من قصيدة في مدح السيد ابي

زكريا، صاحبها الاديب

الكبير محمد بن محمد بن

عيسى ابن زنون الاندلسي.

ت 627. وقد وردت في

ترجمته من كتاب: بعض

اخبار فقها مالقة وادبائها (خ).

مباني الموحدين بمراكش القديم والجديدة

وهذا كلام المسالك عن مصانع مراكش القديمة، وخطط المدينة

الجديدة؛ قال في صدد الحديث عن مراكش: وحكى لي غير

(1) البياض مكان بيت لا تستقيم قراءته.

واحد عن سعة دورها، وضخامة عمائرها، وما فيها من قصور بني عبد المومن واولادهم واجنادهم؛ حتى يقال انه اذا كان الرجل في صدر الدار ونادى رفيقه وهو في صدرها الآخر باعلى صوته لا يكاد يسمعه لاتساعها، ودورها سبعة اميال، وهي بسيطة يمتد فيها البصر، بناها امير المسلمين يوسف بن تاشفين... ثم ان يوسف العشري وهو ابن يعقوب⁽¹⁾ ابن عبد المومن؛ كبرها وفخمها، ومصرها وضخمها، وجلب اليها المياه والغراس، ومنارة جامعها المعروف بالكتبيين طولها مائة وعشرة اذرع من الحجر...

قال ابن سعيد: وحضرة مراکش مما سكنت بها وعرفت ظاهرا وباطنا، ولا ارى العبارة تفي بما تحتوي عليه، ويكفي ان كل (قصر) من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك، حتى يغلق الرئيس منهم بابه على جميع خوله واقاربه وما يحتاج؛ ولا يخرج له امر الى خارج داره، ولا يشتري شيئا من السوق للأكل، ولا يقرى اولاده في مكتب خارج، ويخرج هو من بابه راكبا؛ لا تقع عليه العين راجلا، وفيها قصور عظيمة، وبها قصر الخلافة، بناه المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن؛ وهو وسط المدينة (التي) اختطها خارج مراکش خاصة به وبخواصه، وتعرف بتامراکش. قال ابن سعيد: ولا ادري كيف أصل الى غاية في الوصف؛ اصف به ترتيب هذه المدينة المحدثه، فانها من عجائب همات السلاطين؛ ذات اسوار ضخمة وابواب عالية؛ وبها قصر الخلافة؛ وبه ديار عظيمة، منها دار البلور، ودار الرياح ودار⁽²⁾ وكل دار منها لا يخلو من المياه، والبساتين العجيبة،

(1) سبق قلم. والمراد يعقوب بن يوسف.

(2) مواضع البياض في هذه النبتة لم تتبين كتابتها في نسختي المنقول عنها، ثم بصر

ان تحل اسماء من ترك كلمته. (الطبعة ١٩٤٤).

والمناظر المرتفعة المشرفة على بسائط مراكش ، ولها ثلاثة ابواب مختصة بها: باب البستان، وكان لا يراه الا خواص بني عبد المومن يفضي الى مكان يعرف بالبحيرة... والباب الثاني باب السوادس وهو في داخل مدينة مراكش، ينصرف منه الى ما يحتاج اليه بالمدينة، والباب الثالث باب الرياض، امامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل... وبها قبة الخلافة الى جانب الباب؛ كان يخرج اليها خليفتهم بكرة كل نهار؛ ويكون بها الخدمة، وفي رحبة القصر دار الكرامة والاضيايف، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به خزائن الكتب... وفيها دار مخصوصة للوزارة المحلاة بوزير الجند، وتفضي هذه الرحبة الى باب السادة، وهو يفضي الى خارج مراكش، كان مخصوصا ببني عبد المومن؛ اليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة أطامها ينزلون، وهناك مقابر أكابرهم وجنائز الاعيان، في نهاية حسن المباني والغراس، وفي الرحبة باب السقائف، وهو باب كبير يخرج منه الى سقائف اهل الجماعة، وهي ذرية العشرة اصحاب: مهديهم ابن تومرت، وسقائف اهل خمسين، وسقائف الطلبة؛ وهم أهل العلم والقرآن، وسقائف الحفاظ، وهم المقدمون على الاعمال لحفظها، وسقائف اهل الدار، وهم غلمان الخلافة، ثم يخرج من هذه الرحبة الى سقائف القبائل واعيان الغز والجموع، ثم يفضي الى رحبة عظيمة فيها سقائف خنفسة وجميوة، والقبائل: هسكورة، وضهاجة، وهؤلاء هم قبائل الموحدين، وبها موضع صاحب الشرطة. وبازائها الجامع المبني في قامراكشت؛ على صحنه شباك من الصفر الاندلسي، وهو في غاية الزخرفة والاتقان، ولا يبرح المنبر مستورا في بيت المقصورة، وهو

والمقصورة مستوران الى يوم الجمعة، قرب الصلاة ترفع ستورها، والنهر الذي جلبه المنصور يخترق قصوره، ثم يمر على السقائف والمرجات المقدمة الذكر، ثم يحدق بالجامع، ثم يمر بين الاسواق قدر ميل الى ان يخرج على باب الصالحة من ابواب مراكش، وفي هذه الرحلة المقدمة الذكر باب الحيل، كان منه دخول الموحدين، وامامه فضاء عظيم يسع وقوف الخلائق وتصرفها، وباب لا يدخل هذا النوع الا منه، لاحتمال ان مدخل المدينة حجر، وبها الصهريج الكبير، والصهريج في مصطلح اهل المغرب البركة، وهي بركة عظيمة عليها سور وباب، يصب فيها النهر الثاني الداخل الى مراكش، وفيها توزع بقياس معلوم على قصور الناس، ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة اخرى في وسط الاسواق وما بعد، وفيها بركة تصب فيها المياه، وفي هذه الرحلة باب الشريعة امام مطلى العيدين، وبينهما فسيح عظيم به سوق الخيل، وللسلطان به قصر مطل عليه، ويليه باب نفيس يخرج منه الى بلد نفيس؛ المفضلة المياه والاعناب، وقدامه بركة اقنا؛ يتعلم فيها الصبيان العوم، ويليه باب مخزن السلطان كان به، والى جانبه قصر امة العزيز، وقصر ابن جامع؛ لا يعلم كم غرم على كل واحد منهما؛ حتى قال ابن سعيد في المغرب عن قصر ابن جامع وهو احد وزراء بني عبد المومن : انه كان في داره ساحة يلعب فيها خمسمائة جارية على خيل الخشب وتتطاعن، ويليه ذلك باب مسوفة يفضي الى المقابر، وباب دكااة، وهو مفض الى المنزهات، ويليه باب الرخاء، ويليه باب تاغورت، ويليه باب فاس؛ وهو مفض الى فضاء يفضي الى نهر كبير، لا يخاض الا في زمان الصيف، وعليه بسايتين جليلة ومتنزهات،

ويليه باب الدباغين ، ويليه باب ستار^ك، ويليه ايلان، ويليه باب اغمات،
وامامه منازل المجذومين^ل، ويليه باب الصالحة، وخارجه
مقابر وبساتين...

الى هنا انتهت هذه النبذة الفريدة التي تنشر كاملة لأول مرة
(فيما اظن)¹، وهي مليئة بالشواهد عما كان لبعض عظماء الموحدين؛
وبخاصة يعسوبهم يعقوب المنصور؛ من الاهتمام بالبنيان والتشييد .
وبعد هذا نختم هذا البحث ببيان ان مواد البناء لهذا العهد
كانت في منتهى الجودة، وكانت تعتمد في كثير من المباني على
الاحجار الصلبة، كما كانوا يستعملون الطابية في مبان اخرى،
حسبما هو مشاهد فيما بقي ماثلا من آثارهم حتى الآن .

صناعة جر المياه

وهي من ملحقات البناء، وقد بلغت اذ ذاك شأوا بعيدا؛ يدل لهذا
ما جروا من مياه على مسافات بعيدة، وما شيدوا لها من هياكل عالية،
ومن اجل اننا لم نقف على تفاصيل اعتنائهم بهذه الصناعة؛ نذكر
جملة مما وقفت عليه من آثارهم الناشئة عن براعتهم في هذا الشأن،
حتى يمكن ان نستدل بتلك الآثار على ازدهار هذه الصناعة .
وأول ما يذكر من آثارهم في هذا الصدد ان يعقوب المنصور
هو الذي قام ببناء القواس المدودة عليها قنوات المياه الموجودة
بالمدين المغربية، بناها بامرہ المسيحيون الذين اتى بهم قواد المنصور
عند غزوه لجزيرة الاندلس، مقدمة الفتح 129 .

ومن آثارهم الاخرى في هذا الميدان جرهم المياه لكثير من المدن

والجبهات بالمغرب، ومن المدن التي جهزوها بالما مدينة الرباط؛ جلبه لها -عام 545- الخليفة عبد المومن، واتى به من عين غبولة في مادة ممدودة من نحو عشرين ميلا، المصدر 42 و139-140، ومدينة مكناس اجروا لها الماء من عين فاكما على بعد ستة اميال، الروض الهتوف، وآسفي ادخل لها الماء يعقوب المنصور، ورفع اليه ساقية عظيمة غاية في الاتقان من الوادي الاخضر بتساوت، ولا تزال تحفظ باسم الساقية اليعقوبية، ويوجد أثرها في بلاد الرحامنة الى ارض دكالة الحمراء، أنظر آسفي : وما اليه 172، وسلا جره عبد المومن لها من الرباط بواسطة قنطرة مائية، تاريخ الاندلس (2) 254، ومراكش اجروا فيها مياهها كثيرة لم تكن فيها قبلهم، المعجب 240 .

كذلك جلب الناصر الماء للجامع الاندلس من عين خارج باب الحديد من فاس، الانيس 45-46 . زهرة الآس 82، وجلب عبد المومن لبستانه الذي غرسه خارج مراكش الماء من اغات، واستبط عيونا كثيرة، الحلل 110 .

ذلك ما امكن ذكره من آثار الموحدين في هذه الناحية، ومن غير شك انهم ما تاتي لهم ذلك الا بواسطة صناع ماهرين، الامر الذي يدل على مدى رقي هذه الصناعة حينئذ .

صناعة السفن

وهذه الصناعة كانت مزدهرة بالمغرب الى حد كبير، بل ان المغرب حينئذ تفوق فيها تفوقا بزا به من قبله ومن بعده، جاء في المقدمة 222 أنه لما استغلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين، اقاموا خطة الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما

عهد . . . وانتهت اساطيل المسلمين حينئذ في الكثرة والاستجادة ، الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ، ومن الشواهد الاخرى على ذلك التفوق - ولكن على المعاصرين فقط - ان صلاح الدين الايوبي ملك الشرق العظيم ؛ تقدم لملك المغرب يعقوب ، يطلب منه ان يمدّه بالاساطيل ، المصدر 222 . وأدفونس الاسبان ، هو الآخر كتب للمنصور يطلب منه ان يرسل اليه اساطيله ، ليعبر عليها الى المغرب ، القرطاس 140 . الاستقصا (1) 176 ، كذلك أثبت يوسف اشباخ (2) 247 : انه في عهد يوسف نشبت عدة مواقع بحرية بين الموحدين والقطلونيين على مقربة من طرطوشة ، واحرز أمير البحر الموحي كثيرا من ضروب التفوق ، كما انه في حصار المهديّة - التي كان يحتلها النورمانيون اصحاب صقلية - قدم من صقلية اسطول نصراني من مائتي سفينة ؛ ليحاول انقاذ المدينة ، فهاجمه أمير البحر الموحي عبد الله بن ميمون ، وكان لديه اسطول كبير من السفن الاندلسية . والمغربية ، ونشبت بين المسلمين والنصارى معركة بحرية كبيرة ، لم تغن فيها براعة النورمانيين في البحر شيئا ، واحرز المسلمون عليهم نصرا باهرا ، وأحرقوا وأغرقوا جانبا من سفنهم ، واستولوا على جانب آخر منها ، هذا كله كلام يوسف اشباخ .

مصانع السفن

وكانت لتلك الاساطيل مصانع متوافرة ، منشأة على طـوال مراسي المملكة الموحدية ، وكانت الواحدة من هذه المصانع تعرف بدار الصناعة ، وقد امتدت من مرسى سلا الى المهديّة ، وطنجة . وسبتة ،

وبادس، والريف، الى بلاد تونس، ووهران، وهنين -عناقة- الى الاندلس، وكانت هذه المصانع تنشأها الاساطيل البحرية. والمراكب الجهادية، القرطاس 127. الاستقصا (2) 11، كما كانت هناك مصانع اخرى لانشاء سفن النقل، ومنها دار الصناعة بقصر مصمودة، التي كانت تنشأها المراكب والحراريق: التي يسافر عليها الى بلاد الاندلس، نزهة المشتاق. ومنها ايضا دار الصناعة بالمهض المعروف بالحبالات من ارض بني عبودة؛ التي بقرب ملتقى وادي فاس كان الغالب عليها ان تنشأها القوارب والسفن الصغار، انظر: زهرة الآس 27 والجذوة 23.

انواع القطع البحرية

وهذا ما وقفت عليه من انواع القطع البحرية لهذا العهد:

(1) المراكب. (2) الشواني. (3) الطرائد. (4) المسطحات. (5) الحراريق. (6) الزوارق. انظر: القرطاس 140. نزهة المشتاق.

صناعة السلاح

وكما كان المغرب متفوقا في صناعة السفن، كذلك كان متقدما جدا في صناعة السلاح، وكانت معاملته توجد في جميع جهات الموحدين، وكانت هذه المعامل تنتج يوميا مقدارا عظيما من السلاح؛ حسبما يؤخذ كل هذا مما جاء في القرطاس 127 وغيره: ان عبد المؤمن امر سنة 557 بضرب السهام في جميع عمله، فكان يضرب له منه كل يوم عشرة قناطير او نحوها، فجمع من ذلك ما لا يحصى، وانظر تاريخ الاندلس (2) 248.

صناعة الورق

وهذه الصناعة هي الأخرى بلغت شأوا كبيرا لهذا العهد، وكانت لها معامل كثيرة تنتج ورقا جيدا، ومن مدن المغرب التي كانت مشتهرة في هذا الشأن مدينة سبتة، ومدينة فاس، وهذه الثانية بلغت فيها معامل انتاج الورق حسب ما مر بنا: (400) عمل، وذلك أيام المنصور والناصر 580 - 610 = 1184 - 1213.

وما يستحب ان يلفت اليه النظر، انه بينما كان المغرب في هذا التاريخ بلغت فيه نهضة صناعة الورق ذلك المبلغ؛ كانت بلاد اوربا كلها - باستثناء اسبانيا - ليس بها اذ ذاك ولا معمل واحد للورق، وانما دخلت اليها هذه الصناعة بعد هذا الوقت بزمان، وللتدليل على هذا ننقل كلاما نفيسا للعلامة (اسكورو) في كتابه الكاغد وفيه يقول:

وأُنشئ أول معمل باسبانيا (الاندلس) في مدينة شاطبة حوالي سنة 1150 م في ولاية بلنسية، ويرجع عهده بايطاليا الى اواخر القرن الثالث عشر، وفي سنة 1390 انشئ معمل للكاغد بمدينة نورمبرغ بالمانيا، واما بفرنسا فأقدم المصانع قد انشئ في منتصف القرن الرابع عشر باحوار (طروي) وضواحي (ايسون)، اما بانجلترا فأول المصانع يرجع الى عهد الملكة: اليزابيث سنة 1588 م.

من مقال نشره الاستاذ عثمان

الكعك في مجلة «المباحث» التونسية

عدد 25 من السلسلة الجديدة.

ولا شك انه بمقابلة هذه الأرقام مع الأرقام الأخرى التي كانت

فيها معامل فاس وحدها تبلغ (400) يظهر مدى تفوق المغرب؛ وسبقه لكل بلاد أوربا النصرانية في هذه الناحية .

صناعة الصفر

وكانت لها اذ ذاك نهضة فائقة ، ومما بقي لنا من آثارها قطعتان نفستان ؛ ناطقتان بما وصلت اليه هذه الصناعة اذ ذاك من الرقي ، واول هاتين القطعتين الثريا الكبرى بجامع القرويين العامر . قال في زهرة الآس 59 : وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن، اما الثانية فهي الثريا الكبرى بجامع مكناس الاعظم؛ كتب في دائرتها السفلى صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله، لجامع مكناس شرفه الله بذكره، وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة، عام اربعة وستمائة.

صناعة السكة

وكان بها لهذا العهد اعتناء كبير ، وكانت عاصمتها فاس؛ التي كان فيها بمدينة القرويين والاندلس دارا سكة ، فنقلها الناصر الى دار اعددها بقصبة فاس. حين بناها سنة ستمائة ، واعد بها مودعا للاموال المندفة بها ولطوايع سكتها، واتقن ثفافها على كل حال وأتمه، وغالب ما كان يسبك بها الذهب ، واما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها، الدوحة المشتبكة (خ).

ولاجل ان نلم ببعض المعلومات عن مسكوكات هذه الصناعة التي كانت تقوم على اساس الدينار والدرهم؛ اذكر ان ما وقفت

عليه مما ورد عرضا في مصادر متعددة؛ يفيد ان دار السكة لم تكن تضرب عملة متحدة الوزن طوال هذا العصر ، وانها ضربت عملات اختلفت بتعاقب غير واحد من ملوك الموحيدين ، ومن هذه العمل عملة عبد المومن التي كانت تنسب اليه فيقال : الدينار المومني والدرهم المومني؛ اخذا مما سنقتبسه عن رحلة ابن جبير والمعجب . ومنها عملة يوسف بن عبد المومن ، قال ابن خلكان في ترجمته (2) 491 : والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه ، كما ان يعقوب المنصور ادخل تغييرات على نظام العملة؛ فحدث دينارا ضخما؛ اشار له ابن عذاري في الجزء المخطوط من تاريخه الذي نقلت عنه بواسطة في بحث الآداب ، كذلك ضرب دراهم جديدة ذكرها في المعجب 190 ، وكانت العملة الموحدية الى ايام المامون مربعة الشكل؛ حسبما امر بها المهدي ابن تومرت؛ الذي سن تربيع السكة لاول مرة كما في الدوحة المشتبكة .

وعندي - ضمن مجموعة النقود القديمة - قطعتان مختلفتا الوزن من هذه العملة الموحدية المربعة ، وقد كتب داخل دائرتيها المربعة من احد الوجهين في ثلاثة سطور : لا اله الا الله ، الامر كله لله ، لا قوة الا بالله . وفي الوجه الآخر في سطور ثلاثة ايضا : الله ربنا ، محمد رسولنا ، المهدي امامنا . ولما غير المامون تقاليد الموحيدين وعاداتهم كان منها ابطال تربيع السكة؛ وجعلها مدورة ومحو اسم المهدي منها؛ كما بالقرطاس 161 وغيره .

وبعد هذا فهل يمكننا ان نعرف مقادير هذه العمل الموحدية ونقف على وزنها؟ انني لم اعثر على نص يكشف عن هذه الناحية كشفا تاما ، وكل ما وقفت عايه عبارات وردت عفوا تفيد - في

الجملة - مقدار عملتي عبد المومن ويعقوب، وهذا ما وقفت عليه على ما في بعضه من الاجمال : يذكر في المعجب 148 عن الدرهم المومني انه نصف درهم النصاب ، ويؤخذ من رحلة ابن جبير صفحات 25,19,12 : ان الدينار السومني يعادل نصف الدينار المصري في ذلك التاريخ: ايام صلاح الدين الايوبي .

ويثبت ابن القطان في مقالته : انه وجد زنة الدينار يعقوبي - نسبة الى يعقوب المنصور - من حب الشعير الوسط (اربعاوثمانين حبة)، وان الدينار يزن ثلاثة دراهم مربعة موحيدة، الدوحة المشتبكة (خ) .

ذلك ما استطعت ان اقف عليه الآن مما يتعلق بمسكوكات دار السكة ومقاديرها ، اثبتة هنا كنواة لدراسة هذا الموضوع دراسة ضافية .

صناعة استغلال المناجم

وكان لهم اعتناء بهذه الصناعة ، ويوسف منهم عناية خاصة باستغلال مناجم الذهب والفضة في افريقية والاندلس ، تاريخ الاندلس (2) 254 ، وظاهر ان هذا ناشئ عن معرفتهم اذ ذاك لبعض المعادن ، ويدل لهذا ايضا بل ويدل على وفرة المناجم حينئذ : ان المراكشي ذكر آخر المعجب 242,241,232 عددا مما كان معروفا اذ ذاك بالمغرب والاندلس من معادن الذهب ، والفضة ، والحديد والكبريت ، والرصاص ، والزئبق ، وغير ذلك بكل دقة وضبط .

ومن غير شك ان الموحدين اكتشفوا بدورهم لاول مرة بعض تلك المعادن ، ومن هذا معدن حصن (زغندر) بالسوس ، فانه اكتشف

على عهدهم حسبما يؤخذ هذا من قول الانيس 135 لدى حديثه عن هذا المعدن: إنه ظهر هناك ، ومن الأدلة الأخرى على اعتنائهم باستغلال المعادن: ما جاء في الانيس 135 حوادث عام 578 أنه في هذه السنة خرج يوسف من مراكش لبناء حصن (زغندر) وبناءه على المعدن الذي ظهر هناك ، فانظر بنيان يوسف على هذا المعدن وخروجه بنفسه من عاصمته للوقوف على بنائه .

ويذكر المراكشي في المعجب 241 عن هذا المعدن انه كان يسكن بحصنه العمال الذين يشتغلون في استخراج خيراته ... وانه لم يزل يعرف السفار من التجار وغيرهم يقصدونه .

ولا شك ان من المعادن التي كانت معروفة حينئذ معتنى بها معدن (عوام) فقد بلغ من اعتنائهم به الى ان سموا جهته به ، ونصبوا فيها قاضيا على حدة ، يدل لهذا ما ذكره في التكملة رقم 868 في ترجمة ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السرقسطي ؛ المتوفى سنة 598 : انه ولي قضاء معدن (عوام) بمقربة من فاس ، وبعد هذا أختتم هذا البحث بكلام المعجب عن المعادن التي كانت معروفة لهذا العهد بالمغرب والاندلس؛ قال ص 242 :

قد تقدم ذكر معدن (1) الكبيريت الذي بين برقة وطرابلس ؛ وانه بالقرب من حصن يدعى (طلميثة) ، وفيما بين سبتة ووهران موضع قريب من ساحل البحر يسمى (تمسامان) فيه معدن (2) حديد ، وفيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الاعظم بمقدار يوم او اكثر قليلا موضع يدعى (إيسنتار) فيه معدن (3) حديد ايضا ، وليس هذا الموضع على طريق السفار ، انما يقصده من اراد حمل الحديد منه ، وبالقرب من مكناسة الزيتون على ثلاث مراحل منها حصن

يدعى (وركناس) فيه معدن (4) فضة، وقد ذكرنا معدن (5) (زجندر) الذي بسوس، غير ان فضته ليست هناك، اعني فضة معدن زجندر .

وبسوس ايضا معدنان (6 - 7) للنحاس، ومعدن (8) توتيا وهي التوتيا التي يصنع بها النحاس الاحمر فيصير اصفر، فهذه جملة ما بالعدوة من المعادن، وجزيرة الاندلس معادن ايضا: فمنها معدن (9) فضة ببلاد الروم - في الجهة المغربية بموضع يدعى (شنثرة)، وعلى اربع مراحل من مدينة قرطبة؛ موضع يسمى (شلون) فيه معدن (10) زئبق منه يفترق الزئبق على جميع المغرب .

وفي اعمال المرية وعلى يوم ونصف منها بموضع يعرف (بدلاية) فيه معدن (11) رصاص، وفي اعمال المرية ايضا على يوم ونصف منها موضع يسمى (بكارش) فيه معدن (12) حديد ايضا، وما بين دانية وشاطبة موضع يسمى (اوربة) على نصف يوم من دانية فيه معدن (13) حديد، فهذه جملة ما بالاندلس من المعادن، هذا كلام المعجب، وينبغي ان يضاف لمعادن العدوة معدن (14) عوام الآنف الذكر، حيث تصير جملة المعادن التي كانت معروفه اذ ذاك بالمغرب والاندلس اربعة عشر معدنا .

الصناعات الميكانيكية

وزيادة على تلك الصناعات الوفيرة الراقية؛ كذلك نهضت الصناعات الميكانيكية، وظهرت في كثير من المظاهر، وفوق ما مر بنا في مبحث عامي الهندسة والتنجيم من مقصورة مراکش وساعتها الميكانيكيتين، وفوق مظاهر اخرى لها في بعض الصناعات السالفة؛ فوق ذلك كله ظهرت صناعات ميكانيكية اخرى، وتمثلت

في تركيب بعض اوعية مصحف عثمان ، ووضع بعض القنـاطير
المديدة ، وصنع بعض الاعتدة الحربية ؛ مثل الدبابات ، والمجانيق ،
والبارود ، وفيما يلي استعراض لهذه الموضوعات الميكانيكية :

أوعية مصحف عثمان

سنذكر عن هذا المصحف الكريم انه صنعت له اغشية بعضها
من السندس ، وبعضها من الذهب والفضة ، واتخذ للغشا محمل بديع ،
واتخذ للمحمل كرسى ، ثم اتخذ للجميع تابوت يصاب فيه ؛ كما
سنبسط هذا في بحث التزييق .

ونريد ان نثبت هنا ان كلا من صواب الذهب والفضة
والمحمل ادخل في تركيبها شي غير قليل من الصنعة الميكانيكية ،
حسبما يوخـذ من المصدر الآتي ، اما التابوت فقد كان قطعة فنية
ناطقة بما كان لهذه المهنة حينئذ من الرقي العظيم ، وفيما يلي
وصف لهذه الناحية في تابوت المصحف الكريم ؛ بقلم شاهد عيان
هو الامام الكبير ؛ ابو بكر ابن طفيل في رسالته في هذا الصدد ، قال :
وله - تابوت المصحف - في احد غواربه باب ركبت عليه
دفتان ؛ قد احكم ارتجاجهما ، ويسر بعد الابهام انفراجهما . ولانفتاح هذا
الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه ، وتركب المحمل عليه ما
دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت التنبيهات القدسية ، وانتظمت
العجائب المعنوية والحسية . والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية ، وذلك
ان باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف
يدخل فيه ، فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه ، واديرت به اليد انفتح الباب

بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما، وخرج الكرسي من ذاته بما عليه الى اقصى غايته .

وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة ، مقترنة بحركة ياتي بها من مؤخر الكرسي زحفا الى مقدمه ، فاذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه، انفلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما. دون ان يمسهما احد ، وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط، دون تكلف اي شيء آخر، فاذا ادير المفتاح الى خلف الجهة التي ادير اليها اولا انفتح اولا الباب ، واخذ الكرسي في الدخول ، والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي الى مؤخره ، ثم عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين ايضا من تلقائهما ، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح ، كالذي كان في حال خروجه ، وصحة هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي، وهي مما يدق وصفها، ويصعب ذكرها ، النفح (1) 288 .

قنطرة بين الرباط وسلا

اقتضب المراكشي وصفها آخر كتابه: المعجب 240، وتبسط في وصفها صاحب الاستبصار (خ)، وذكر انها مركبة على ثلاث وعشرين معدية ! مدت عليها اوصال الخشب ، وصلبت عليها الالواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر والمسافرون .. ويمد البحر فترتفع القنطرة فتغطي الجسر ، فتعوم عليه المراكب وترسي دونها الاجفان الكبار .

قنطرة نهر الوادي الكبير باشبيلية

ذكرها المؤرخ يوسف اشباخ في تاريخ الاندلس (2) 254 .
وقال : ان يوسف هو الذي انشاها من السفن ، وانها تثبت فيها
السفن معا بالسلاسل .

آلات حربية أو دبابات موحدية

وبالاسم الاول وردت في (مجموع رسائل موحدية) . ووصفها
ص 105-107 بانها لما صنعت من الاخشاب العظيمة الاجرام وكميت ،
قدمت الى الاعداء ، وانتهت الى حفيرهم ، واستعلت على اسوارهم .
كما ذكر عنها ص 205 انها لما تمت وشحنت بضروب الاسلحة ،
وسترت بانواع الخيش الواقية ، قربت الى الاعداء لردم حفيرهم .
وظاهر ان هذه الاوصاف تنطبق على الدبابات ذات الابراج
التي كان المسلمون يستعملونها في حروبهم ، واستعملها قبلهم كثير
من الامم

ويذكر المصدر 105 انهم صنعوا من تلك الدبابات عددا في
اقرب وقت ، وهذا يدل على البراعة في الصناعة ، كما يذكر 107-
206,108 انها كانت تعجل القضاء على الاعداء ، وهذا يدل على جودة
تلك المصنوعات .

وقد استعمل هذه الدبابات كل من عبد المومن ويعقوب المنصور في فتح مدينة قفطة من افريقية، وكانت تحمل اسم : (البرج المبارك)، كما بالمصدر المذكور 205 .

المجانيق

كذلك استعمل عبد المومن ويعقوب المجانيق في الفتحين المذكورين ؛ اخذا من المرجع المشار له 205,204,105 .
وقد كانت هذه المجانيق - كما يصفها المرجع المذكور - تبلغ في نكاية الاعداء المبالغ ، وتحل بهم القواصم والدوامع ، وتنهك اسوارهم ، وتهدم ديارهم ، وتعفي آثارهم .

البارود

اما هل عرف الموحدون البارود ؟ فامر يشك في صحته، ويؤيد الاستاذ يوسف اشباح في تاريخ الاندلس (2) معرفتهم لهذا السلاح الجديد ص (58): بان خلفاء عبد المومن من الموحيدين؛ هم الذين نقلوا استعمال البارود في القرن الثالث عشر من افريقية الى اسبانيا ، كما يؤكد ذلك ص 246-247 بانه لم يمض قليل على زمن الموحيدين - أعني اواخر القرن الثالث عشر، واول القرن الرابع عشر - حتى شاع بين مسلمي افريقية استعمال الآلات القاصفة التي تقذف الكرات الملتهبة، ووصف هذه الآلات لا يدع مجالا للشك في ان هذه الكرات كانت تقذف بواسطة البارود .

صناعة التصوير

وبصفة خاصة ظهر اثر طابع الدولة الديني في التصوير ، فلم يستعملوه ويعتنوا به الا في دائرة الحاجة الدينية او العلمية، والا في ميدان اللهو المباح .

وابرز الامثلة للتصوير في هذا العهد ما سلف لنا ص 251 عن دار الوزير ابن جامع بمراكش الجديدة، من انه كان بها ساحة تلعب فيها خمسمائة جارية على (خيل الخشب) وتتطاعن .

ومن الامثلة الاخرى ما مر بنا انهم صوروا حول احدى نوافذ صومعة حسان بالرباط جهة البحر- (سيفين عظيمين) مطبتين، رأساهما الى السماء؛ اربابا للعدو المهاجم ، ورمزا الى التهيؤ له والاستعداد، ومما يلحق بهذا ان ابن رشد الثاني قدم لاحد خلفاء الموحدين كتابه في الحيوان ؛ الذي يحتوي على (صور جميع الحيوانات) ، كتاب الفنون الجميلة 195 .

هذا إلّا أنهم كانوا يصورون التصميمات لبعض المباني ، ومن ذلك ان حسان - الذي اضيف له فيما يظهر جامع حسان - عمل الشكل الهندسي لاستخراج القبلة للمنهور بمراكش ، مقدمة سوق المهر (خ) ، وأخيرا لا ننسى ان نذكر القاري في هذا الصدد بالكرة والخريطة الادريستين؛ وقد مرنا في مبحث الجغرافيا .

صناعة الطرز

كذلك من الطرز تائر إبان عظمة الدولة بذلك الطابع ، لذلك لم يستعملوه الا في بعض الرايات ، اخذا من تاريخ الاندلس (2) 87،

والا في بعض السطور ، اخذا من تاريخ التمدن الاسلامي (1) 167 .
الذي رسم صورة لستارة موحدية ، على انهم آخر دولتهم التفتوا لهذه
الناحية واسسوا دار الطراز الخاصة بهم ، على ما يؤخذ من
المقدمة 232 .

صناعة التزويق

وكان الموحدون اول نشأتهم معادين لهذا النوع من الفنون،
حتى ان فقهاء واشياخ فاس اضطروا ان يستروا النقش والزخرف
الواقعين فوق محراب جامع القرويين لما علموا بزيارة عبد المومن
له ، وخافوا من انتقاده عليهم، كما في القرطاس 35 ، هكذا كان
موقفهم - اول الامر - ضد هذا اللون من الزينة ، ولكن لم يكده
يستتب الامر لعبد المومن ثم لخلفائه من بعده، حتى اصبحوا من
انصار التزويق والزخرفة ، واكبر مظهر ظهر فيه هذا الصنف من
الفن هو المباني والكتب .

اما المباني فلا زالت منها لحد الآن لمحة شاهدة بالاثـر فيما
بقي قائما من المباني التي زخرفوها ، ناطقة بذوق الموحدين في
هذه الزخرفة؛ التي تجمع الى رقة الاندلس فخامة الشرق، وتنطق
باللطف والقوة .

واما الكتب فان تزويق بعضها مثل المصاحف - صحائف واغشية -
بلغ جانبا كبيرا من اعتناء القوم ، وممن حافظ عليه التاريخ من
اسماء المزوقين في الكتب لهذا العهد : ابو الحسن يحيى بن محمد
الفيسسي القرطبي ، ثم الفاسي مستوطنها، المعروف بابن الاشبيلي .
ترجمه في التكملة 2767 والصلة 358 ، ووصفه الاول بانه كان

بارع الخط ، مذهبا صناعا ، وعبرة الثاني : كان من اهل الخط والتذهيب .

وهذه بعض الامثلة لزخرفة الكتب حينئذ :

زخرفة أوعية مصحف عثمان

يصف ابن طفيل في رسالة المصحف الكريم هذه الزخرفة التي امر بها عبد المومن بما يلي :

مما صنع للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة ، والاحفظة العجيبة ، انه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة ؛ ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه ، لا يشبه بعضها بعضا ، قد اجري فيه من الواف الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الاول مثال ، ولا عمر قبله . يشبهه خاطر ولا بال ...

ونظم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت ، ونفيس الدر ، وعظيم الزمرد ، ما لم نزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في افراده ، وتوارثه على مرور الزمن وترداده ، وتظن العز الافس والملك الانفس في ادخاره واعداده ، وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنعه واتحاده ، فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلالئه واتقاده ، واشبهه الروض المزخرف غب سما اقلعت عن امداده ، واني هذا الصوان الموصوف رائق المنظر ، آخذا بمجامع القلب والبصر ، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور ، يدهش العقول بها ، ويحير الالباب روا ، ويكاد يعشي الناظر تالقا وضيا ...

وتلطف في تميم هذا الغرض المعتمد، وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر، ذي حلية عظيمة خفيفة؛ تلازمه في المغيب والمحضر... وصنع له محل غريب الصنعة؛ بديع الشكل والصبغة... مغطى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع؛ في قطع من الابنوس والخشب الرفيع، لم يعمل قط في زمن من الازمان، ولا انتهت قط الى ايسره تواعد الازهار، مدار بصنعة قد اجريت في صفائح الذهب، وامتدت امتداد ذوائب الشهب، وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند الانتقال، ويشاركه في اكثر الاحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب، ومشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب، وضع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتوا المشكاة على انوارها، والصدور على محفوظ امكارها، مكعب الشكل، سام في الطول، حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التميم في اوصاله والتكميل، جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل. النفخ (1)

287 - 288 .

زينة راحلة المصحف

وكان خلفاء الموحدين يحملون هذا المصحف الكريم بين ايديهم انى توجهوا على ناقة حمراء، عليها من الحلي النفيس وذياب الديباج الفاخرة ما يعدل اموالا طائلة، وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الاخضر يجعلونه عليها، وعن يمينه ويساره عصيان عليهما لواءان اخضران، وموضع الأسنة منهما ذهب شبه تفاحتين.

المعجب 166 .

حلية مصحف ابن تومرت وراحلته

ويكون خلف تلك الناقة في مواكبهم بغل محلى ايضا ، عليه مصحف آخر، يقال انه بخط المهدي ابن تومرت، دون مصحف عثمان في الجرم، محلى بفضة مبوهة بالذهب. المصدر 166 .

تذهيب موطا ابن تومرت

ويحفظ حتى الآن في مكتبة القرويين بفاس هذا الموطا، وهو مكتوب في رق غزال، مذهب .

صناعة الخطاطة انواع الخط

كان الخط الشائع لهذا العهد هو الاندلسي ، اخذا من المقدمة 367 ، وكان الى جانب هذا الخط العام يوجد نوعان من الخط الخاص؛ احدهما يكتب به في السكة والطراز وما اليهما، وكان آخذا من الخط الاندلسي والخط الشرقي ؛ حسبما هو مشاهد على المعروف من ذلك الصنف ، والآخر خط العلامة الموحدية : - الحمد لله وحده - وكانوا يكتبونها بيدهم بخط الثلث في راس المنشور، كما يذكر هذا المؤرخ ابن الوكيل في اختصار نفع الطيب؛ ورقة 164 نسخة كاتب السطور، وهناك نوع رابع من الخط وهو شكل

امضاء الموثقين ، وهل كان موجودا لهذا العصر ؟ هذا سؤال اضعه
بين يدي القاري الكريم .

نهضة الخطاطة

والآن وقد ذكرنا انواع الخطوط، اذكر ان مهنة الخطاطة
حينئذ بلغت غايتها من الجودة والاتقان، بما كان لغير واحد من
ملوك الموحيدين من الاهتمام بهذا الشأن .
ولا شك ان في طليعة هؤلاء الملوك : عبد المومن الذي جعل من بنييه قدوة
حسنة في الاهتمام بالخط ، فنشأهم ثلاثة عشر كلهم حفاظ (خطاطون)
المصدر 114 .

وقد كان بعض هؤلاء الابناء يمتدحون بجودة الخط؛ مثل السيد
عمر بن عبد المومن ؛ مدحه الشاعر الاندلسي الكبير ابن مجير
ووصف خطه بهذين البيتين :

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا نكر على السحب ان ينبش ازهارا
خط هو السحر لا كنا فنزعه ونجعل القلام النفاث سحارا
زاد المسافر 9 - 10 .

وأخيرا نذكر ان عمر المرتضى من اواخرهم كان له حظ
وافر من براعة الخط ، حلل 126 ، ومن منتهسخاته مصحف قرآنسي
كريم في عشر مجلدات سنلم بالحديث عنه فيما بعد .

الخطاطون

ولقد كان من اثر ذلك الاهتمام بالخطاطة ان نشأ حينئذ خطاطون بارعون ؛ نذكر منهم اسماء النخبة الآتية : (1) عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي الفاسي ت 597 ، التكملة 1491 . الجدوة 236 ، و (2) ابا حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي نزيل فاس ؛ حدود 530-603 ، التكملة 1831 . الجدوة 286 ، و (3) عبد الرحمن ابن يوسف الازدي الزهراني ؛ المعروف بابن الملجوم الفاسي 535-605 ، التكملة 1652 . الجدوة 254 ، و (4) عقيل بن عطية القضاعي المراكشي 549-608 ، زوائد التكملة 1946 ، و (5) ابا الخطاب عمر ابن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي ؛ يعرف بابن الجميل 547-633 ، التكملة 1832 ، و (6) محمد بن يحيى بن حاف ؛ المعروف بابن المواق المراكشي ثم الفاسي 583-642 ، الاعلام (3) 141 ، و (7) ابا القاسم عبد الكريم بن عمران القصري ت 643 ، المصدر (3) 103 ، و (8) محمد بن احمد بن عمر السلمي الفاسي ، المصدر (3) 144-196 ، ونختم اسماء الخطاطين حينئذ بـ (9) ابي الحكم بن غلنده ، وهو وان كان اندلسي الاصل ؛ فانه استوطن آخر عمره بمراكش وتوفى ودفن بها ، وقد امتاز في خطاطته بانـه كان يكتب بخطين اندلسيين ، طبقات الاطباء (2) 79 .

النساخون

كذلك احترف غير واحد من الخطاطين بمهنة النسخة وهذه زمرة كريمة منهم :

(10) عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي
المكناسي ثم الفاسي

595

من السابقين الاولين في هذه الصناعة، كتب بخطه علما كثيرا،
التكملة 2433 . الجذوة 278.

(11) محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق
التغمري السبتي

كان حيا 596

كتب بخطه كثيرا، وكان صاحب اتيقان وضبط، التكملة 1061 ، 2133.

(12) محمد بن جرير المعروف بابن
تأخيس الفاسي

608

كان له خط حسن؛ ينسخ المحاف بيده؛ ويدفعها لمن يراه أهلا لها
ابتغاء الثواب، الذخيرة السنية 41-42، القرطاس 175. الجذوة 137-138 .

(13) محمد بن ابي عمران موسى بن
المعلم الفاسي

611

ممن اشتغل بهذه المهنة، وكان ينعيش منها؛ القرطاس 43-44.

(14) احمد بن يوسف بن فرتون السامي
الفاسي

660

كتب بخطه كثيرا . الجذوة 56-57 .

(15) محمد بن علي بن العابد الانصاري

الفاسي

662

نساخ بارع مواظب، نسخ بيده كبار الدواوين، ولم يفتر قط من قراءة او درس او نسخ او مطالعة ليله ونهاره، البغية 77. الجدوة 144. النيل 254.

صناعة الوراقة

وهي من توابع الخطاطة، وتزيد عليها بانها تشمل حتى تجليد الكتب وسائر الامور الكتبية، وكانت ناهضة لهذا العهد، ومن مشاهير اهلها: (16) ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الرحمن ابن الصقر الانصاري الخزرجي المراكشي؛ ت حدود 590، كان جيد الخط سريع الكتابة؛ تعيش دهرًا طويلا بالوراقة؛ وكتب بخطه الكثير واتقنه. الاعلام (3) 65. و (17) عيسى بن واصل المراكشي؛ ت حدود 637، كان بارع الخط، جيد الوراقة، كتب بخطه دواوين عدة في فنون شتى، الصلة 96، و (18) محمد بن احمد السبائي؛ المعروف بابن الطراوة المراكشي؛ ت 659، بارع الخط انيق الوراقة، الاعلام (3) 148-149.

تذييل

ان الحديث عن الخطاطة والوراقة يحفزنا ان ننذيل بالكتابة عن نهضة المكتبة المغربية؛ وما كان يوجد بداخلها؛ وحتى في غيرها من الذخائر والآثار.

I المكتبة المغربية لهذا العهد عمارتها

تضخمت المكتبة المغربية لهذا العهد ، وامتلأت بنفيس الدفاتر والذخائر، وصارت تقارب في بعض مظاهرها المكتبة الاندلسية ابان ازدهارها ، ومن الشواهد على عظمة المكتبة المغربية حينئذ ان قسم الفلسفة من مكتبة يوسف اجتمع فيه قريب مما اجتمع للحكم بالاندلس ، المعجب 155 ، وكان بمدينة مراکش وحدها من دكاكين الكتبيين مائتا دكان لبائعي الكتب المخطوطة؛ كانت بجوار جامع الكتبيين؛ متصلة باسفل منارته العالية، (كتاب المغرب للاستاذ ريكار) ، ومكتبة واحدة، هي مكتبة بعض بني الملجوم بفاس، بيعت اوراق كتبها التي هي غير مجلدة بل متفرقة ب 6000 دينار ، النفع (1) 574 .

اهتمام الموحدين باقتناء الكتب

وقد جاءت تلك الكثرة الفائقة من العناية الكبرى التي كانت للمغاربة، وفي مقدمتهم الخلفاء الموحدون؛ الذين كانوا مضرب الامثال في الاهتمام باقتناء الكتب وتملكها ، وان هؤلاء بلغ بهم الاعتناء والاهتمام بهذه الناحية الى حد ان كانوا ينتزعون ملكية المكتاتب ممن يخشى ضياعها عنده لاجل صيانتها في مكتبته؛ ويعوضون اصحابها عنها التعويضات السنوية ، ومن امثلة هذا ما رواه المراكشي في المعجب 155-156 عن ابي محمد عبد الملك الشدوني قال :

كنت في زمن شببتي استعير كتب هـ.ذه الصناعة - يغذ-ي
صناعة الاحكام - من رجل كان عندنا بمدينة اشبيلية اسمه يوسف
يكنى ابا الحجاج؛ يعرف بالمراني - بتخفيف الراء - كانت عنده جملة
كبيرة منها؛ وقعت الى ابيه في ايام الفتنة بالاندلس، فكان يعيرني
اياها في غرائر، احمل غرارة واجيُ بغرارة من كثرتها عنده؛ فاخبرني
في بعض الايام انه عدم تلك الكتب بجملتها، فسألته عن السبب
الموجب لذلك، فاسر الي ان خبرها انهي الى امير المومنين -يوسف-
فارسل الى داري وانا في الديوان لا علم عندي بذلك، وكان الذي
ارسل كافورا الخصى مع جماعة من العبيد، وامره ان لا يروع احدا
من اهل الدار، وان لا ياخذ سوى الكتب... وولوه بعد اخذهم لهذه
الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه.

ولعل هذه القصة تكفينا لبيان مقدار اهتمام القوم بالكتب
ومدى شغفهم بتحصيلها.

يوم كنا ولا تسل كيف كنا - تنهادى من العلى ما نشأ

اقتراحهم تأليف الكتب

وان همة الموحدين في هذا الميدان لم تقف عند حد اقتناء
الكتب الموجودة؛ بل كانوا يقترحون تأليف الكتب من جديد
لفائدة المكتبة العربية؛ فشروح ابن رشد الثاني على كتب ارسطو
انما كانت بهمة يوسف حسبما مر بنا في مبحث الفلسفة -نقلنا عن
المعجب 159، كما ان شرحه الآخر على الفية ابن سينا كان باقتراح
السيد ابي الربيع بن ابي محمد بن عبد المومن؛ كما بوخذ من
طالعة الشرح المذكور.

اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم

وعرف الناس منهم ذلك الاهتمام باقتناء الكتب، فتقدموا لمكاتبهم باهداء الكتب؛ فعل هذا ابن رشد المذكور، وقدم لخزانة احد الخلفاء الموحدين كتابه في الحيوان، (الفنون الجميلة 195). وبعض الائمة الذي رفع لخزانة المرتضى الموحدي تاليفا يتضمن التوشيح، (ازهار الرياض (2) 230).

بل ان الاهداء لمكاتبهم كان حتى من عظماء الملوك خارج مملكتهم، ومن هذا ان السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي اهدى لمكتبة الخليفة يعقوب مصحفين كريمين منسويين، الاستقفا (1) 174.

مقام خطة المحافظة على الكتب

ومما يندرج في هذا الباب اعتناؤهم بخطة المحافظة على الكتب، وكانوا يعتبرونها من الخطط الجليلة؛ التي لا يعين لها الا على اهل العلم واكابرهم، كما يقول هذا في الديباج 49.

وممن تولاهما في هذا العهد: ابو العباس ابن الصقر صاحب المكتبة الآتية الذكر، جاء في ترجمته من المصدر المذكور 49: وتولى احكام مراکش والصلاة بمسجدها، ثم احكام بلنسية؛ فكان بها قاضيا، ولما صار الامر الى ابي يعقوب بن عبد المومن الزمه خدمة الخزانة العلمية، فانظر نقله من القضاء الى المكتبة، وناهيك بذلك دليلا على علو الوظيفة عند القوم.

تأسيس المكاتب العامة

ولم يقف اعتناؤهم بالكاتب عند حد اقتنائها وما يتبع هذا الاقتناء؛ وانهم فوق ذلك اهتموا بتسبيلها ووقفها على العموم، ويقال: ان اول ما وقع وقف الكتب بالمغرب كان في هذا العهد، ولتحقيق هذا الموضوع انقل كلاما في هذا الصدد اثبتته في كتابي . (سالف المكتبة المغربية) تحت عنوان : اول مكتبة عامة بالمغرب ، وهذا نصه : يقولون ان ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب كان في اواخر العهد الموحيدي وان الذي اسس اول مكتبة عمومية بالمغرب هو ابو الحسن الشاري، المولود والمتوفى 579-649 ، فانه اوقف بسبته خزانة مدرسته الشهيرة، وهي اول خزانة وقفت بالمغرب على اهل العلم، كما يقول ذلك محمد بن القاسم السبتي في كتابه اختصار الاخبار(1):

وانا مع احتفاظنا بهذا النص، نستبعد ان يتاخر تأسيس المكاتب العامة بالمغرب الى هذا العهد الاخير من الدولة الموحدية، من غير ان يكون على الاقل في اولها؛ ومن غير ان يكون لعبد المومن وابنائهم اثر في هذا الميدان، لما علم من اهتمامهم بهذا الشأن، واشتهر من ابتنائهم (بيت الطلبة)، وتأسيسهم الكثير من المدارس بالمغرب وغير المغرب، وكل هذه المؤسسات لا تستغني عن كتب ومكاتب، تكون بجانبها مباحة للعموم، فالظاهر ان ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب كان قبل هذا العهد اوائل العصر الموحيدي على الاقل؛ وانه اسست اذ ذاك مكاتب عامة؛ اهملها التاريخ فيما اهمل، فقاتل الله الاهمال.

هذا ما اثبتته اولا مع بعض حذف يسير، ثم وقع الي قسم كبير من كتاب : (المسالك والممالك) لابن فضل العمري، فاكشفت به خزانة عامة أسسها يعقوب المنصور بمراكش، قبل ان يؤسس الشاري المكتبة العامة بسبته .

فبعد ما ذكر ابن فضل ان يعقوب المنصور بنى قصر الخلافة وسط المدينة التي اختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه ، بعد هذا قال : وفي رحبة القصر - قصر الخلافة - دار الكرامة والاضياف ، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به (خزائن الكتب) . هذا كلام ابن فضل، وكيفما فسرنا عموم هذه الخزائن ، وكيفما ذهبنا في فهمه، فانه يفيدنا ان الخزانة الشارية ليست اول مكتبة عامة بالمغرب، وانها مسبوقة لا سابقة ، وبعد هذا فاني لا اقصد ان هذه الخزائن - التي أسسها يعقوب - هي اول خزانة عامة بالمغرب، واني اعود فأؤكد انني لا زلت استبعد ان يتاخر تاسيس المكاتب العامة بالمغرب؛ ولو الى هذا العهد من الدولة الموحدية .

المكاتب أوعية الكتب

لم أقف على صفة اوعية الكتب عند المغاربة حينئذ، وانما وقفت على وصف موجز لبعض اوعيتها لدى الاندلسيين ، ودما انه لا يبعد ان تكون ظروف الخزانة المغربية على غرار اوعية اختها الاندلسية، اثبت هنا ابياتا ثلاثة تصف بايجاز تلك الاوعية الاندلسية، التي يغلب ان تكون مثل شكل الخزانة المغربية. وهذا نص الابيات :

ووعاءٌ عود للعلوم صيانة حملت ذخائرها قوائم أربع .
 محفوظة الاشكال مما قد حوت فالعلم يحفظ مما حواه ويمنع
 خشب كلون التبر يشرق فوقها حلي حكي لون اللجين ويسطم
 من قطعة شعرية للاديب الشاعر
 ابي عبد الله محمد المعروف بربيب
 الحشى الجزيري كان حيا سنة 587.
 وقد وردت في ترجمته من كتاب
 بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها (خ).

الكتابة على الخزائن

وكانوا يكتبون على بعض الخزائن الجليلة، ويوجد في ديوان
 السيد ابي الربيع بيتان اثنان؛ امر بهما ان يكتبتا على خزانة كتبهم
 المباركة .

أسماء الخزائن

تأسست على هذا العهد مكاتب عديدة؛ عامة، وملكية، وخاصة
 ونذكرها على هذا الترتيب فيما يلي :

المكاتب العامة

(1) مكاتب مدرسة المنصور بمراكش

سلف لنا آفنا الحديث عن هذه المكاتب، ولم أقف بعد على
 شيء زائد على ذلك .

(2) المكتبة الشارية بسبته

مؤسسها قيمتها

وهي منسوبة لمؤسسها ابي الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاري الآنف الذكر ، كان شغوفاً بجمع الكتب مغرمًا بتملكها ، فكون مكتبة عظيمة ، جمعت من الاعلاق النفيسة وامهات الدواوين شيئاً عظيماً ، ولقد نافس فيها ، وغالى في ائمانها ، وربما رحل في ذلك حتى حصل منها ما لم يكن عند احد من ابناء عصره ، ولا تحفل عند كثير ممن تقدمه : التكملة 1922 . صلة الصلة 300 . جذوة الاقتباس 308 .

وقفها على اهل العلم بالغرب

ودفع ابا الحسن الشاري شغفه بالعلم وحبّه لاهله ان اوقف خزانته هذه على اهل العلم بالمغرب ، وجعل مقرها بالمدرسة المنسوبة اليه ، والتي ابتناها من ماله بسبته ، اختار الاخبار

عمرها

وقد استمرت هذه المكتبة قائمة الى قريب من عهد سقوط سبته ، اعادها الله الى عز الاسلام ، فصاحب اختصار الاخبار الذي فرغ منه سنة 765 اشار الى انها بقيت موجودة الى زمنه . وابن الخطيب المتوفى سنة 776 ذكرها في مقاماته : (معيار الاختبار) وسماها : (خزانة كتب العلوم) .

وكذا زارها بل مكث بها ثمانية اعوام ابو يعقوب يوسف
الاعتصامي المنوفى سنة 802 حسبما ذكر هذا عنه ابن غازي
في ذيل فهرسته (خ) .

المكتبة الملكية

(3) الخزانة العلمية بمراكش

مؤسسها قيمتها

كذلك سماها في الديباج 49، ومؤسسها هو يوسف. ولقد كانت
عامرة، وعامرة جدا، يدل لهذا ما جاء في المعجب 155 لما تكلم على
اعتناء يوسف بتعلم الفلسفة قال : انه امر بجمع كتبها (الفلسفة)
فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموي، فتأمل
قوله : قريب مما اجتمع للحكم، وتذكر ان الحكم كان مفرما
بالفلسفة الى حد بعيد، وان كتبها كانت تكون قسما كبيرا من
مكتبته العظيمة؛ التي كانت تشمل - فيما يقال - على 400.000
مجلد كما في النسخ (1) 184، ثم لاحظ بعد هذا وذاك ان مكتبة
يوسف لا بد ان تكون مشتملة على كتب كثيرة غير كتب الفلسفة...
فاذا اعتبرت ذلك كله؛ تعلم ما بلغت اليه هذه المكتبة من
العبارة والضخامة .

جهود يوسف في جمعها

وينبغي ان لا ننسى الجهود الجبارة التي بذلها يوسف في
جمع شتات مكتبته حتى من البلدان القاصية، وقد مر بنا شي
من هذا .

القيم عليها

وكان القيم عليها : هو ابو العباس ابن الصقر الاندلسي كما
مر بنا عن : الديباج 49

مكاتب الافراد

(4) مكتبة عبد الرحيم ابن الملجوم بفاس

604

524

قيمتها

وصاحبها هو الراوية ، عبد الرحيم بن عيسى الازدي الزهراني
المعروف بابن الملجوم الفاسي ، كونها من مكتبة والده عيسى
الذي كان جماعة للدواوين العتيقة ، والدفاتر النفيسة ، ومن مكتبة
استاذة ابي عبد الله محمد بن احمد الخزرجي الجياني ، ومما اضاف
لهذه وتلك : حيث طارت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر التكملة
1930,1674 . الجذوة 262,281,267

(5) مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم بفاس

605

535

قيمتها

اسسها الشيخ عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم : من قرابة
السابق ، وجمع لها من الكتب والدواوين شيئا عظيما ، حتى طارت
اعبر مكتبة بالمغرب لذلك العهد ، يقول عنها في التكملة 1652.

والجدوة 253 : وكانت له (عبد الرحمن) خزانة دفاتر جليلة الشان لم يكن لأحد من اهل عصره مثلها ، ويقول عنها في الذخيرة السنية 47 : وخزانة كتبه : (عبد الرحمن) كانت المشهورة في المغرب ، بيعت خرمها بعد وفاته بستة آلاف دينار ، وهذه الفقر ة الاخيرة من كلام الذخيرة تفسر لنا اجمال ما سلف من ان احد بنى الملجوم بيعت اوراق كتبه التي هي غير مجلدة ب 6000 دينار ، وتبين انه هو صاحب هذه المكتبة :عبد الرحمن ابن الملجوم .

مصيرها

وكان مصير هذه المكتبة العظيمة ان تصدق بها مؤسسها على ابنة له لم يترك عقبا غيرها؛ حيث تفرقت شذر مذر، التكملة 1652. الجدوة 253 .

(6) مكتبة المسوفي بفاس

609

كونها ابو عبد الله محمد بن يحيى بن تاكميت المسوفي؛ والي اعمال فاس آخر عمره، قال في ترجمته -من كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها- كان معتنيا بالكتب؛ جمع منها ما لم يجمع غيره، وانتفع به شيخنا الاستاذ ابو محمد ، فانه كان ينهب عليها فيعتني بها حتى يحضرها، فينتفع الاستاذ بها اما بنسخ او بمقابلة .

(7) مكتبة المومنانى بفاس

639

قيمتها

من تاسيس الامام الكبير؛ محمد بن عيسى بن معنصر المومنانى

الفاسي، وكانت عظيمة جدا: بحيث كان فيها من الكتب ما لم يكن عند احد (كتاب بعض فقهاء مالقة وادبائها (خ).

(8) مكتبة ابن الطراوة بمراكش

659

قيمتها

جامعها هو الامام المؤرخ ابو عبد الله محمد بن احمد السبائي المراكشي، عرف بابن الطراوة، كان متهمما باقتناء الاصول التي بخطوط اكابر الشيوخ، او عنوا بضبطه، وجمع منها جملة وافرة. شديد المحافظة على كتبه، مثابرا على الاعتناء بتصحيحها، نسابة لخطوط المشايخ: الاعلام (3) 148.

(9) مكتبة ابن الصقر بمراكش

569

502

قيمتها

وهي من انشاء الحافظ المكثّر: ابي العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري الخزرجي الغرناطي؛ نزيل مراكش يعرف بابن الصقر، وكانت مكتبة عظيمة طافحة بالذخائر والنفائس، يقول عنها في الديباج 49-50: انه اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخ بخطه الرائق، وكان معه عند توجهه لمراكش خمسة اجمال كتب، وجمع منها بمراكش شيئا عظيما.

نكتبه فيها

واقعد نكب فيها بضرب من المحن؛ كالغرق؛ والنهب خلال
فتنة كانت وقعت ايام مقامه بغرناطة، وكذلك نهبت كتبه بمراكش
حين دخلها عبد المومن، الديباج 49.

(9) مكتبة ابن غلنده بمراكش

581

قيمتها

من جمع الطيب الاديب ابي محمد عبد الله بن علي بن عبد
الله بن غلنده الاموي مولا هم السرقسطي؛ مستوطن مراكش؛ وكان
بهذه المكتبة كتب كثيرة، طبقات الاطباء (2) 79.

(10) مكتبة القيسي بمراكش

653

قيمتها

جمعها المحدث الراوية؛ ابو عبد الله محمد بن احمد القيسي
الرندي؛ نزيل مراكش ودفينها، وكان جماعا للكتب وفوائد
الشيوخ، نسابه اخطوط العلماء؛ الاعلام (4) 377.

II الذخائر والآثار في هذا العصر

بعد الحديث عن المكتبة المغربية اذكر قلا من كثر من
الذخائر والآثار؛ التي كانت شائعة لهذا العهد، محفوظة بالخزائن
المغربية وغيرها .

المصحف العثماني

سلف الحديث عنه في غير موضع من هذا الكتاب ، ونذكر
هنا ان هذا المصحف - على ما يقال - احد المصاحف التي بعث بها
عثمان الى الامصار، كان بمسجد قرطبة من الاندلس؛ ونقله عبد
المومن الى مراكش عام 552 حيث بقي عند الموحدين موضوع
تجلة واحترام، الى ان طار اواخر ايامهم لخزائن بني عبد الواد ملوك
تلمسان، ثم استخلصه منهم ابو الحسن المريني؛ وكان آخر العهد
به ان تلف في البحر سنة 750 عند غرق اسطول ابي الحسن في
حادثة تونس الشهيرة، (النفح (1) 283) .

مصحف ابن تومرت

وهو مصحف يقال انه بخط المهدي ابن تومرت، وقد سلف
الحديث عنه ، المعجب 166 . النفح (1) 288 .

مصحف المرتضى

هذا المصحف خطه بيده عمر المرتضى من اواخرهم في عشر
مجلدات ، وكان يوجد تاما بمكتبة جامع ابن يوسف بمراكش
1. قارب من هنامع دراسة بعنوان: "مركز المصحف الشريف بالمغرب"
مجلة "دعوة الحق" ص 11، ع 3 .

الى عام 1149، حيث استعاره في هذا التاريخ محتسب مراکش،
وحوالي سنة 1352 بقي من هذا المصحف اربع مجلدات، ولم يبق
منه اليوم ولا مجلد واحد في هذه المكتبة .

وقد رايت بمتحف الرباط بعض مجلدات هذا المصحف، معروضة
هناك منوها بها في الجملة¹

النعال النبوية

ويزعم بعض من تكلم على النعال النبوية الشريفة الموجودة
حتى الآن بفاس واحدة منها، انها كانت عند بني عبد المومن
الى انقراض دولتهم؛ اهداها لهم بعض من رام التقرب لهم. انظر
النشر المخطوط .

خريطة قبلة مراکش

وهي عبارة عن الشكل الهندسي الذي وضعه المهندس الشهير
حسان لاستخراج قبلة مراکش، وقد كانت محفوظة بالخزانة
الموحدية .

قراضة الذهب في ذكر لثام العرب

مؤلفه الامام النظار؛ مالك بن وهيب الاندلسي؛ ضمنه لثام العرب
في الجاهلية والاسلام، وضم الى ذلك ما يتعلق به من الآداب؛ فجاء
الكتاب لا نظير له في فنه، وقد رآه عبد الواحد المراكشي في خزانة
بني عبد المومن . المعجب 119 .

1. تمته هذا الموضوع في دراسة بعنوان

« تاريخ المصحف الشريف بالمغرب » مجلة معهد المخطوطات . مايو 1969 .

دراهم قديمة

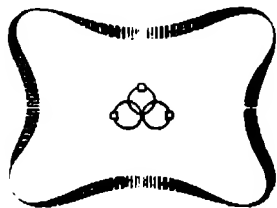
قص خبر هذه الدراهم ابن النبطان في مقالة 4. و ذكر انها وجدت في كنز و رفعت للناصر الموحدي . و اعطى منها لوالد ابن النبطان قطعة . وهي فضة مستديرة الشكل . مكتوب عليها امر بضرب هذه الدراهم امير المومنين عبد الملك بن مروان . (الدوحة المشتبكة).

مد أبي محمد صالح

كان هذا المد عند ابي محمد صالح الدكالي . وقد كيل بمد زيد بن ثابت (ض) بسند صحيح مكتوب عنده . شاهده عنده وعاييره الامام الرجاسي الفقيه الشهير . (شرح الخطاب على المختصر (2) 366).

عباءة عبد المومنين

وهي عباة حرب سوداء . من مخلفات عبد المومنين . كانت من مدخرات خلفاء الموحدين الآخرين . وكانوا يرتدونها في الحروب . أخذها من تاريخ الاندلس (2) 118 .



استدراكات

وهي مسائل قليلة لم يتأت الحاقها في اماكنها من الكتاب
فاستدركتها هنا على ان تعتبر جزءاً من المواضيع الملحقة بها

تعليق على اواخر مبحث النهضة النسوية ص 35 :
نزيل هنا - فوق ما تقدم - بذكر سيدة مغربية من مثقات هذا العهد
وهي :

الثانية أم المجد مريم بنت أبي الحسن الشاري السبتي اوردها
في (اختصار الاخبار) 6 . محلها لها بالمسندة وقال انها مدفونة بالبقعة
الخمسية على دفن من يموت من طلبة مدرسة والدها بسبته . وهذه
الفقرة الاخيرة تفيد ان ام المجد كانت طالبة بالمدرسة الشاربية
المذكورة ، كما تفيد ان هذه المدرسة كان يقرأ فيها حتى النساء .

تعليق على آخر بحث طلبة الموحدين ص 38 :
وكانت بين كثير من طلبة المغرب وطلبة الاندلس صلات
علمية وثيقة جداً ، وبخاصة بين طلبة سبته ومقالة ، جاء في كتاب
بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها : انه كان بين طلبة مالقة وطلبة
سبته مراسلات نبهة . ومن سوء الحظ ان لم أقف على مثال من
مراسلات طلبة سبته لآخوانهم بمالقة وانما عثرت على بعض امثلة
من مراسلات طلبة مالقة لطلبة سبته ، ومن ذلك ان ابا القاسم محمد

ابن هاشم بن نجيب الشريف الهاشمي المالقي المتوفى عام 618 نظم قصيدة طنانة يمتدح فيها طلبة سبتة ويصفهم بصفاتهم ؛ اطلق فيها عنان البلاغة ، وقدح زند البراعة ، فبلغ فيها مدى الاحسان ، وحاز قصب السبق في ذلك الميدان ، وقد اوردها برمتها من 200 بيت بالمصدر المذكور الذي ذكر مع ما تقدم قصة هذه القصيدة ، وتتلخص في ان طالبا من طلبة مالقة - يعرف بابي الحسن النجار - سافر الى سبتة فسجن بها على تهمة سرقة ، فتوسل لطلبة سبتة بطلبه فجدوا في امره حتى استخرجوه من سجنه .

ومن الامثلة الاخرى لذلك الرسالة التي كتبها لاهل سبتة ابو علي عمر بن عبد المجيد الازدي ثم المالقي ، والمشملة على عدد من تراجم الاندلسيين ، وقد اقتبس من هذه الرسالة لمصدر المذكور في تراجم محمد بن عيسى بن زنون المالقي ، ومحمد بن ابراهيم الانصاري ، ومحمد بن عبد الله المالقي ، ومحمد بن عبد السلام بن مطرف المالقي ، ومحمد الحجاري المالقي ، ومحمد المعروف بابن الحناط ، ومحمد بن احمد بن عبد الملك الانصاري .

والى جانب سبتة ومالقة نجد طنجة يرفع نحاتها ومقرؤها سؤالاتهم للنحويين والمقرئين من اهل اشبيلية ، حيث ينتدب للجواب عن هذه الاسئلة في تقييد خاص ابو بكر محمد بن خلف ابن داف اللخمي الاشبيلي . ارجع الى ص 62 من هذا الكتاب .

تعليق على تفسير عبد الجليل من بحث التفسير ص 44 :
يقع هذا التفسير في ستين مجلدا ، فسر في كل مجلد حزبا واحدا من القرآن ، اشار لهذا عرضا في المفصل الشريف ، في التعريف بصلحاء الريف . ترجمة ابي القاسم ابن الصبان .

تعليق على آخر موضوع المذهب المالكي ص 56 :
وممن ألف من المالكية في الرد على ابن حزم أبو يحيى
المواق جمع من كتب ابن حزم مسائل كثيرة انتقدت عليه .
انظر الخبر المغرب . لابي رأس العسكري .

تعليق على آخر فن النسب ص 66 :
ومن موضوعات النسب لهذا العهد : المرفف الهندى فى الرد
على التاج الكندي لابي الخطاب ابن دحية ، اثبت فيه ان دحية قد
عقب ورد على المذكور الذي زعم انه لم يعقب ، نسبه له في
كتاب : بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها .

تعليق على آخر بحث التراجم ص 68 :
يضاف لكتب التراجم حينئذ الجزء الذي عقده أبو عبد الله
محمد ابن القاضي عياض لترجمة والده . وقد نقل عنه في الديباج 168
وازهار الرياض ج (1) 24 و (ج) (3) 7 - 8 .

١١

كلمة ختامية

هنا تم ما بلغه الجهد، ووسعه الوقت من حديث العلوم والآداب والفنون لعهد الموحدين، ولا أرى أن أودع هذا الموضوع دون أن أقدم بآيات الشكر، وعبارات الثناء للاستاذ العلامة المؤرخ المطلع سيدي عبد الله كُنُون على ما بذل من جهد مشكور في السهر على طبع هذا البحث حتى خرج في حلتة الانيقة التي تفصح عن نفسها بنفسها، بل إن ظهور البحث في هذا الوقت هو حسنة من حسنات الاستاذ كُنُون، وبفضل وعده لكاتب السطور بطبع البحث في معهد مولاي الحسن، وبفضل ما بذل في هذا الصدد من اعتناء واهتمام، ولطف وصبر؛ بفضل ذلك كله ظهر الكتاب، فالله وحده هو الذي يجازيه ويكثر من امثاله لهذا الوطن العزيز. وبعد هذا لا أنسى أن أشكر العلماء الاجلة الذين تفضلوا فاعاروني كتبهم الخطية؛ وهم الذين سميتهم في قسم المراجع. كذلك يعود ثنائي وشكري للعلامة المؤرخ البهائية سيدي محمد داود الذي تلطف فاهدى اخاه نسخة من تكملة ابن الابار، بعد أن لم اكن املك هذا المؤلف القيم. وانما كان عندي عارية من مكتبة العلامة المؤرخ الجليل سيدي محمد بن بوبكر التطواني رحمه الله وبيهه.

ولا أنسى أن اسجل ممنونتي وتقديري لصاحب السيادة، واسطة عقد البيت الزيداني، ونقيب العائلة المالكة الكبير الشريف الجليل مولاي المصطفى ابن زيدان، الذي اعارني من المكتبة الزيدانية العامرة - لهذا الصدد - الكتب التالية: اخبار الحكماء لابن

المقضي. طه الطلة لابن الزبير خلاصة تاريخ العرب لسديو. تاريخ
التمدن الاسلامي .

ولا انسى كذلك ان اسجل نفس الممنونة والتقدير لسائر
الاخوان الذين باشروا انتساخ الكتاب . سواء منهم مخرجه من
مبيضته. او ناسخ ابواب منه ، فجميعهم تشكراتي العاطرة .

وحيث لم يأت ادراج المقدمة بالكتاب لتأخر تحريرها عن
الابان ، فلنختم بما كان في النية تمويج الكتاب به؛ من الدعاء
بالاعانة والتسديد والتمكين لحضرة صاحب الجلالة الملك المنصور
بالله، الساهر على نهضة البلاد العامل على احياء موات العلم ، معززا
بعضه الايمن صاحب السمو الخليفة المعظم ، باعث النهضة العرفانية
في المنطقة الخليفية. حيا الله جلالة الملك . وحفظ سمو الخليفة وسائر
الامراء الكرام؛ يتقدمهم صاحب السمو والملك امير الشباب ؛
ولي العهد المحبوب .



مصادر البحث

وهذه طائفة من المصادر التي رجعت إليها في تدوين هذا البحث اذكرها مرتبة حسب عصور مؤلفيها؛ او حسب تاريخ طبعها غالبا في مؤلفات وابحاث المعاصرين، وكثيرا ما اقتصر على اسم الكتاب فيما اذا كانت نسبته لمؤلفه مشهورة .

المخطوطات

- (1) فهرسة القاضي عياض . غ⁽¹⁾
 - (2) تعليق ابن رشد على الفية ابن سينا في الطب . (غ)
 - (3) ديوان السيد ابي الربيع - مع الموحدي المسمى : نظم العقود ورقم الحلل والبرود جامعه محمد بن عبد الحق بن عبد الله الفسافي . (غ)
 - (4) بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها. ابتداء تليفه محمد بن علي ابن خضر الفسافي؛ المشهور بابن عسكر، وكمله ابن اخته محمد بن محمد بن علي بن خميس نسخة الاخ الاستاذ محمد العرائشي .
 - (5) روض الانس . ونزهة النفس، الجزء الاول . (غ)
 - (6) الوافي ، في نظم القوافي . الاثنان لابي البقاء صالح بن شريف الرندي . ع
 - (7) رحلة العبدري . نسخة المكتبة العامة بالرباط عدد 1012 (خ).
 - (8) منهاج الطالب، في تعديل الكواكب. لابن البناء . (غ)
 - (9) الدوحة المشتبكة في احكام دار السكة . تليف ابي الحسن علي بن يوسف الحكيم الكومي المديني . (غ)
-
- (1) رمز مكتبة ابن غازي لكاتب السطر .

- (10) قسم الممالك من مسالك الابصار للعمري . (غ)
- (11) شرح الماراسي على روضة الازهار للجادري . (غ)
- (12) مشاهير اعيان فاس في القديم . المنسوب لابن الاحمر .
نسخة الاخ الاستاذ محمد بن بوبكر التطواني بسلا .
- (13) ذيل فهرسة ابن غازي له . (غ)
- (14) الجمان في اخبار الزمان للشطبي . (غ)
- (15) شرح ابن عاشر على مورد الظمان . (غ)
- (16) اختصار نفح الطيب، المسمى : تغريد العندليب، على فغن
الاندلس الرطيب. تأليف ابي يعقوب يوسف بن محمد الشهير بابن
الوكيل الميلوي . (غ)
- (17) النشر المخطوط، نسخة المكتبة الاحمدية بفاس للاخ الاستاذ
عبد السلام ابن سودة .
- (18) الخبر المغرب عن الامر المغرب . الحال بالاندلس وثغور
المغرب لابي رأس العسكري .
- (19) تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب لابي
القاسم الزياتي . (غ)
- (20) الاشراف على من بفاس من مشاهير الاشراف . لابي الفتح
الطالبي ابن الحاج . (غ)

المطبوعات التاريخ وما اليه

- (24-21) مجموع اخبار المهدي ابن نومرت بما فيه من (1) بعض
رسائل الموحدين . و (2) المقتبس من كتاب الانساب في معرفة

الاصحاب لمؤلف مجهول . و (3) تاريخ الموحدين للبيدق . و (4)
ترجمة عبد الله بن خيار الحياتي؛ المأخوذة من كتاب الحلة السيرا
لابن الآبار .
باريز

(25) زاد المسافر . لابي بحر صفوان بن ادريس التجيبي
المرسي .
بيروت

(26) الرحلة ابن جبير .
مصر

(27) المعجب في اخبار المغرب . للمراكشي .
مصر

(28) اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم مؤلفه محمد بن علي بن
حماد . ويترجح انه المترجم في الاعلام (3) 102-100 .

(29) اخبار العلماء باخبار الحكماء . لابن القفطي .
مصر

(30) التكملة لكتاب الصلة . لابن الابار طبعة 1887-1889 . مجريط

(31) زوائد التكملة .

(32) التكملة القسم الاول المفقود من طبعة مجريط . الجزائر

(33) عيون الانبا في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (2) .
مصر

(34) وفيات الاعيان . لابن خلكان .
مصر

(35) المنهاج الواضح . لابي العباس احمد بن ابراهيم بن احمد
ابن ابي محمد صالح .
مصر

(36) صلة الصلة لابن الزبير ، القسم الاخير
الرباط

(37) عنوان الدراية . فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة
ببجاية . المقبريني
الجزائر

(38) الذخيرة السنية . لمؤلف مجهول .
الجزائر

(39) تاريخ ابي الفداء (3) .
قسنطينة

(40) الانيس المطرب ، المشهور بالقرطاس
فاس

- (41) مسالك الابصار (1) . مصر
- (42) زهرة الآس في بناء مدينة فاس . الجزائر
- (43) الحلل الموشية . في ذكر الاخبار المراكشية لابي عبد الله ابن ابي المعلى بن سماك العامري . طبع منسوباً غلطاً لابن الخطيب . تونس
- (44) طبقات الشافعية الكبرى . لابن السبكي (3) مصر
- (45) اختصار الاخبار عما كان بسبته من سنى الاثار . لمحمد بن قاسم بن محمد الانصاري السبتي . تطوان
- (46) دائرة الاحاطة (1) مصر
- (47) رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب . تونس
- (48) شرح رقم الحلل . تونس
- (49) معيار الاختيار . فاس
- (50) الديباج المذهب . مصر
- (51) مقدمة ابن خلدون . مصر
- (52) وفيات ابن قنفذ . الجزائر
- (53) صبح الاعشى (2) (5) . مصر
- (54) رحلة ابن بطوطة (1) . مصر
- (55) جريدة العجائب . مصر
- (56) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للسيوطي مصر
- (57) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة . مصر
- (58) الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون . فاس
- (59) جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بفاس . فاس
- (60) نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج . مصر

- (61) نفح الطيب (1)، (2)، (3) . مصر
- (62) ازهار الرياض . مصر
- (63) كشف الظنون . الاستانة
- (64) شذرات الذهب 4 ، 5 . مصر
- (65) بيوتات فاس في القديم . لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي . طبع منسوبا غلطا لاخيه ابي عبد الله محمد . فاس
- (66) الدر النفيس للحلي . فاس
- (67) نشر المثاني (1) . فاس
- (68) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار . للشيخ محمد بيرم الخامس التونسي (1) . مصر
- (69) الاستقصا 1 ، 2 ، 3 . مصر
- (70) السلوة . فاس
- (71) دائرة المعارف البستانية (2) .
- (72) دائرة المعارف الوجدية (8) . مصر
- (73) دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3 ، 4) . مصر
- (74) تاريخ الآداب العربية (3) . مصر
- (75) المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان مصر
- (76) تاريخ التمدن الاسلامي (1) . مصر
- (77) تاريخ سوريا للمطران يوسف .
- (78) الفنون الجميلة قديما وحديثا (1) التصوير . مصر
- (79) مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح . الرباط
- (80) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي 4 . فاس
- (81) النظام في الاسلام . الرباط

- (82) التراتيب الادارية (1) . الرباط
- (83) فهرس الفهارس والاثبات (2) فاس
- (84) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس (1). الرباط
- (85) الاعلام بمن حل بمراكش واغامت من الاعلام 1، 3، 4. فاس
- (86) آسفي وما اليه قديما وحديثا . مصر
- (87) الحلل السندسية للامير شكيب (1) مصر
- (88) مجموع رسائل موحدية . الرباط
- (89) امراؤنا الشعراء . تطوان
- (90) مقدمة سوق المهر . الرباط
- (91) المستشرقون . مصر
- (92) الرحالة المسلمون في القرون الوسطى . مصر
- (93) ترجمة تاريخ العرب لسديو العنونة بخلاصة تاريخ العرب مصر
- (94) ترجمته الاخرى تحت اسم تاريخ العرب العام . مصر
- (95) ترجمة تاريخ يوسف اشباح للاندلس في عهد المرابطين
والموحدين (2) مصر

مصادر أخرى

- (96) الاحياء للغزالي (1)، (2) مصر
- (97) فصل المقال ، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال
لابن رشد . مصر
- (98) الفتوحات لابن العربي الحانمي 1، 4. مصر
- (99) قوانين ابن جزي . فاس
- (100) رفع الحجب المستورة . في محاسن المقصورة . اسم شرح

- الشريف ابي القاسم السبتي على مقصورة حازم (1). مصر
 (101) المعيار للونشريشي 2, 11. فاس
 (102) الفتاوى الحديثة لابن حجر. مصر
 (103) شرح الخطاب على المختصر (2). مصر
 (104) القانون لليوسي. فاس
 (105) شرح مرتضى على القاموس (4). مصر

نشرات متنوعة

- (106) برزاج مكتبة القرويين القديم. فاس
 (107) التقييم الجزائري لسنة 1330 - 1912. الجزائر
 (108) مجلة «المقتطف»، (مج) 74 (ج) 5. مصر
 (109) مجلة «الرسالة»، (مج) (2) 64-66. مصر
 (110) مجلة «المباحث»، (ع) 25, 39, 42, 43 السلسلة الجديدة تونس
 (111) مجلة «الثريا»، (س) (1) (ع) 11 مع العدد الخاص بالمغرب. تونس
 (112) الملحق الثقافي لجريدة «المغرب»، (ع) 9. سلا
 (113) مجلة «الثقافة المغربية»، (س) (1). (ع) 4 - 5. سلا
 (114) مجلة «رسالة المغرب»، (س) (1) (ع) (8) و(س) (6) (ع) (4). الرباط
 (115) مجلة «الانوار»، عدد مجادي الاولي 1367 مارس 1948. تطوان
 (116) مجلة «المستمع العربي»، (س) (3) (ع) 15. لندن
 (117) جريدة «المغرب»، عدد ممتاز. سلا

فهرست أبحاث الكتاب

كلمة تصدير

بقلم الاستاذ الكبير عبد الله كُنون

7 - 3

مقدمات الكتاب

صفحة

كان هدف ابن تومرت انشاء	طابع دولة	14-11
خلافة اسلامية عامة. العمل على صبغ	الموحدين	
هذه الخلافة بصبغة لعظمة والدين والتجديد		
من مظاهر العظمة: تلقيب ملوكهم		
بالخلفاء، تاسيسهم اكبر مملكة اسلامية		
كانت تضم شمال افريقيا وجزءا كبيرا		
من الاندلس محاولتهم الاستيلاء على		
مصر وما وراءها من مظاهر طابعهم		
الديني ان يعقوب كان يريد ان		
يجعل من الاندلس دار اسلام. رمزان		
ناطق وصامت لعلو همتهم في الجهاد.		
قتل بعض خلفائهم على شرب الخمر.		
قتل آخر من رؤي وقت الصلاة غير مط		
لم تنعقد عندهم ذمة ليهودي ولا نصراني.		

شهادة رحالة عظيم باهتمامهم بالاسلام
امثلة لطابعهم التجديدي

19-15 المؤثرات التي اهتمامهم بالترجمة . توافد الاعلام

أثرت في نهضة
المعارف على
عهد الموحدين .
المغرب . على المغرب دخول العرب بكثرة الى
المغرب . عمارة المغرب حينئذ . انتشار
الامن شيوع الحرية . تدفق المال على
القوم . عطاياهم لرجال العلم والادب .

22-20 ازدهار الحضارة

بالمغرب
I معاهد التعليم
المحدث المدارس العديدة مساهمة
بعض الافراد في تاسيس المدارس
ابتناؤهم بيت الطلبة الكتاتيب .

38-23 مناهج التعليم

واساليبه .
في المدارس . الجوامع . التعليم
الاجباري . كتب الدراسة .

ملاحظات عن تلك المناهج

والاساليب تاثرهم بالغزالي في بعضها .
ادماج الرياضة في التعليم . قرن الخدمة
العسكرية بالتعليم . مزج الادب بالعطاء .
مراعاة التدريج في ترقية التلاميذ .
اعتناؤهم بالتعليم الاجباري التعليم
باكثر من لغة . التعليم المجاني مراعاة
وحدة السن في التلاميذ اهتمامهم

بالحفظ . شيوع تعليم البنات . بعض
صور النهضة النسوية حينئذ . اختصار
مراحل الدراسة .

تذليل . استدعاء العلماء للتدريس .
اختيار المدرسين وامتحانهم . طلبة
الموحدين بقسميهم طلبة المصامدة وطلبة
الحضر . بعض رؤساء كل فريق .

مجامع الخلفاء . اصناف الاعلام الذين
كانوا يحضرونها . كانت تتناول غير ما
فن ولكل فن مجلس . انظمة هذه المجامع .
اسماء طائفة من العلماء الذين كانوا
يشاركون فيها .

مجامع الامراء . بعض رجالها .

II المجامع 41-39
العلمية

العلوم

جانب المفسرين من الاندلس
ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة . طائفة
من علماء وموضوعات التفسير . شيوع
التفسير بالاشارة . امثلة لذلك .

التفسير 45-44
العادي الاشاري

التجويد

القرآآت الرسم

اعتناء الموحدين بهذه العلوم .
جماعة من اهلها مع بعض مؤلفاتهم .
انشاء الموحدين حزب القرآن الجاري
العمل به بالمغرب

الحديث

جمع المحدثين من الاندلس الى
المحدثين المغاربة . مكانة طلاب الحديث
عندهم المحدثون من خلفاء وبعض امراء
الموحدين . امتحانات الدواوين على
المغرب من اهل الحديث . زمرة من
رجال الحديث وكتبه .

الفقه

المذهب الظاهري

مكانة هذا المذهب واسط العصر
الموحدي حمل المنصور الناس عليه .
يعقوب انما ابرز الفكرة التي كانت
مسيبوقا بها من عهد ابن تومرت . عبد
المومن دعا للفكرة الظاهرية ولم تنفذ
تفصيل عمل يعقوب في حمل الناس على
الظاهر يعقوب كان على راس علماء
هذا المذهب . فتاويه . ما امر بجمعه في
الحديث . علماء الظاهرية من المغاربة .
ظهور مؤلفات مهمة في احاديث الاحكام

المذهب المالكي

سخط اكثر فقهاء المغاربة وغيرهم
على المذهب الظاهري. طائفة كبيرة من
مالكية المغاربة ومؤلفات بعضهم. رواج
المذهب المالكي بالاندلس. زمرة من
رجاله. تاليفان في الرد على ابن حزم

بعض رجال ومؤلفات العلمين .

الفرائض والناتق

57

شيوخ اصول الفقه تقرير الكلام
على مذهب ابن تومرت رحلة الاندلسيين
الى المغرب لقراءة الاصلين. اشياخ وعلماء
المغرب في العلمين تأليف بعضهم انتشار
فكرة المهدوية والعصمة ثم ضعفها ثم القضاء
عليها .

اصول الفقه

60-58

اصول الدين

جماعة من اللغويين . ازدهار النحو
حتى في مدن المغرب الثانوية. طائفة من
نحاة هذا العصر وآثارهم بعض رجال
البيان والعروض وموضوعاتهم .

العلوم اللسانية

64-61

لغة-نحو-بيان

عروض

التاريخ

السيرة-النسب-

التراجم- تاريخ

الملوك- تاريخ

البلدان

المؤلفون والمؤلفات فى هذه العلوم
مزيد اعتنا الموحدين بالانساب مكانة
نقابة الاشراف حينئذ التنبيه على اوهم
وقعت الممؤرخ يوسف اشباخ ترجمة
المورخ ابن رشيق ابن القطان مؤلف
نظم الجمان ، ترجمة المورخ ابن صاحب
الصلاة ، ترجمة مؤرخ دولة الموحدين
يوسف بن عمر.

الجغرافيا

امثلة من اذواق بعض خلفاء وامراء
الموحدين الجغرافية. بناء المنازل فى طريق
المسافرين بالشمال الافريقى - تكميل
بلاد المغرب وافريقية. اهتمامهم بالاحصاء.

السياحة

السياحة للعلم ، الحج ، للتجارة

للاكتشاف ، للسفارة ، للجهاد ، تشجيع

الموحدين للسياحة التجارية ، السياحة

البحرية ، هل استعمل بيت الابرار حينئذ؟

الجغرافيون والجغرافيات

الشريف الادريسي ، اسفاره وضعه

المخرطة الحائطية ثم المائدة الفضية.

ثم شرح ذلك بكتاب نزهة المشتاق .
 طريقه في هذا الكتاب مآل الخريطين
 والكتاب . نسخ النزهة المخطوطة . ما
 طبع وترجم منها . مميزات الخريطة
 الادريسية وشرحها . ملاحظتان . الاولى
 المائدة الفضية مستديرة لا مستطيلة .
 الثانية ليست هذه المائدة اول كرة
 عرفها التاريخ وهي مسبوقة لا سابقة .
 ثناء علماء الجغرافا على الخريطة الادريسية
 وشرحها . تنمى مؤلفات الادريسي في
 هذا العلم .

الجغرافيون المغاربة الآخرون

صاحب الاستبصار . عبد الواحد
 المراكشي . ابو علي المراكشي . ابن
 فاطمة . مؤلف المسالك والممالك . عبد
 الرحمان بن هارون المغربي .
 هل قال المغاربة في هذا العصر دوران الارض ؟
 وهل تخيلوا وجود اميريكا ؟
 مغربيان يكتشفان منابع النيل في هذا العهد .
 اكتشاف بعض مجاهل افريقيا .
 انشاء المغاربة فرقا للكشفية .
 تاسيس ركب الحاج المغربي .

مظهر آخر من مظاهر ولوع المغاربة بالسياحة

المغرب من الاقطار التي يفزع اليها في مشاكل الفلسفة . نهضتها ايام يوسف اقترح هذا على ابن رشد وضع شروح كتب ارسطو . الباقي من هذه الشروح اثر فلسفة ابن رشد في اوربا . موقف يعقوب والمأمون من هذا العلم . كتاب كنز العلوم ليس لابن تومرت الاندلسي .

الفلسفة

102 - 97

مثال من تقدير الموحدين لهذه العلوم . تقرير تدريسها . بعض اساتذتها . طائفة من اقطاب هذه العلوم وآثارهم . الاقلام الحسابية الثلاثة التي كانت مستعملة حينئذ

العدد

105-103

الحساب ، الجبر
المعاملات

نهضتها . رجالها . شيوع الهندسة الميكانيكية . بعض مؤلفاتها . امثلة من صناعتها .

الهندسة

108-106

نهضة هذه العلوم رزح يعقوب المنصور القبة السماوية للملاذيسي. مذهب البتراجي الذي اخترعه في ترتيب الافلاك والمراكز. رسالته عن الاجرام رصد ابي بكر الليثي السبتي. ابو علي المراكشي. وفاته. التعريف بكتابه : جامع المبادي والغايات. زيج ابن الكمام التونسي الراصد بمراكش. بقية رجال هذا العلم. ابتكارات: ساعات باب جامع مراكش. اغز علمي في صومعة حسان افكار مبكرة في هذا العلم. برج الكوكب لمراقبة الاهلة بفاس.

التنجيم
الهيئة الميقات
الزيج

113-109

بعض رجاله وموضوعاته .

المنطق

114

اسباب شيوعه تعليق عن الحروب الصليبية التي كانت قائمة بالاندلس حينئذ مؤلفات ناطقة بما كان لهذا العلم اذ ذاك من الرواج. مجالس الجدل التي كان يعقدها الموحدون. بعض رجال علم الجدل. انموذج من جدل ابن تومرت.

الجدل

118-114

امثلة من ازدهارها. بعض رجالها

المناظرة

120-119

الاشتغال بالكيمياء النافعة . زمرة من اهلها .	الكيمياء	122-121
ازدهار العلمين . تنصيبهم رؤساء لهذه المهنة. تدريس الطب بالمغرب حينئذ ثلة من الاطباء المغاربة واوضاعهم. <u>اطباء الخلفاء : طبيبا عبد المومن . اطباء</u> يوسف . اطباء المنصور . اطباء الناصر . طبيب المستنصر . <u>الطبيبات في ديار الخلفاء . بيت الاشربة</u> والمعاجين الطبية . <u>تاسيس المستشفيات بمراكش وشالة</u> والقصر . وصف المعجب لمستشفى مراكش . استدراك على هذا الوصف بذكر بعض رؤساء مستشفى مراكش وبيان انه كان به قسم خاص بالامراض العقلية الى جانب قسم الامراض الجسمية ، تفوق هذا المستشفى من ابتكارات الموحدين في هذا الميدان .	الطب . الحيداة	133-123
ازدهار علم السياسات حينئذ .	كلمة ختامية عن العلوم	134-133

الآداب

نهضةها.مميزاتها

تشجيع الموحدين للآداب بما كانوا عليه من معاناتها. سريان الاهتمام بالآداب من الملوك للامة. الندوة الادبية التي اقامها عبد المومن فوق ظهر جبل الفتح . الجرم الغفير من الادباء الذين وردوا على يعقوب لما رجع من غزوة الارك . العصاة الادبية التي اجتمعت على الامير عثمان بن عبد المومن ، بلوغ صدى هذا النهضة الادبية حتى قطر السودان شاعر من هذا القطر. خلو الادب في غالب مظاهره من الزخرف والصنعة. خلوه في الجملة من السفساف الادبية. ما يوتر من شعر لعبد المومن في التغزل مفتعل عليه. تاثر الادب بمبادئ وانظمة الدولة . تاثره بكثير من العموم. الشائعة حينئذ . جملة من الدواوين التي جمعت لشعراء هذا العهد . طائفة من مؤلفات ادباء هذا العصر . تنوع الكتابة الى عدة الوان من النشر الفني . تجديد اسلوب الرسائل . مكاة الخطابة . نهضة الوعظ . بعض شخصياته . تشجيع نشر

كتب القصص وغيرها . بعض القصص
الشائعة حينئذ ، ميل بعض المغاربة
للبحور القصيرة .

اثبات اشتغال المغاربة بهذين
الفنين . بعض الزجالين والقوالين من
المغاربة في هذا العصر .

شواهد ناطقة بذلك التعرب .

بسط سبب ذلك . تحقيق اذهم
لم يكونوا يخطبون او يؤذنون
بالبربرية .

أدباء عصر الموحدين⁵¹

محمد المهدي ابن نومرت . عبد
المومن . يعقوب المنصور . ابو الربيع .
هل نحلله الشاعر الاندلسي ابن عبد ربه
اشعاره ؟ ابو الحسن علي بن عمر بن
عبد المومن . السيد ابو محمد عبد الله

هل اشتغل
المغاربة بالتوشيح
والزجل على
هذا العهد ؟

تعرب لغة
المحادثة في العصر
الموحدي

السبب الذي
حدا بالموحدين
الى الاستعانة
باللسان البربري

قسم أول
الخلفاء . الامراء
منهم

صاحب فاس . بعض السادة من بني عبد
المومن . عبد العزيز بن يوسف بن عبد
المومن . ادريس المامون . ابو حفص
المرتضى . السيد عبد الواحد من اواخر
امرائهم .

علي بن يقطان السبتي . ابو جعفر
ابن عطية . ابو عقيل ابن عطية . شاعر
من أهل سلا . الشريف الادريسي . ابن
بقي السلوى . ابن حبوس الفاسي . محمد
ابن عياض . عيسى بن عمران التسولي .
محمد بن الصقر الانصاري . ابو بكر الفصح
الصنهاجي . عبد الله التادلي . شاعر من
أهل فاس . ابو حفص الاغماتي . عقيل
ابن عطية . ابو العباس الجراوي . عبد
الواحد المراكشي . ابو الخطاب ابن
دحية . ابن خبازة . ابو الحسن الحرالي .
ابو القاسم ابن عمران القصري . ابن
عبدون المكناسي . ابن المحلى السبتي
ابن العابد الانصاري . ابو الحسن
الرباطي .

181-164 الادباء من غير
الخلفاء والامراء

علي بن غالب الانصاري . محمد ابن عبد الله بن عبد الكريم الانصاري . ابن الغازي السبتي . ابو الصبر السبتي . عياض الصغير . ابو عمرو ابن دحية . ابو العباس البكري . ابراهيم بن ابي حفاظ المكناسي . ابو الربيع المعروف بابن البقال ملول بن ابراهيم الصنهاجي . ابنه يعقوب .	قسم ثان	184-181
---	---------	---------

الشاعر السبتي . محمد بن محمد البربري .	قسم ثالث	185-184
--	----------	---------

نماذج من ادب هذا العهد I النشر

من رسالة انشأها الكاتب ابو عقيل . ابن عطية عن عبد المومن	1 الكتابة الديوانية	189-186
من الرسالة المعروفة برسالة الفصول انشأها ابو جعفر بن عطية عن اذن عبد المومن . من رسالة السيد ابي الربيع الى ملك السودان ابو حفص الاعماني يحذر	الاجتماعية	193-189

من الدنيا واصلها ويحضر على علم الكتاب
والسنة .

من رسالة لابن تومرت يذكر
مثالب المرابطين . ويعدد ما انعم الله به على
الموحدين . من رسالة للمامون يوبخ فيها
طائفة من جنده .

السياسية 196-193

ابو جعفر بن عطية يستعطف عبد
المومن عبد الواحد المراكشي يصف
قصيدة ابن عبدون في رثاء بني المظفر
ابو الخطاب ابن دحية يرثي بغداد
وخلفاءها ويذكر الكثير من الدول
والاعيان الذين ذهبوا .

الادبية 200-196

رسالة من ابي الحسن الرباطي الى
المؤرخ ابن الربيب رسالة ابي القاسم ابن
عمران القصري لابن العابد الفاسي
يستقرضه بعض قريضه . جواب ابن
العابد على هذه الرسالة .

الاخوانية 203-200

الآن وقد عصيت من قبل . ظهر
الفساد في البر والبحر . مالنا ولدن
الجبابرة . نحن لا نريد ان نكون اصحاب

التوقيعات 205-203

الفيل . الجواب ما ترى لا ما تسمع فاحذر
فانك على شفا جرف هار . يخرج هذا
النازل .

2 الخطابة

خطبة ابن تومرت في مرض موته

السياسية

207-205

من خطبة لابي حفص الاغماتي يحذر
فيها من بعض اصناف الفلسفة والفلاسفة
ويعض على التمسك بالكتاب والسنة .

الاجتماعية

208-207

وصية المنصور لما دنت وفاته . وصية
ابي موسى ابن عمران التسولي لابنه حين
كان يدرس بفاس .

3 الوصية

209-208

كلمات رواها ابن عبد الكريم

4 الحكمة

209

التميمي .

II الشعر

ابن خبازة يمدح الرسول (ص)
ويذكر جملة من مفاخره ومعزاته .
ابو حفص الاغماتي يمدح يوسف بن
عبد المومن . عبد الواحد المراكشي في

المديح

216-210

في الامير ابراهيم بن يعقوب المنصور .
ابو الخطاب ابن دحية في سلطان مصر
الملك الناصر . الامير عبد الواحد الموحي
في الواعظ ابن رشيد البغدادي لما ورد
مراكش

الامير عبد الله الموحي من ابيات .
الجرابي مع احد المتبذلين .

الافتخار 216

مرثية ابن خبازة في ابي محمد
عبد الله نجل وزير اشبيلية وعظيمها احمد
حفيد ابي بكر ابن الجد .

البرثاء 220-217

ابن عطية يستعطف عبد المومن -
(أ) (ب) الامير الحسن بن عبد المومن
لما عتب عليه اخوه الخليفة يوسف .
ابو حفص الاغماتي لما اهديت له جارية ..

الاستعطاف والاعتذار 221-220

الجرابي (أ) فيمن اسمه خلوف .
(ب) في ابي حفص الاغماتي . (ج) في
قبيلته بني غفجوم . ابن حبوس يذم الشعر .

الهجاء والذم 222-221

الجرابي لما استجده شاعر بقصيدة .
الشاعر السلوي في الوزير عبد السلام بن
محمد الكومي .

العتب والتانيب 223

صفحة		
225-223	الوصف	ابن حبوس يصف الرياض السيد ابو الربيع (أ) يصف الروض ايضا . (ب) في وصف فسقية . ابن عبدوس (أ) في مصباح (ب) يصف نهرا قذفت فيه مطابيح (ج) في نهر وردته عصاة طير (د) يصف فاس ومكناس ويفاض بينهما . ابن العابد (أ) في حمام (ب) في اخوين وسيم واحدب .
228-225	الغزل	السيد ابو الربيع . ابو حفص الاعماني، ابن خبازة، ابن المحلى السبتي . ابن العابد .
232-228	الاجتماع	ابن حبوس (أ) الوصايا والامثال وذم الزمان . (ب) مذهبه في معاملة الناس . (ج) موقفه ازاء الفلاسفة . ابو حفص الاعماني (أ) يبين مزية الشرع على العقل . (ب) يذكر هذه الحياة الدنيا .
234-232	السياسية	ابن حبوس (أ) في فتح بجاية (ب) يذم الوزير ابن عطية لما نكب . الجراوي (أ) يذكر انتصار المنصور في غزوة الارك (ب) فيمن عصى دعوة المهدي . (ج) في

الصابوني الذي حلب ابن خبازة (أ) في
ابن تومرت لما تبرأ منه المامون . (ب)
في قبة المعتصم الحمراء التي ضربها بظاهر
مراكش .

الفنون

نهضة الفنون الصناعات	237-236
من مظاهر وفرة الصناعات حينئذ . شواهد إتقانها .	
صناعة الموسيقى	240-238
تأثرها بالطابع الديني . أصنافها . وجود الطرب الاندلسي بالمغرب اذ ذاك . ادوات الموسيقى . كلمة عن الطبول الموحدية	
صناعة الغراسة صناعة الفلاحة	241-240
تفوق مراكش في الغراسات . بساتينها، بساتين مكناس وفاس والمقرمدة وتازا، بساتين قرية بليونش بضاحية سبتة . جودة الغراسة والفلاحة .	
صناعة البناء	252-242
حب تشييد المباني اظهر صفات الموحدين . ذوقهم في البناء اهتمام يعقوب به بصفة خاصة . كانت	

مبانيهم مطبوعة بطابع العظمة، وتحمل
مسحة التجديد: مراعاتهم في بعضها تخليد
ذكريات غزوات الاسلام العظيمة.

المصانع والمباني : قصر ابي بكر ابن زهر

بمراكش، قصر السيد ابي الربيع بها، قبة
السيد ابي حفص بها، قصور الرباط، دار
العدل به : قصر ابي العباس ابن القاسم
بسلام، قصر عبد المومن بالاندلس، قصر
السيد ابي يحيى خارج قرطبة، قصر
السيد بغرناطة، قصر السيد بمالقة، حمام
وخان جليلان باحدى جهات الاندلس.
نص فريد من مسألة الابصار للعمري عن
مباني الموحدين بمراكش القديمة
والجديدة. جودة مواد البناء لهذا العهد.

نهضتها. آثار كثيرة في هذا الصدد.

253-252 صناعة جر المياه

شواهد تفوق المغرب في هذه
الصناعة. مصانع السفن الحربية. مصانع
السفن التجارية. انواع القطع البحرية.

255-253 صناعة السفن

تقدم المغرب في هذا الميدان.

255 صناعة السلاح

صفحة	
257-256	صناعة الورق
	من مدن هذه الصناعة سبتة وفاس . بلغ عدد المصانع للورق بفاس 400 معمل . تفوق المغرب على اوروبا النصرية في عمل الورق .
257	صناعة الصفر
	قطعتان نفستان من مصنوعات هذا العهد لا زالتا قائمتين بفاس ومكناس .
259.257	صناعة السكة
	دار السكة التي بناها الناصربقصة فاس واعد بها مودعا للاموال ولطوابع السكة . ضرب الموحدون عملا مختلفة . مثال لما كان يكتب على بعض نقودهم . ابطال المامون تربيع السكة . مقادير العمل الموحدة .
261-259	صناعة استغلال المناجم
	اعتنا الموحدون ويوسف بصفة خاصة باستغلال مناجم افريقية والاندلس . اكتشفهم بعض المعادن . امثلة من اهتمامهم بالمعادن . اسما المعادن التي كانت معروفة امهدهم .
265-261	الصناعات الميكانيكية
	تهضمت امثلة في : اوعية مصحف عثمان . قنطرة بين الرباط وسلا . قنطرة

نهر الوادي الكبير باشبيلية . دبابات
موحدية . المجانيق . البارود .

ناثرها بالطابع الديني . نماذج
للتصوير حينئذ .

صناعة التصوير 266

ناثرها بذلك الطابع . التفاتهم لها
آخر عهدهم .

صناعة الطرز 267-266

معاداتهم للتزويق اول الامر .
اهتمامهم به بعد ذلك . بعض المزومين-
اذ ذاك . نماذج للتزويق فسى : مصحف
عثمان . زينة راحلة المصحف حلية مصحف
ابن تومرت وراحلة . تذهيب موطا ابن
تومرت .

صناعة التزويق 270-267

انواع الخط الثلاثة التي كانت
مستعملة لهذا العهد . نهضة الخطاطة .
اعتناء يوسف وعبد المومن بها . امتداح
بعض الامراء بجودة الخط . عمر المرتضى
كان له حظ وافر من براعة الخط .
الخطاطون . النساخون .

صناعة الخطاطة 274-270

نهضتها . رجالها .

صناعة الوراقة 274

<p>تذييل I المكتبة المغربية لهذا العهد</p> <p>عمارها . كانت تقارب في بعض مظاهرها المكتبة الاندلسية ابان ازدهارها. 200 دكان لذائعي الكتب المخطوطة بمراكش . اهتمامهم باقتناء الكتب . اقتزاعهم ملكية المكاتب ممن يخشى ضياعها عنده . اقتراحهم تاليف الكتب . اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم . كانت خطة المحافظة على الكتب عندهم من الخطط الجلييلة . ابن الصقر محافظ مكتبة يوسف . تاسيسهم المكاتب العامة . اوعية الكتب . الكتابة على الخزائن .</p>		<p>280 275</p>
<p>اسماء الخزائن المكاتب العامة</p> <p>مكاتب مدرسة المنصور بمراكش . المكتبة الشارية بسبتة . مؤسسها . قيمتها . وقفها على اهل العلم بالمغرب . عمرها .</p>		<p>282-280</p>
<p>الخزانة العلمية بمراكش . مؤسسها . قيمتها . جهود يوسف في جمعها . القيم عليها .</p>		<p>283-282</p>
<p>مكتبة عبد الرحيم ابن الملجوم بفاس .</p>	<p>مكاتب الافراد</p>	<p>286-283</p>

قيمتها مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم
 بفاس قيمتها . مصيرها . مكتبة المسوفي
 بفاس . قيمتها . مكتبة المومنانسي بفاس .
 قيمتها . مكتبة ابن الطراوة بمراكش .
 قيمتها . مكتبة ابن الصقر بمراكش .
 قيمتها . نكتبته فيها . مكتبة ابن غلنده
 بمراكش . قيمتها . مكتبة القيسي
 بمراكش . قيمتها .

المصحف العثماني . مصحف ابن
 تومرت . مصحف المرتضى بخطه . النعال
 النبوية . خريطة قبلة مراكش .
 قراصة الذهب في ذكر لثام العرب .
 دراهم قديمة . مدأبي محمد صالح . عبادة
 عبد المومن .

استدراكات . كلمة ختامية .

II الذخائر
 والآثار في
 هذا العصر

289-287

294-290

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة
دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
في 13 رجب 1397 / متم يونيه 1977

،

(حقوق اعادة الطبع محفوظة للمؤلف)

يطلب هذا الكتاب من

مكتبة الطالب

207 شارع محمد الخامس - الرباط

تيلفون 29 - 261